مباحث من علوم القرآن
في مقدمة التسهيل لعلوم التنزيل
لابن جزى الكلبى

« عرض ودراسة وأثرها في تفسيره »

إعداد

الدكتور / صبري إبراهيم محمد أحمد

الأستاذ المساعد بكلية التربية - جامعة جازان

قسم الثقافة الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد

فإن أشرف ما صرفت له الأوقات ، وبذلت في سبيل علومه الدقائق والساعات ، كتاب الله المجيد الذى﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (١) والذى تكفل الله تعالى بحفظه فقال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ﴾ (٢) .

وكان من حفظه تعالى لكتابه الكريم أن هيّأ له رجالاً مخلصين ، بذلوا في سبيل تبليغه وتعليمه ونشر علومه النفس والنفيس ، فمنذ فجر الإسلام ، والعلماء يتنافسون في هذا المضمار ، وقد سار الأواخر على نهج الأوائل ، وتسابقوا في خدمة كتاب الله تعالى ، وحافظوا على تراث أسلافهم فاستفادوا مما دوّنوه في علوم القرآن ، وتناولوه بالدراسة والتحقيق، والشرح والتعليق ، ثم لم يكتفوا بذلك بل خاضوا غمار التأليف في هذا المجال ، ودونوا أسفار أحوت من العلوم والمعارف ما لا يستغنى عنه طلاب علوم الكتاب العزيز.

وقد وفق الله سبحانه وتعالى في كل زمان ومكان من ارتضى من عباده لخدمة القرآن الكريم ، فقاموا وخدموا القرآن الكريم خدمات عظيمة ، فمنهم من حفظه وأتقن حفظه فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار ، ومنهم من فسره وشرح غوامضه وكشف أسراره ، ومنهم من صنف في بيان

---

(١) فصلت آية ٤٢ .

(٢) الحجر آية ٩ .

اللهجات والقراءات ، ومنهم من بحث عن إعرابه وتراكيب ألفاظه، ومنهم من بحث في بلاغته ، ومنهم من بحث في استنباط أحكامه.

فعلوم القرآن، هي المسائل والمباحث التي يحسن بها فهم كلام الله تعالى في كتابه حسب مراده، لذلك كانت عناية العلماء بها كبيرة، وجعلوا العلم بها من الشروط اللازمة تحققها في المفسر.

وتأتى هذه الدراسة لتسفر عن جهود علم من الأعلام في مسائل وقضايا علوم القرآن من خلال مقدمة تفسيره (التسهيل في علوم التنزيل) إنه الفذ العلم ، محمد بن أحمد بن جزى الكلبى المالكي ، أبو القاسم الغرناطي ، المعروف (بابن جزى الكلبى) ، نسبة إلى قبيلته الكلابية اليمانية (بنى كلاب) حيث استوطن الكلبيون غرناطة، المولود في غرناطة سنة (٦٩٣هـ-١٢٩٤م) (١) ، برع في جميع العلوم ، وألف في ذلك المؤلفات القيمة ، حتى أصبح من علماء الأندلس البارزين، الذين يقصدهم طلبة العلم من كل مكان ، من أعيان المذهب المالكي ، ومرجعاً من مراجعه ، حيث اعتنى بتقرير مذهب الإمام مالك ،كان رحمه الله على طريقة مثلى من العكوف على العلم، والاشتغال بالنظر والتقييد والتدوين، فقيهاً حافظاً قائماً على التدريس، مشاركاً في فنون، من عربية، وأصول وقراءات وحديث وأدب، حفظة للتفسير، مستوعباً للأقوال، جمّاعة للكتب، ملوكي الخزانة، حسن المجلس، ممتع المحاضرة، صحيح الباطن، تقدم خطيباً بالمسجد الأعظم من بلده على حداثة سنه، فاتفق على فضله،

(١) انظر نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، لشهاب الدين أحمد بن محمد المغربي التلمساني المقرى،١٠/١٤٢، تحقيق : إحسان عباس ، بيروت ، سنة ١٣٨٨هـ ، وانظر أوصاف الناس في التاريخ والصلات ، للمؤرخ الوزير لسان الدين محمد بن عبدالله السلماني المعروف بابن الخطيب ، صـ٢٧ ،تحقيق د/ محمد كمال شبانة، طبع تحت إشراف اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين المملكة المغربية ، ودولة الإمارات العربية المتحدة .

وجرى على سنن اصالته [١] ،كان له –رحمه الله – اهتمام وإلمام جيدين بالشعر، تمثل في الرقائق والمدائح النبوية توفى عن ثمان وأربعين سنة، عام ٧٤١هـ /١٣٤٠م، في معركة" طريف" [٢] ، وهو يشحذ الهمم ويحرض على القتال في سبيل الله [٣] رحمه الله رحمة واسعة .

وتتكون خطة البحث من مقدمة وتمهيد ، وثلاثة عشر مبحثاً ، وخاتمة

المقدمة وتحتوى على :

أ – أهمية الموضوع و أسباب اختياري له .

ب – منهج البحث

التمهيد : تحدثت فيها عن أهمية المقدمات عند المفسرين .

أهمية الموضوع وأسباب اختياره :

١- تظهر الدراسة مدى عناية الأندلسيين بعلوم القرآن، وتبرز جهودهم ،فابن جزى من أبرز علماء الأندلس في زمانه.

٢- توضح موقف الإمام ابن جزى من مسائل وقضايا علوم القرآن ، فالمفسرون جعلوا لمفاهيمها النظرية جانباً تطبيقياً في تفاسيرهم.

٣- تكشف عن الأثر العلمي للقضايا النظرية المقررة في علوم القرآن في فهم كلام الله حسب مرادة.

---

(١) انظر طبقات المفسرين ، محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي ٨٥/٢: دار الكتب العلمية بيروت، الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين ابن الخطيب ١٠/٣،: دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ الأولى، ١٤٢٤ هـ

(٢) دولة الإسلام في الأندلس، محمد عبد الله عنان المؤرخ المصري (المتوفى: ١٤٠٦هـ) ، ١٢٧/٥، مكتبة الخانجي ، القاهرة

(٣) الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة: لسان الدين بن الخطيب ، صـ٤٧،تحقيق: إحسان عباس،: الأولى، ١٩٦٣م، دار الثقافة، لبنان، بيروت – الإحاطة في أخبار غرناطة ،١٣/٣، أوصاف الناس ،صـ٢٧

٤- ابن جزى رحمه الله تعالى إمام في التفسير وعلوم القرآن وقد تميز بطريقة سليمة ومنهج دقيق في عرضه لمسائل علوم القرآن مع الاستشهاد عليها من كتاب الله وذكر أقوال العلماء مع المناقشة والتوجيه ففي الدراسة إبراز لجانب من جهوده في علوم القرآن.

٥- شهرة كتابه(التسهيل في علوم التنزيل) فدراسة علوم القرآن في مقدمته إبراز لآرائه ،وبيان لتطبيقه هذه العلوم في تفسيره.

٦- تكشف الدراسة عن أراء جلة من العلماء ممن صنفوا في علوم القرآن، حيث حفظ لنا ابن جزى أقوالهم وإسهامهم في علوم القرآن .

٧- تقارن بين ما قرره ابن جزى في علوم القرآن في مقدمة تفسيره ، وما قرره أشهر المفسرين في تفاسيرهم ،وأشهر المصنفين في علوم القرآن.

٨- تؤصل الآراء في مسائل علوم القرآن الكريم وقضاياه.

٩- وضوح المنهج الذى سلكه ابن جزى والتزامه التام بما الزم به نفسه في مقدمة تفسيره

المبحث الأول: نزول القرآن الكريم.

المبحث الثاني : أول ما نزل وآخر ما نزل من القرآن الكريم.

المبحث الثالث: جمع القرآن الكريم.

المبحث الرابع: ترتيب الآيات والسور.

المبحث الخامس: نقط المصحف وشكله.

المبحث السادس: أسماء القرآن الكريم.

المبحث السابع: المكي والمدني .

المبحث الثامن: الناسخ والمنسوخ.

المبحث التاسع: الوقف والابتداء.

المبحث العاشر: القراءات القرآنية.

المبحث الحادي عشر: إعجاز القرآن.

المبحث الثاني عشر: أسباب الخلاف بين المفسرين والوجوه التي يرجح بها بين أقوالهم .

المبحث الثالث عشر: أنواع التفسير، وطبقات المفسرين .

أهم النتائج والتوصيات ، مصادر البحث .

وقد سلكت في بحثى هذا الخطوات المنهجية التالية:

١ – ذكر أقوال ابن جزى من خلال مقدمة كتابه (التسهيل لعلوم التنزيل).

٢ – دراسة أقواله في شكل مباحث ، مقتصر على ما أثاره من مسائل مع التعليق والتوجيه ، إلا أن تكون هناك حاجة تدعوا إلى الإضافة، كتعريف بمسألة أو تمهيد لها .

٣ – مقابلة آراء ابن جزى وأقواله في علوم القرآن بآراء أشهر المفسرين والمصنفين في علوم القرآن ، مع المقارنة والمناقشة والترجيح .

٤ – عزو الآيات والأحاديث الواردة في البحث ، والإحالة إلى المصدر .

٥ – توثيق النقول والأقوال بالإحالة على مصادرها .

التمهيد

اهتم العلماء منذ القدم بمضامين مقدمات التفاسير، فقد ضمنوها خلاصة أفكارهم، وزبدة آرائهم حول كثير من مسائل علوم القرآن ومباحثه، وهى آراء لم تطرق بعضها للبحث والنقاش، وعلوم القرآن إنما يعتنى بها وتعطى هذه المكانة والأهمية، لأنها توصل إلى معرفة مراد الله تعالى من كلامه للعمل بمقتضاه ، ولكون المفسر قد طرق هذه الأبواب، وأدلى بدلوه في بيان معانى الآيات، كان من الضروري دراسة هذه المقدمات دراسة جادة، ومحاولة الغوص فيها لإبراز الدقائق العلمية في ثناياه، ومن ثمَّ معرفة مواقف المفسرين من مسائل علوم القرآن ليتبيَّن مدى معرفة المفسر بالعلوم المُعينة على فهم كتاب الله الفهم الصحيح، وليتبين بالتالي مدى إصابة المفسر القول في بيان مراد الله .

ولهذه الدراسة أهمية أخرى تكمن في معرفة تطور علوم القرآن ومباحثه عند المفسرين، وذلك لأن المفسر قد ضمَّن مقدمته رأيه في بعض المسائل ، فجاء اللاحق ليتابع السابق فيما قاله وأثبته ، وليستدرك عليه ما لم يقله مما هو مطلوب قوله ، كما يبين تأثر المفسرين بعضهم ببعض ، وغير ذلك مما يتبين للقارئ تطور هذه المسائل عند المفسرين.

ثم إن المقدمات هي أول المصنفات التي جمعت أكثر من موضوع من موضوعات علوم القرآن في موضع واحد، فهي النواة الأولى للتصنيف الموسوعي في علوم القرآن، وهذا جانب من الأهمية بمكان .

ويذهب المهتمون بعلوم القرآن وأصول التفسير إلى أن أقدم من صدّر تفسيره بمقدمة في علوم القرآن هو الإمام الطبري ، يقول الدكتور أبو شهبة "ولا يفوتني بهذه المناسبة أن أذكر: أن بعض المفسرين في القديم والحديث صدّروا كتبهم بمقدمات قيمة في "علوم القرآن"، لتكون مفتاحاً لهذه التفاسير، ولا تزال إلى اليوم مرجعاً للكاتبين في هذا الفن،

وذلك كما فعل "ابن جرير الطبري " (١)

والصحيح أن هناك من سبق ابن جرير في هذا المنهج ، غير أنه لم يكن على غرار ما فعله ابن جرير من التوسع والشمولية ، وانتقل هذا الاهتمام بعلم المقدمات إلى أهل المغرب وبلاد الأندلس فاهتموا بها اهتماماً بالغاً، وكان أكثر من اهتم بذلك ابن عطية الأندلسي ، فقال في مقدمة تفسيره "ولنقدم بين يدي القول في التفسير أشياء قد قدم أكثرها المفسرون، وأشياء ينبغي أن تكون راسخة في حفظ الناظر في هذا العلم مجتمعة لذهنه " (٢) والقرطبي ، وابن جزى ، وغيرهم وهكذا إلى أن جاء السيوطي في المشرق، وشرع في تدوين تفسير كبير للقران الكريم سماه(مجمع البحرين، ومطلع البدرين، الجامع لتحرير الرواية وتقرير الدراية) ووضع كتاباً علىّ الشأن، جلى البرهان، كثير الفوائد والإتقان أسماه (الإتقان في علوم القرآن) وجعله مقدمة لتفسيره السابق، وتم بذلك تدوين أوسع مقدمة لكتاب في التفسير، تلك أصل فكرته، لكن الكتاب لسعته أخذ استقلاليته، وتتابع تصدير التفاسير بمقدمات في علوم القرآن على مر العصور، فلا تكاد تجد تفسيراً معتبراً إلا وقد احتوى على مقدمة في هذا الشأن، حتى أصبح ما بدأه ابن جرير، وغيره سُنة متبعة إلى يومنا هذا، فقد ظهرت مقدمات في غاية الإتقان والإجادة ، كمقدمة (روح المعاني) للآلوسي (محاسن التأويل) للقاسمي (والتحرير والتنوير) للطاهر بن عاشور، وغيرها، وقد احتل تفسير ابن جزى (التسهيل لعلوم التنزيل) مكانة مرموقة لدى أهل المغرب العربي عامة، واشتهر أيما شهرة ،لعظيم ما ضمنها المصنف من المعاني ، ولما فتح الله به عليه به من البيان ، غير أنه بقى مغموراً لدى المشارقة، فلم يكتب له الشهرة والانتشار التي

---

(١) المدخل لدراسة القرآن الكريم، محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (المتوفى: ١٤٠٣هـ)، صـ٣٦، مكتبه السنة، القاهرة، الثانية، ١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٣ م

(٢) المحرر الوجيز ٣٥/١

تخرجه من ذاك الحصار الذى ضرب عليه في المغرب نتيجة الظروف التي تعرضت لها بلاد الأندلس، إضافة إلى ظهور تفاسير لأناس احتلوا مكانة علمية مرموقة في المشرق في عصره أمثال أبى حيان، وابن كثير، وغيرهما، ويُعدُّ تفسير ابن جزى آخر التفاسير الأندلسية التي تناولت القرآن جميعه، وهو آخر تفسير يصل إلينا من تلك الديار (١) .

وقد استطاع المصنف أن يقدمه في صورة رائعة، بعبارة قوية، وجمل رصينة، وأسلوب جمع فيه بين الإيجاز وحسن العرض، دون أن يخل بالمعاني المراد بيانها، وقد ذكر المصنف الهدف من عمله فقال: وصنفت هذا الكتاب في تفسير القرآن العظيم، وسائر ما يتعلق به من العلوم، وسلكت مسلكاً نافعاً، إذ جعلته وجيزاً جامعاً، قصدت به أربع مقاصد: تتضمن أربع فوائد:

الفائدة الأولى: جمع كثير من العلم، في كتاب صغير الحجم تسهيلاً على الطالبين، وتقريباً على الراغبين فلقد احتوى هذا الكتاب على ما تضمنته الدواوين الطويلة من العلم، ولكن بعد تلخيصها وتمحيصها، وتنقيح فصولها، وحذف حشوها وفضولها ولقد أودعته من كل فنّ من فنون علم القرآن اللباب المرغوب فيه، دون القشر المرغوب عنه، من غير إفراط ولا تفريط، ثم إني عزمت على إيجاز العبارة، وإفراط الاختصار، وترك التطويل والتكرار.

الفائدة الثانية : ذكر نكت عجيبة، وفوائد غريبة، قلما توجد في كتاب لأنها من بنات صدري، وينابيع ذكرى، ومما أخذته عن شيوخي رضي الله عنهم، أو مما التقطته من مستظرفات النوادر، الواقعة في غرائب الدفاتر .

الفائدة الثالثة : إيضاح المشكلات، إما بحل العقد المقفلات، وإما

---

(١) ابن جزى ومنهجه في التفسير،١٥/١،على محمد الزبيري، ط/دار القلم ، دمشق، الأولى ،١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م، علوم القرآن من خلال مقدمات التفسير ٤٦٩/١ .

بحسن العبارة ورفع الاحتمالات، وبيان المجملات.

الفائدة الرابعة : تحقيق أقوال المفسرين، السقيم منها والصحيح، وتمييز الراجح من المرجوح (١)

وللحق فإن شهرة تفسير ابن جزى لا توازى إجادته، ولا تعدل إبداعه، وقد قدم ابن جزى لتفسيره (التسهيل لعلوم التنزيل) خطبة، ومقدمتان، أما المقدمتان إحداهما في أبواب نافعة، وقواعد كلية جامعة، وأما الأخرى ففي بيان المعاني التي كثر دورانها في كتاب الله.

وأما خطبة الكتاب فلبيان المنهج والغرض من التأليف، ثم ضمَّن المقدمة الأولى اثنا عشر باباً، منها أبواب لم يسبق إليها المصنف مثل هذا الموضع، كالذي جعل عنوانه : المعاني والعلوم التي تضمنها القرآن، وكالباب الذى خصه للحديث عن الوقف، كما أنه انفرد بين المفسرين–في حدود علمي – بمقدمته الثانية في تفسير معانى اللغات والتي استهدف منها أموراً ثلاثة كما ذكر تيسير تلك الكلمات والمعاني للحفظ، جعلها كالأصول الجامعة لمعاني التفسير، وأخيراً الاختصار بحيث يستغنى عن ذكرها في صلب التفسير.

والذى قصده المفسرون هو تقديم طائفة من العلوم والمباحث المتعلقة بكتاب الله بين يدى الناظر في التفسير لفهمه على أتم وجه ، وقد جرت عادة المفسرين أن يذكروا في مقدمة تفاسيرهم الفنون التي لها تعلق بالتفسير، أو تلك التي تخدم المفسر، وما فعله ابن جزى في مقدمة تفسيره، يعتبر ميزة انفرد بها عن غيره من المفسرين ، خاصة ذكره للمقدمة التي خصها لتفسير معانى اللغات، والتي عرض فيها الكلمات التي كثر دورانها في القرآن الكريم ووردت في أكثر من موضعين (٢) .

---

(١) التسهيل ١٠/١

(٢) علوم القرآن من خلال مقدمات التفسير، د / محمد صفا شيخ إبراهيم حقي ، ط : مؤسسالرسالة،١٤٢٥هـ،٢٠٠٤م .

المبحـــث الأول

نـزول القــرآن الكــريم

أولاً : مدة تنجيم القرآن الكريم :

يرى ابن جزى أن سبب الاختلاف في مدة تنجيم القرآن، يرجع إلى الاختلاف في سن رسول الله ﷺ عند وفاته، قال الإمام ابن جزى رحمه الله : الباب الأوّل : في نزول القرآن على رسول الله ﷺ من أوّل ما بعثه الله بمكة، وهو ابن أربعين سنة، إلى أن هاجر إلى المدينة، ثم نزل عليه بالمدينة إلى أن توفاه الله، فكانت مدّة نزوله عليه عشرون سنة، وقيل كانت ثلاثاً وعشرين سنة على حسب الاختلاف في سنّه ﷺ يوم توفي، هل كان ابن ستين سنة، أو ثلاث وستين سنة؟ وكان ربما تنزل عليه سورة كاملة، وربما تنزل عليه آيات مفترقات، فيضم عليه السلام بعضها إلى بعض حتى تكمل السورة (١) .

ذكر ابن جزى رحمه الله قولين في مدة نزول الوحى على النبي ﷺ .

القول الأول : مدة نزول الوحى عشرون سنة .

القول الثاني : مدة نزول الوحى ثلاث وعشرون سنة .

ويرجع هذا إلى الاختلاف في سنة ﷺ عند وفاته ، هل كان ابن ستين سنه، أم كان ابن ثلاث وستين سنة .

ويبدو أن ابن جزى يرجح القول بأن مدة نزول القرآن كانت عشرين سنة، وذلك لأمرين :

الأول : أنه ذكر القول الثاني بصيغة التمريض "وقيل" مما يدل على تضعيفه لهذا الرأي .

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ابن جزي الكلبي الغرناطي ، ١٢/١،تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، ط: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت: الأولى – ١٤١٦ هـ

الثاني : عند تفسيره لقوله تعالى (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ) [١] ، قال : وفي كيفية إنزاله في ليلة القدر قولان : أحدهما أنه ابتدأ إنزاله فيها، والآخر أنه أنزل القرآن فيها جملة واحدة إلى السماء، ثم نزل به جبريل إلى الأرض بطول عشرين سنة [٢] ، وكذلك عند تفسيره لقوله تعالى (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ) [٣]، ذكر رواية ابن عباس فقال: أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ قال ابن عباس : أنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا في ليلة القدر من رمضان، ثم نزل به جبريل على النبي ﷺ بطول عشرين سنة [٤] .

وأيضاً ما أخرجه البخاري عن عائشة ، وابن عباس قَالاَ : « لَبِثَ النَّبِيُّ ﷺ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ، يُنْزَلُ عَلَيْهِ القُرْآنُ وَبِالْمَدِينَةِ عَشْرَ سِنِينَ »[٥] .

وقد اختلف العلماء في تحديد مدة نزول القرآن الكريم على الرسولﷺ على أقوال :

١ – أنها عشرون سنة : روي عن ابن عباس، وعكرمة، والشعبي، وقتادة، واختاره ابن جزي الكلبي [٦] . ورجح هذا القول الزركشي في البرهان، مستنداً إلى حديث ابن عباس [٧] .

---

(١) سورة القدر ،آية ١

(٢) التسهيل ،٤٩٩/٢

(٣) سورة البقرة ،آية ١٨٥

(٤) التسهيل ،١١١/١

(٥) صحيح البخاري : كتاب فضائل القرآن ، بَابٌ: كَيْفَ نَزَلَ الوَحْيُ، وَأَوَّلُ مَا نَزَلَ ٤٩٧٨ ، تحقيق : محمد زهير بن ناصر الناصر ، ط : دار طوق النجاة ، الأولى ١٤٢٢ هـ

(٦) فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة، لأبي عبد الله محمد بن أيوب بن يحيى بن الضريس بن يسار الضريس البجلي الرازي، بَابُ كَيْفَ أُنْزِلَ الْقُرْآنُ؟ وَفِي كَمْ أُنْزِلَ؟ ص ٧٢ ،تحقيق:غزوة بدير، دار الفكر، دمشق – سورية ، الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٧ م .

(٧) البرهان في علوم القرآن : أبو عبد الله بدر الدين محمد بن بهادر الزركشي ٢٢٨/١ تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، الأولى ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧م ، ط: دار إحياء الكتب العربية عيس .

٢ – أنها ثلاث وعشرون سنة. وهو قول الجمهور (١) . ، ويؤيده حديث ابن عباس، قَالَ: «أُنْزِلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِينَ، فَأَقَامَ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَبِالمَدِينَةِ عَشْرًا، وَتُوُفِّيَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ (٢) وأيد ابن كثير قول ابن عباس في نزول القرآن في ثلاث وعشرين سنة ، برواية عكرمة عنه ، حيث قال : وقوله:﴿ وَقُرْآناً فَرَقْناهُ﴾ (٣) أما قراءة من قرأ بالتخفيف فمعناه فصلناه من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا، ثم نزل مفرقاً منجماً على الوقائع إلى رسول الله ﷺ في ثلاث وعشرين سنة، قاله عكرمة عن ابن عباس (٤) .

٣ – أنها خمس وعشرون سنة. وهو قول من يذهب إلى أن الرسول ﷺعاش خمساً وستين سنة خلافاً للمشهور(٥) ، وهذا القول لم يذكره ابن جزى .

ومنشأ هذا الاختلاف: هو الخلاف في مدة إقامته ﷺ بمكة بعد البعثة فقيل: ثمان، وقيل عشر، وقيل ثلاث عشرة، وقيل خمس عشرة سنة، بناء على اختلاف الروايات في ذلك، فإذا أضيف إليها عشر سنين وهي مدة إقامته ﷺبالمدينة بعد الهجرة المتفق عليها.

وهذا ما ذهب إليه الإمام الزركشي في البرهان حيث قال : وكان بين أول نزول القرآن وآخره عشرون، أو ثلاث وعشرون، أو خمس

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي ١ / ١٤٩ ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤ م

(٢) أخرجه البخاري كتاب مناقب الأنصار باب هجرة النبيﷺ وأصحابه إلى المدينة (٣٦٨٩) ، والترمذي ، كتاب المناقب، بَابٌ فِي مَبْعَثِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَابْنُ كَمْ كَانَ حِينَ بُعِثَ ؟ (٣٦٢١) ، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح .

(٣) سورة الإسراء ، آية ١٠٦ .

(٤) تفسير القرآن العظيم . ابن كثير ٥ / ١١٦، تحقيق : محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت – الأولى ١٤١٩ هـ

(٥) البرهان في علوم القرآن ١ / ٢٢٨ ، الاتقان ١ / ١٤٩ .

وعشرون سنة ، وهو مبني على الخلاف في مدة إقامته ﷺ بمكة بعد النبوة فقيل عشر، وقيل ثلاث عشرة ، وقيل خمس عشرة ، ولم يختلف في مدة إقامته بالمدينة أنها عشر (١) ، وبه قال الإمام الألوسي عند تفسير سورة القدر (٢) .

قال الإمام ابن كثير : أما إقامته بالمدينة عشراً ، فهذا مما لا خلاف فيه، وأما إقامته بمكة بعد النبوة ، فالمشهور ثلاث عشرة سنة ؛ لأنه عليه السلام أوحى إليه وهو ابن أربعين سنة ، وتوفى وهو ابن ثلاث وستين سنة على الصحيح ، ويحتمل أنه حذف ما زاد على العشر اختصاراً في الكلام ، لأن العرب كثيراً ما يحذفون الكسور في كلامهم، أو أنهما إنما اعتبرا قرن جبريل عليه السلام به عليه السلام(٣) فينتج عن ذلك الأقوال السابقة.

يقول الدكتور أبو شهبة : وقد اختلف العلماء في مدة هذا النزول؛ فقيل: عشرون سنة ، وقيل : ثلاث وعشرون سنة ، وقيل : خمس وعشرون سنة .

ومنشأ هذا الاختلاف إنما هو اختلافهم في مدة مقامه ﷺ بمكة ؛ فقيل عشر سنين ، وقيل: ثلاث عشرة ، وقيل: خمس عشرة ، وأقربها إلى الحق والصواب هو أوسطها (٤) . والمشهور هو الرأي الثاني (٥) .

وحاول ابن حجر رحمه الله، الجمع بين القولين فقال : والمعتمد

---

(١) البرهان في علوم القرآن، الزركشي ،٢٣٢/١ .

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي،٤١٢/١٥،تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، الأولى، ١٤١٥ هـ .

(٣) فضائل القرآن :ابن كثير ، ص ٣٦ : مكتبة ابن تيمية ، الأولى ١٤١٦ هـ .

(٤) المدخل لدراسة القرآن الكريم: محمد أبو شُهبة،صـ٥٧

(٥) مناهل العرفان ٥٢/١، مباحث في علوم القرآن: مناع بن خليل القطان ١ / ١٠٣، ط : مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م ، تاريخ نزول القرآن ، د/ محمد رأفت السعيد ، ص ٣٧ .

أنه ﷺ عاش ثلاثاً وستين سنة وأن ما ورد مما يخالف ذلك فهو محمول إما على إلغاء الكسر في السنين أو جبر الكسر في الشهور (١) .

وعلى هذا يظهر أن القول بأن مدة النزول عشرون عاماً ، أو ثلاثة وعشرون عاماً، كالقول الواحد ، والعرب يتجاوزون عن الكسور في كلامهم، وهو الأقرب للصواب ، جمعاً بين الأدلة ، والله أعلم .

ثانياً : نزول القرآن منجماً : قال ابن جزى رحمه الله : وربما تنزل عليه آيات مفترقات، فيضم عليه السلام بعضها إلى بعض حتى تكمل السورة .

وعند تفسيره لقوله تعالى﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴾ (٢) قال: وقيل: على طول مدة نزوله شيئاً فشيئاً من حين بعث النبي ﷺ إلى وفاته، وذلك عشرون سنة، وقيل ثلاث وعشرون(٣) .

وعند تفسيره لقوله تعالى ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴾ (٤) تحدث الإمام عن حِكم تنجيم القرآن فقال : اعتراضات قريش لأنهم قالوا لو كان القرآن من عند الله لنزل جملة واحدة كما نزلت التوراة والإنجيل كَذلِكَ ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ ﴾هذا جواب لهم تقديره: أنزلناه كذلك مفرقاً لنثبت به فؤاد محمد ﷺ لحفظه : ولو نزل جملة واحدة لتعذر عليه حفظه لأنه أمي لا يقرأ، فحفظ المفرق عليه أسهل، وأيضاً فإنه نزل بأسباب مختلفة تقتضي أن ينزل كل جزء منه عند حدوث سببه، وأيضاً منه ناسخ ومنسوخ، ولا يتأتى ذلك فيما ينزل جملة واحدة﴿ وَرَتَّلْناهُ تَرْتِيلًا ﴾ أي فرقناه تفريقاً فإنه نزل بطول عشرين سنة (٥) .

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني ، ١٠/٩،ط: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ

(٢) الإسراء ،آية ١٠٦

(٣) التسهيل ،٤٥٥/١

(٤) الفرقان آية ٣٢

(٥) التسهيل ،٨٢/٢

وقد دل القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة أن القرآن الكريم كان ينزل على النبي ﷺ مفرقًا إلى أجزاء كل جزء منها يسمى نجمًا .

وقد تتابع نزول القرآن خلال هذه المدة الطويلة، فكانت تنزل السورة مرة، وتنزل الآية أو الآيات مرة أخرى، فيقول الرسولﷺ: ضعوا هذه الآية في موضع كذا من سورة كذا، حتى تم نزول هذا الكتاب الكريم قبيل وفاة النبيّ ﷺ

فالقرآن لم ينزل جملة واحدة ، وإنما نزل مفرقاً حسب الوقائع وهذا أمر مقطوع به من دين الإسلام وذلك خلافاً للكتب السماوية السابقة .

قال الإمام السيوطى : الذى اسْتُقْرِئَ من الأحاديث الصحيحة وغيرها أن القرآن كان ينزل بحسب الحاجة خمس آيات وعشراً وأكثر وأقل، ، وقد صح نزول عشر آيات في قصة الإفك جملة (١) ، وصح نزول عشر آيات من أول المؤمنين جملة (٢) ، وصح نزول "غَيْرَ أُولِي الضَّرَرِ" (٣) وحدها ،

---

(١) قال ابن عطية:" إِنَّ الَّذِينَ جاؤُ بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ" النور ١١، هذه الآية وما بعدها إلى ست عشرة آية أنزلت في عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وما اتصل بذلك من أمر «الإفك»المحررالوجيز،١٦٨/٤، والحديث أخرجه البخارى ،كتاب المغازى، باب حديث الإفك،٣٩١٠

(٢) أخرج الحاكم عن عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ قال : كَانَ إِذَا أُنْزِلَ الْوَحْيُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُسْمَعُ عِنْدَ وَجْهِهِ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ، فَمَكَثْنَا سَاعَةً، فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ وَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: "اللَّهُمَّ زِدْنَا وَلَا تَنْقُصْنَا، وَأَكْرِمْنَا وَلَا تُهِنَّا، وَأَعْطِنَا وَلَا تَحْرِمْنَا، وَآثِرْنَا وَلَا تُؤْثِرْ عَلَيْنَا، وَأَرْضِنَا وَارْضَ عَنَّا"، ثُمَّ قَالَ: "لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيْنَا عَشْرُ آيَاتٍ مَنْ أَقَامَهُنَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ" ثُمَّ قَرَأَ: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ} إِلَى عَشْرِ آيَاتٍ، أخرجه الحاكم (المستدرك: ٣٩٣/٢)، ومسند الإمام أحمد ، مسند عمر بن الخطاب (٢١٨)

(٣) النساء آية ٩٥

وهى بعض آية (١) . (٢) .

وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (أنزل الله القرآن إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، فكان الله إذا أراد أن يوحي منه شيئًا أوحاه أو أن يحدث منه في الأرض شيئًا أحدثه) (٣) .

وعن عثمان ﷺ { كَانَ رَسُولُ اللَّهِﷺ مِمَّا يَأْتِي عَلَيْهِ الزَّمَانُ وَهُوَ تَنْزِلُ عَلَيْهِ السُّوَرُ ذَوَاتُ الْعَدَدِ فَكَانَ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الشَّيْءُ دَعَا بَعْضَ مَنْ كَانَ يَكْتُبُ فَيَقُولُ ضَعُوا هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا وَإِذَا نَزَلَتْ عَلَيْهِ الآية فَيَقُولُ ضَعُوا هَذِهِ الآية فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا } (٤) .

---

(١) أخرج البخاري عن سَهْلُ بْنُ سَعْدٍ السَّاعِدِيُّ، أَنَّهُ رَأَى مَرْوَانَ بْنَ الحَكَمِ فِي المَسْجِدِ، فَأَقْبَلْتُ حَتَّى جَلَسْتُ إِلَى جَنْبِهِ، فَأَخْبَرَنَا أَنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ أَخْبَرَهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمْلَى عَلَيْهِ: {لاَ يَسْتَوِي القَاعِدُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ} [النساء: ٩٥] {وَالمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} [النساء: ٩٥]، فَجَاءَهُ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ وَهْوَ [ص:٤٨] يُمِلُّهَا عَلَيَّ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ لَوْ أَسْتَطِيعُ الجِهَادَ لَجَاهَدْتُ، وَكَانَ أَعْمَى، «فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ، وَفَخِذُهُ عَلَى فَخِذِي، فَثَقُلَتْ عَلَيَّ حَتَّى خِفْتُ أَنْ تَرُضَّ فَخِذِي، ثُمَّ سُرِّيَ عَنْهُ »، فَأَنْزَلَ اللَّهُ : (غَيْرَ أُولِي الضَّرَرِ)، صحيح البخاري ، كتاب التفسير، باب : " لاَ يَسْتَوِي القَاعِدُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ " ، (٤٥٩٢) أسباب النزول القرآن : الواحدي ، النيسابوري ١ / ١٧٦ ، تحقيق : عصام بن عبد المحسن الحميدان : دار الإصلاح – الدمام ، الثانية ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م

(٢) الإتقان في علوم القرآن ،١٥٦/١،مباحث في علوم القرآن: صبحي الصالح، صـ٤٩ ، دار العلم للملايين – الرابعة ٢٠٠٠

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب التفسير(٢) ٢٢٢ ، وقال عقبه هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، الدر المنثور ١/ ٤٥٦، ٤٥٧.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة التوبة ٣ ٢٧٢ (٣٠٨٦) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب من جهر بها ١/ ٢٠٨) (٧٨٦، ٧٨٧)، وأخرجه ابن أبي داود في المصاحف، خبر قران سورة الأنفال بالتوبة ٢٣٠، وأخرجه الإمام أحمد في المسند ١ ٥٧ ٦٩، وأخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب التفسير، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٢) (٢٢٠) وكتاب التفسير، باب تفسير سورة التوبة ٢/ ٣٣٠، وقال عقبه هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى كتاب الصلاة ١ ٤٢، والحديث حسن لغيره.

وكان نزول القرآن على غير الترتيب الذي نقرؤه الآن في السور الكريمة، بل كان ذلك الترتيب من بعد النزول بعمل النبي ﷺ بوحي من الله تعالى، فكان عليه السلام يقول لهم كما نُقل (ضعوا آية كذا في موضع كذا) (١) فتكون بجوارها متسقة متلاحقة المعنى مترابطة متناسقة اللفظ تلتقي بها كأنها لقف معها، وكأنهما كلام واحد قيل في زمن واحد أحدهما لاحق والآخر سابق، وكأن المتكلم قالهما في نفس واحد من غير زمن بينهما يتراخى أو يتباعد، وذلك من سر الإعجاز ولا غرابة في ذلك لأن القائل واحد وهو الله سبحانه (٢) كما أن تنجيم القرآن مع الدعوة إلى معارضته ،وقيام دواعي التحدي دليل على عجز العرب عن مماثلته في كل نجم ينزل من القرآن الكريم على رسول اللهﷺ ، مع أنه من حين إلى آخر ومن نجم إلى نجم يستثيرهم ، ولكن أنى لهم معارضته فهو كلام رب العالمين الذى تنقطع دونه الحيل.

(١) أخرجه الترمذي ، أَبْوَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِﷺ، بَابٌ: وَمِنْ سُورَةِ التَّوْبَةِ(٣٠٨٦)قال أبو عيسى هذا حديث حسن لا نعرفه إلا من حديث عوف، عن يزيد الفارسي، عن ابن عباس»

(٢) نزول القرآن والعناية به في عهد النبي ﷺ: عبد الودود مقبول حنيف، صـ٥٢: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة

المبحث الثاني

أول ما نزل وآخر ما نزل من القرآن الكريم

تعددت الأقوال المسندة إلى الصحابة والتابعين في أول ما نزل وفى آخر ما نزل من آيات القرآن الكريم .

أولاً : أول ما نزل من القرآن الكريم :

عرض ابن جزى في تفسيره لهذه الأقوال حيث قال :وأوّل ما نزل عليه من القرآن: صدر سورة العلق، ثم المدّثّر والمزمل، وقيل: أوّل ما نزل المدّثّر وقيل: فاتحة الكتاب، والأوّل هو الصحيح لما ورد في الحديث الصحيح، عن عائشة في حديثها الطويل في ابتداء الوحي قالت فيه: (جاءه الملك وهو بغار حراء، قال اقرأ، قال ما أنا بقارئ، قال فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال اقرأ، قلت ما أنا بقارئ، قال فأخذني فغطني الثانية، حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال اقرأ، قلت ما أنا بقارئ، قال فأخذني وغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، ثم قال: قْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ،خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ،عَلَّمَ الْإِنْسانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ، فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، – فقال زمّلوني زمّلوني، فزمّلوه حتى ذهب عنه ما يجد من الروع»، وفي رواية من طريق جابر بن عبد الله: فقال رسول الله ﷺزمّلوني فأنزل الله تعالى يا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) .

أشار ابن جزى إلى الأقوال المختلفة في أول ما نزل من القرآن الكريم ،ورجح أن أول ما نزل صدر سورة العلق ،واعتبره القول الصحيح ، واستدل عليه بحديث أم المؤمنين عائشة وهذا ما ذهب إليه عند تفسير سورة العلق قال: (سورة العلق) نزل صدرها بغار حراء، وهو أول ما نزل

(١) التسهيل لعلوم التنزيل ،١٣/١

من القرآن حسبما ورد عن عائشة في الحديث الذي ذكرناه في أول الكتاب (١) .

قال القرطبي: هذه السورة أول ما نزل من القرآن، في قول معظم المفسرين نزل بها جبريل على النبي ﷺ وهو قائم على حراء، فعلمه خمس آيات من هذه السورة. وقيل: إن أول ما نزل ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ ، قاله جابر بن عبد الله، وقيل: فاتحة الكتاب أول ما نزل ، قاله أبو ميسرة الهمداني (٢) ، وقال علي بن أبي طالب ﷺ: أول ما نزل من القرآن ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ (٣) والصحيح الأول (٤) .

قال الإمام السيوطي : وقد اخْتُلِفَ فِي أَوَّلِ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلَى أَقْوَالٍ: أَحَدُهَا وَهُوَ الصَّحِيحُ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ رَوَى الشَّيْخَانِ وَغَيْرُهُمَا عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: "أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺمِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ فِي النَّوْمِ فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ فَكَانَ يَأْتِي حِرَاءَ فَيَتَحَنَّثُ (٥) فِيهِ اللَّيَالِي ذَوَاتِ الْعَدَدِ وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهِ عَنْهَا فَتُزَوِّدُهُ لِمِثْلِهَا حَتَّى فَجَأَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءَ فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فِيهِ فَقَالَ: اقْرَأْ قَالَ ﷺ: فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل،٤٩٦/٢

(٢) عمرو بن شرحبيل أبو ميسرة الهمداني الكوفي، كان إمام مسجد بني وادعة من العباد الأولياء، مات في ولاية عبيد الله بن زياد ،سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ١٣٥/٤، ط : مؤسسة الرسالة ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١ م .

(٣) الأنعام ، آية ١٥١ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ١١٧/٢٠ ، تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، ط : دار الكتب المصرية القاهرة .

(٥) حنث : الْحِنْثُ : الْخُلْفُ فِي الْيَمِينِ . حَنِثَ فِي يَمِينِهِ حِنْثًا وَحَنَثًا : لَمْ يَبَرَّ فِيهَا ، وكان يتحنث في الليالي أي يتعبد، قال ابن سيده : وهذا عندي على السلب، كأنه ينفي بذلك الحنث الذي هو الإثم، عن نفسه، لسان العرب، جمال الدين ابن منظور،١٣ /١٣٤،مادة حنث، دار صادر، بيروت، الثالثة ، ١٤١٤ هـ

فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَغَطَّنِي الثَّانِيةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ حَتَّى بَلَغَ: ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ ... " الْحَدِيثَ (١) .

والقول بأن أول ما نزل على الإطلاق (إقرأ) هو الراجح في قول أكثر المفسرين، والعلماء ، كما قال ابن جزى، ويراه الإمام الباقلاني : أثبت الأقوال (٢) ، وينقل ابن عطية عن الزهري أنه الأصح في رأى جمهور العلماء ويوافقهم (٣) ، ويقول الإمام النووي بعد شرح حديث أم المؤمنين عائشة "هذا دليل صريح في أول ما نزل من القرآن (إقرأ)، وهذا هو الصواب الذى عليه الجماهير من السلف والخلف (٤) ، ورجحه أبو حيان (٥) .

---

(١) أخرجه البخاري، بَابُ بَدْءِ الوَحْيِ، كَيْفَ كَانَ بَدْءُ الوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟(٧)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺوسننه وأيامه ، ،تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، الأولى ١٤٢٢هـ ، ومسلم – بَابُ بَدْءِ الوحي: (١٦٠) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول اللهﷺ:،تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت

(٢) الانتصار للقرآن ، القاضي أبو بكر الباقلاني ،صـ٢٣٩تحقيق: د. محمد عصام القضاة، دار الفتح – عَمَّان، دار ابن حزم – بيروت: الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١ م

(٣) المحرر الوجيز ٥ / ٥٠١ .

(٤) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لأبى زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي ،٢٠٧/٢،: دار إحياء التراث العربي – بيروت: الثانية، ١٣٩٢

(٥) البحر المحيط في التفسير، لأبى حيان ١٠ / ٥٠٦ ، تحقيق : صدقي محمد جميل ، دار الفكر – بيروت ١٤٢٠ هـ .

القول الثاني : أول ما نزل قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ واستدل أصحاب هذا القول بما رواه الشيخان عن سلمة بن عبد الرحمن قال: سألت جابر بن عبد الله، أي القرآن أنزل قبل، قال : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾قلت: أو﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ قال: أحدثكم ما حدثنا به رسولﷺ: "إني جاورت بحراء فلما قضيت جواري نزلت فاستبطنت الوادي فنظرت أمامي وخلفي وعن يميني وشمالي ثم نظرت إلى السماء فإذا هو يعني جبريل فأخذتني رجفة فأتيت خديجة فأمرتهم فدثروني فأنزل الله: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ (١) ،

وقد ذكر الإمام ابن جزى رحمه الله هذا القول بصيغة التمريض ، مما يدل على تضعيفه له ، ويراه الإمام النووي باطلاً حيث قال : قوله (إن أول ما أنزل قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ ضعيف، بل باطل، والصواب أن أول ما أنزل على الإطلاق (اقرأ باسم ربك) كما صرح به في حديث عائشة رضي الله عنها، وأما ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ فكان نزولها بعد فترة الوحي كما صرح به في رواية الزهري، عن أبي سلمة، عن جابر، والدلالة صريحة فيه في مواضع منها قوله وهو يحدث عن فترة الوحي إلى أن قال فأنزل الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ ومنها قوله ﷺ فإذا الملك الذي جاءني بحراء ثم قال فأنزل الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ومنها قوله: ثم تتابع لوحي يعني بعد فترته، فالصواب أنّ أول ما نزل" اقرأ " وأن أول ما نزل بعد فترة الوحى ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ (٢) .

---

(١) أخرجه البخاري كتاب بدء الوحي، باب كَيْفَ كَانَ بَدْءُ الوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ (٣) مسلم كتاب الإيمان بَابُ بَدْءِ الْوَحْيِ (١٦١)

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم ،٢/٢

القول الثالث : أن أول ما نزل سورة الفاتحة : [١] ورجح هذا القول الإمام الزمخشري ، فقال في الكشاف : ذهب ابن عباس ومجاهد إلى أن أول سورة نزلت " اقرأ " وأكثر المفسرين إلى أن أول سورة نزلت فاتحة الكتاب [٢] ، [٣] . وقد ردّ الإمام النووي هذا القول حيث قال : وأما قول من قال من المفسرين أول ما نزل الفاتحة فبطلانه أظهر من أن يذكر والله أعلم [٤] قال ابن حجر: وأما الذي نسبه إلى الأكثر، فلم يقل به إلا عدد أقل من القليل بالنسبة إلى من قال بالأول [٥] قال الإمام أبوبكر الباقلاني: هذا الخبرُ مُنقطِع غيرُ متصل السند، لأنّه موقوف على أبي ميسرةَ، وأثبتُ الأقاويل من خلاف الصحابةِ قولُ مَن قال: إنَّ أولَ ما أُنزل:﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾، وما يليه في القوةِ قولُ جابر، ومَن قال أول ذلك ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ [٦] قال الدكتور فضل

---

(١) وَحُجَّتُهُ مَا أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي الدَّلَائِلِ وَالْوَاحِدِيُّ مِنْ طَرِيقِ يُونُسَ بْنِ بُكَيْرٍ عَنْ يُونُسَ بْنِ عَمْرٍو عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي مَيْسَرَةَ عَمْرِو بْنِ شُرَحْبِيلَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِخَدِيجَةَ: "إِنِّي إِذَا خَلَوْتُ وَحْدِي سَمِعْتُ نِدَاءً فَقَدْ وَاللَّهِ خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ هَذَا أَمْرًا "، فَقَالَتْ: مَعَاذَ اللَّهِ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَفْعَلَ بِكَ فَوَاللَّهِ إِنَّكَ لَتُؤَدِّي الْأَمَانَةَ وَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ. فَلَمَّا دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ ذَكَرَتْ خَدِيجَةُ حَدِيثَهُ لَهُ وَقَالَتْ: اذْهَبْ مَعَ مُحَمَّدٍ إِلَى وَرَقَةَ. فَانْطَلَقَا فَقَصَّا عَلَيْهِ فَقَالَ: "إِذَا خَلَوْتُ وَحْدِي سَمِعْتُ نِدَاءً خَلْفِي: يَا مُحَمَّدُ يَا مُحَمَّدُ! فَأَنْطَلِقُ هَارِبًا فِي الْأُفُقِ "، فَقَالَ: لَا تَفْعَلْ إِذَا أَتَاكَ فَاثْبُتْ حَتَّى تَسْمَعَ مَا يَقُولُ ثُمَّ ائْتِنِي فَأَخْبِرْنِي فَلَمَّا خَلَا نَادَاهُ: يَا مُحَمَّدُ قُلْ: {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} حَتَّى بَلَغَ: {وَلا الضَّالِّينَ} " الْحَدِيثَ. هَذَا مُرْسَلٌ رِجَالُهُ ثِقَاتٌ، الاتقان للسيوطي ٩٤/١، أخرجه البيهقي، انظر دلائل النبوة،١٥٨/٢: دار الكتب العلمية – بيروت، الأولى – ١٤٠٥ هـ

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري ،٧٧٥/٤، ط: دار الكتاب العربي، بيروت، الثالثة –١٤٠٧ هـ

(٣) الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي،٩٥/١

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم ٢٠٨/٢

(٥) فتح الباري، علي بن حجر العسقلاني،٧١٤/٨، ط: دار المعرفة بيروت، ،١٣٧٩م

(٦) الانتصار للقرآن، لأبى بكر الباقلاني ، ٢٤١/١

عباس: ولكن مع وجاهة ما ذهب إليه هذا الإمام من حيث الدليل العقلي، فإن ذلك يمكن أن يقبل إذا لم يتعارض مع النص الصريح، وحديث السيدة عائشة في صحيح البخاري، لا ينبغي أن يقدم عليه قول [١] . وممن رجح هذا القول من المحدثين : الأستاذ محمد عبده [٢] ، وتعقبه بالرد الشيخ رشيد رضا [٣] [٤] .

الترجيح بين الأقوال :

رجح ابن جزى رحمه الله بأولية صدر سورة العلق ، ورجحه على القول بأولية سورة المدثر ، وضعف القول بأولية سورة الفاتحة

وقد سلك بعض العلماء مسلك الجمع بين أولية سورة العلق، وأولية سورة المدثر ويحملون أولية المدثر في الروايات على ما بعد فتور الوحي.

قال الإمام الزركشي: وجمع بعضهم بينهما بأن جابراً سمع النبي ﷺ يذكر قصة بدء الوحي فسمع آخرها ولم يسمع أولها فتوهم أنها أول ما نزلت وليس كذلك نعم هي أول ما نزل بعد سورة: "اقرأ" وفترة الوحي لما ثبت في الصحيحين أيضا عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يحدث عن فترة الوحي قال في حديثه: "بينما أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين

---

(١) اتقان البرهان في علوم القرآن د/فضل حسن عباس صـ١٧١،ط،دار الفرقان ، الأولى سنة ١٩٩٧م

(٢) محمد عبده بن حسن خير الله، من آل التركماني مفتي الديار المصرية، ومن كبار رجال الإصلاح والتجديد، (١٢٦٦ – ١٣٢٣ هـ، الأعلام، خير الدين، الزركلي ،٢٥٣/٦، دار العلم للملايين، الخامسة، ٢٠٠٢ م

(٣) محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بَهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني ، البغدادي الأصل، الحسيني النسب: صاحب مجلة (المنار) وأحد رجال الإصلاح الإسلامي. من الكتّاب، العلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير، (١٢٨٢ – ١٣٥٤ هـ، الأعلام ١٢٦/٦

(٤) تفسير المنار، محمد رشيد رضا ، جـ١، صـ٣٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م

السماء والأرض فجثثت منه فرقاً فرجعت فقلت زملوني زملوني" فأنزل الله تبارك وتعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ فقد أخبر في هذا الحديث عن الملك الذي جاءه بحراء قبل هذه المرة وأخبر في حديث عائشة أن نزول: "اقرأ" كان في غار حراء وهو أول وحي ثم فتر بعد ذلك وأخبر في حديث جابر أن الوحي تتابع بعد نزول ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾فعلم بذلك أن: "اقرأ" أول ما نزل مطلقاً وأن سورة المدثر بعده وكذلك قال ابن حبان في صحيحه لا تضاد بين الحديثين بل أول ما نزل ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ بغار حراء فلما رجع إلى خديجة رضي الله عنها وصبت عليه الماء البارد أنزل الله عليه في بيت خديجة﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ فظهر أنه لما نزل عليه : " اقرأ " رجع فتدثر فأنزل عليه ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ (١) .

والذي رجحه ابن جزى هو الصواب وعليه جمهور العلماء من السلف والخلف . قال ابن عطية : واختلف الناس في أول ما نزل من كتاب الله تعالى فقال جابر بن عبد الله وأبو سلمة والنخعي ومجاهد هو﴿ يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ الآيات. وقال الزهري والجمهور هو ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ وهذا هو الأصح (٢) ورجحه ابن كثير حيث قال: فأول شيء نزل من القرآن هذه الآيات الكريمات المباركات، وهن أول رحمة رحم الله بها العباد وأول نعمة أنعم الله بها عليهم (٣)

قلت: والمتدبر لهاتين الروايتين يحمل إحداهما على الأخرى فالرواية الثانية، تبين لنا صراحة أن جابراًﷺ كان يتحدث عن فترة الوحي، ومعنى

---

(١) البرهان في علوم القرآن، الزركشى،٢٠٧/١تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الأولى، ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لأبى محمد بن عطية الأندلسي،٣٩٢/٥، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير،٤٢٨/٨، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الأولى – ١٤١٩ هـ

هذا أن سورة (أقرأ) هي أول سورة نزلت، ثم فتر الوحي بعدها، وبعد الفترة نزلت أوائل سورة (المدثر)، فلا إشكال، وعلى هذا فلا تعارض بين الروايتين، رواية جابر ورواية عائشة، والقول بأن جابراً قال ذلك اجتهاداً قول مردود .

ثانياً: آخر ما نزل :

وقع اختلاف كثير في آخر ما نزل من كتاب الله تعالى ،وليس في هذا الموضوع أحاديث مرفوعة إلى النبي ﷺ، وإنما هي آثار مروية عن بعض الصحابة، والتابعين، استنتجوها مما شاهدوه من نزول الوحي، وملابسات الأحوال، وقد يسمع أحدهم ما لا يسمعه الآخر ويرى ما لا يرى الآخر، فمن ثم كثر الاختلاف بين السلف والعلماء، في آخر ما نزل وتعددت الأقوال وتشعبت الآراء.

قال ابن جزى رحمه الله: وآخر ما نزل (إِذا جاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ) وقيل آية الربا التي في البقرة، وقيل الآية قبلها (١) .

وعند تفسيره لقوله تعالى ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾ (٢) قال : وقيل إنّ آخر آية نزلت آية الربا، وقيل بل قوله : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾، الآية . وقيل آية " الدين" المذكورة بعد (٣) .

ويلاحظ أن الإمام زاد هنا آية الدين، وعلى هذا فقد ذكر الإمام أربعة أقوال في آخر ما نزل.

القول الأول : أن آخر ما نزل سورة ﴿إِذا جاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ فعند تفسيره للسورة الكريمة، قال: نزلت بمني في حجة الوداع فتعد مدنية

---

(١) التسهيل ١٢/١

(٢) البقرة آية ٢٨١

(٣) التسهيل ١٣٨/١

وهي آخر ما نزل من سور القرآن [١] .

قال الإمام الزمخشري : وهي آخر ما نزل من السور [٢]

وأخرج مسلم عن ابن عباس قال :"تَعْلَمُ آخِرَ سُورَةٍ نَزَلَتْ مِنَ الْقُرْآنِ، نَزَلَتْ جَمِيعًا؟ قُلْتُ: «نَعَمْ، إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ»، قَالَ: صَدَقْتَ " [٣] ، وحُمل ذلك على أن السورة آخر ما نزل مُشعراً بوفاة النبي ﷺ كما فهم بعض الصحابة، أو أنها آخر ما نزل من السور، وهو ما ذكره ابن جزى. ويمكن القول إن آخر سورة نزلت تامة هي سورة (النصر) كما جاء في الأحاديث، وأنها نعت إلى النبي ﷺ نفسه، وليس في السور المدنية من قصار السور إلا هذه السورة .

القول الثاني : آية " الربا" التي في البقرة، ويؤيد هذا ما روى البخاري عن ابن عباس رضي اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ «آخِرُ آيَةٍ نَزَلَتْ عَلَى النبي ﷺ آيَةُ الرِّبَا» [٤]

القول الثالث: آخر ما نزل، قوله تعالى (وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ)

قال ابن عطية : ومعنى هذا عندي أنها من آخر ما نزل، لأن جمهور الناس وابن عباس والسدي والضحاك وابن جريج وغيرهم، قال: آخر آية قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [٥] .

ورجح هذا القول الإمام القرطبي ويراه الأصح والأشهر [٦] ، وعليه

---

(١) التسهيل ٥٢٠/٢

(٢) الكشاف ٨١٠/٤

(٣) صحيح مسلم ، كتاب التفسير، (٣٠٢٤)

(٤) صحيح البخاري ، كتاب التفسير باب ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾ رقم (٤٥٤٤)

(٥) المحرر الوجيز، ٣٧٨/١

(٦) تفسير القرطبي ٣٧٥/٣

أكثر العلماء (١) .

قال الإمام السيوطي: إن آخر ما نزل قول الله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾. أخرجه النسائي من طريق عكرمة عن ابن عباس وكذلك أخرج ابن أبي حاتم (٢) قال: آخر ما نزل من القرآن كله ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ الآية. وعاش النبي ﷺ بعد نزولها تسع ليال ثم مات لليلتين خلتا من ربيع الأول (٣) .

قال الشيخ الزرقاني : ولكن النفس تستريح إلى أن آخر هذه الثلاثة نزولاً هو قول الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴾وعلل ذلك با تحمله الآية من معنى يصلح أن يختم به الوحى من الله ، وللتنصيص في رواية ابن أبى حاتم من أن النبى عاش بعد نزولها تسع ليالٍ فقط ، بينما لم تظفر الآيات الأخرى بنص مثله (٤) .

ويجمع بين هذه القولين الثاني، والثالث ، بأن هذه الآيات نزلت دفعة واحدة كترتيبها في المصحف، آية الربا، فآية ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً ﴾ فآية الدين، لأنها في قصة واحدة، فأخبر كل راوٍ عن بعض ما نزل بأنه آخر، وذلك صحيح، وبهذا لا يقع التنافر بينها، فهما كالقول الواحد.

---

(١) فتح الباري ٨ / ٢٨٥ ، المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، لأبي شامة ، صـ٣١،تحقيق : طيار آلتي قولاج ،دار صادر – بيروت، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥ م تفسير الرازي ٧ / ٨٧ .

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم،٥٥٤/٢،تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية،الثالثة١٤١٩ هـ

(٣) الاتقان ٩٧/١، تفسير القرآن العظيم لابن أبى حاتم ،٥٥٤/٢

(٤) مناهل العرفان في علوم القرآن ،محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (المتوفى: ١٣٦٧هـ) ٩٨/١، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثالثة

قال الإمام السيوطي : قلت : ولا منافاة عندي بين هذه الروايات في آية الربا : ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً﴾ وآية الدين لأن الظاهر أنها نزلت دفعة واحدة كترتيبها في المصحف ولأنها في قصة واحدة فأخبر كل عن بعض ما نزل بأنه آخر وذلك صحيح وقول البراء: آخر ما نزل : ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ (١) ، أي في شأن الفرائض، وقال ابن حجر في شرح البخاري: طريق الجمع بين القولين في آية الربا: ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً ﴾ أن هذه الآية هي ختام الآيات المنزلة في الربا إذ هي معطوفة عليهن ويجمع بين ذلك وبين قول البراء بأن الآيتين نزلتا جميعاً فيصدق أن كلاً منهما آخر بالنسبة لما عداهما، ويحتمل أن تكون الآخرية في آية النساء مقيدة بما يتعلق بالمواريث بخلاف آية البقرة ، ويحتمل عكسه والأول أرجح لما في آية البقرة من الإشارة إلى معنى الوفاء المستلزمة لخاتمة النزول انتهى(٢) ، وفي المستدرك عن أبي بن كعب قال: آخر آية نزلت: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ (٣) ﴾ إلى آخر السورة (٤) .

قال القاضي أبو بكر في الانتصار: هذه الأقوال ليس فيها شيء مرفوع إلى النبي ﷺ وكل قاله بضرب من الاجتهاد وغلبة الظن، ويحتمل أن كلا منهم أخبر عن آخر ما سمعه من النبيﷺ في اليوم الذي مات فيه، أو قبل مرضه بقليل، وغيره سمع منه بعد ذلك وإن لم يسمعه هو، ويحتمل أيضاً أن تنزل هذه الآية التي هي آخر آية تلاها الرسولﷺ مع آيات نزلت معها فيؤمر برسم ما نزل معها بعد رسم تلك، فيظن أنه آخر

---

(١) سورة النساء ،آية ١٧٦

(٢) فتح الباري ،٢٠٥/٨

(٣) سورة التوبة ،آية ١٢٨

(٤) انظر، الاتقان ١٠٣/١

ما نزل في الترتيب (١) .

وآخر ما نزل على الاطلاق فيه خلاف ، والتعبير بعبارة(آخر ما نزل) عند السلف على قسمين :

القسم الأول : أن يكون مرادهم الآخرية المطلقة ، وعليه قوله: آخر ما نزل سورة الكوثر.

القسم الثاني : آخرية نسبية ، وعليه قول بعضهم : آخر ما نزل سورة المائدة ، وهى محكمة، ومراده أن جميع آياتها لا يوجد فيها نسخ ،وقول بعضهم :إن آخر ما نزل آية "الربا" مراده الآخرية المطلقة ، وهى من قوله تعالى ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا﴾ إلى قوله ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾.

ومن قال منهم :آخر آية نزلت قوله تعالى (وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ) ، فإنه لا يخالف هذا القول ، لأن الأول ذكر أول الآيات التي نزلت آخراً، والثاني ذكر آخر آية مما نزل آخراً.

قال الإمام البيهقي : قلت: هذا الاختلاف يرجع – والله أعلم – إلى أن كل واحد منهم أخبر بما عنده من العلم، أو أراد أن ما ذكر من أواخر الآيات التي نزلت. والله أعلم (٢)

وقال القاضي أبو بكر في الانتصار: هذه الأقوال ليس فيها شيء مرفوع إلى النبيﷺ ، وكلّ قال ما عنده بضرب من الاجتهاد وغلبة الظن (٣) .

وما ذهب إليه ابن جزى من عدم ترجيح قول على آخر، في آخر

---

(١) انظر، الانتصار للباقلاني ٢٤٦/١و الاتقان ١٠٤/١

(٢) دلائل النبوة، لأبى بكر البيهقي،١٣٩/٧تحقيق : د. عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، الأولى – ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م

(٣) الانتصار،٢٤/١

ما نزل من القرآن، هو المذهب الراجح ، وعليه جمهور العلماء، فعامة المفسرين ذكروا الروايات دون ترجيح أو نقد لها ، منهم الإمام الطبري (١) ، والبيضاوي (٢) ، وابن كثير (٣) ، والزركشي (٤) ، وأبو السعود (٥) ، وغيرهم .

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري،٤١/٦،تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط/ مؤسسة الرسالة، الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي،١٦٣/١،تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الأولى – ١٤١٨ هـ

(٣) تفسير ابن كثير ،٥٥٨/١

(٤) البرهان في علوم القرآن ، الزركشي،٢١٠/١

(٥) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبى السعود،٢٦٨/١،دار إحياء التراث العربي – بيروت

المبحث الثالث

جمع القرآن الكريم

تحدث الإمام ابن جزى عن جمع القرآن الكريم في عهوده الثلاث فقال :كان القرآن على عهد رسول اللهﷺ متفرقاً في الصحف وفي صدور الرجال، فلما توفي رسول الله ﷺ قعد عليّ بن أبي طالب ﷺ في بيته، فجمعه على ترتيب نزوله، ولو وجد مصحفه لكان فيه علم كبير، ولكنه لم يوجد، فلما قتل جماعة من الصحابة يوم اليمامة في قتال مسيلمة الكذاب أشار عمر بن الخطاب، على أبي بكر الصديق رضي الله عنهما بجمع القرآن، مخافة أن يذهب بموت القراء، فجمعه في صحف غير مرتّب السور، وبقيت تلك الصحف عند أبي بكر، ثم عند عمر بعده، ثم عند بنته حفصة أم المؤمنين، وانتشرت في خلال ذلك صحف كتبت في الآفاق عن الصحابة، وكان بينها اختلاف، فأشار حذيفة بن اليمان، على عثمان بن عفان رضي الله عنهما، فجمع الناس على مصحف واحد، خيفة من اختلافهم، فانتدب لذلك عثمان، وأمر زيد بن ثابت فجمعه، وجعل معه ثلاثة من قريش: عبد الله بن الزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وسعيد بن العاصي بن أمية، وقال لهم إذا اختلفتم في شيء فاجعلوه بلغة قريش، وجعلوا المصحف الذي كان عند حفصة إماما في هذا الجمع الأخير، وكان عثمان رضي الله عنه يتعهدهم ويشاركهم في ذلك، فلما كمل المصحف نسخ عثمان ﷺ منه نسخاً ووجهها إلى الأمصار وأمر بما سواها أن تخرق أو تحرق «يروى بالحاء والخاء المنقوطة» (١) .

من خلال نص الامام ابن جزى نرى أنه تحدث عن جمع القرآن

(١) التسهيل ١٣/١

من خلال الآتي

١ – جمع القرآن في عهد النبي ﷺ .

٢ – جمع القرآن في عهد أبى بكر الصديق ﷺ .

٣ – جمع القرآن في عهد عثمان ﷺ .

٤ – عدد المصاحف العثمانية .

معنى الجمع : الجمع في اللغة الاستقصاء والإحاطة بالشيء قال ابن فارس: (جمع) الجيم والميم والعين أصل واحد، يدل على تضام الشيء. يقال جمعت الشيء جمعاً. والجماع الأشابة من قبائل شتى (١) .

أولاً : جمع القرآن في عهد النبي ﷺ:

والمراد جمع آيات السورة الواحدة، أو جمع السور مرتبة في المصحف:

أنزل الله تعالى القرآن الكريم على نبيه ﷺ منجماً في ثلاث وعشرين سنة، وكان النبي ﷺ يعجل بالقرآن حين يتلوه جبريل عليه السلام خشية أن يفوته شيء فأنزل الله تعالى ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (٢) .

قال ابن جزى :قوله﴿ لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴾الضمير في" به " يعود على القرآن، دلت على ذلك قرينة الحال، وسبب الآية أن رسول الله ﷺكان إذا نزل عليه جبريل بالقرآن يحرك به شفتيه، مخافة أن ينساه لحينه، فأمره الله أن ينصت ويستمع، وقيل: كان يخاف أن ينسى القرآن فكان يدرسه حتى غلب عليه ذلك، وشق عليه فنزلت الآية، والأول هو الصحيح، لأنه ورد في البخاري (٣) وغيره ،﴿إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ ضمن الله له أن يجمعه في صدره، فلا يحتاج إلى تحريك شفيته عند

---

(١) معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس ٤٨١/١،تحقق: عبد السلام محمد هارون، ط/ دار الفكر

(٢) سورة القيامة آية ١٦

(٣) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، بَابُ قَوْلِهِ: {فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ} (٩٢٩٤)

نزوله، ويحتمل قرآنه هنا وجهين، أحدهما: أن يكون بمعنى القراءة فإن القرآن قد يكون مصدرا من قرأت، والآخر: أن يكون معناه تأليفه في صدره فهو مصدر من قولك: قرأت الشيء أي جمعته فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَه، أي إذا قرأه جبريل، فاجعل قراءة جبريل قراءة الله لأنها من عنده، ومعنى اتبع قرآنه اسمع قراءته واتبعها بذهنك لتحفظها، وقيل: اتبع القرآن في الأوامر والنواهي ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ أي علينا أن نبينه لك ونجعلك تحفظه، وقيل: علينا أن نبين معانيه وأحكامه (١) .

ومن هنا نستطيع أن نعلم أنّ النبيّ ﷺ كان أوّل جامع للقرآن في صدره الشريف، وسيّد الحفّاظ، ومرجع الصحابة في حفظهم للقرآن ، وفهمهم له، يحيي بالقرآن ليله ويزيّن به صلاته.

والجمع في عهد النبي ﷺ تضمن طريقين هما : الحفظ في الصدور، والكتابة في السطور ، ولقد تحقق كلا المعنيين في عهده ﷺ وبالتوقيف الدقيق عنه.

وقد حفظ القرآن كله في عهد النبي ﷺ ،كثير من أصحابه ، واشتهر بالحفظ عدد منهم ، لكثرة تلاوتهم له، والتصدي لتعليمه ، وتفسيره ، ولقد اشتهر من الحفاظ :الخلفاء الأربعة ،وأبى بن كعب ،وزيد بن ثابت، ومعاذ ابن جبل، وعبدالله بن مسعود، وحذيفة، وسالم مولى أبى حذيفة، وابن عباس وغيرهم (٢)

---

(١) التسهيل ٤٣٤/٢

(٢) أخرج البخاري عن عبدالله بن مسعود قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «خُذُوا القُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَسَالِمٍ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ» كتاب فضائل القرآن ، باب القراء من أصحاب النبي ﷺ ،رقم ٤٩٩٩، وعنه قال : «وَاللَّهِ الَّذِي لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ، مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ أَيْنَ أُنْزِلَتْ، وَلاَ أُنْزِلَتْ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ فِيمَ أُنْزِلَتْ، وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنِّي بِكِتَابِ اللَّهِ، تُبَلِّغُهُ الإِبِلُ لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ» رقم ٥٠٠٢ ، أخرجه مسلم في فضائل الصحابة باب من فضائل عبد الله بن مسعود وأمه رضي الله =

وقد ثبت في الصحيح أن يوم بئر مَعونة قُتل من الأنصار سبعون كانوا يُسمونهم القُراء ، وكانت هذه الغزوة فى السنة الرابع للهجرة (١) .

هذا بالإضافة إلى من حفظ أجزاء من الألوف المؤلفة الذين لا يحصون.

قال الإمام الزركشي: حفظه في حياته ﷺ جماعة من الصحابة وكل قطعة منه كان يحفظها جماعة كثيرة أقلهم بالغون حد التواتر وجاء في ذلك أخبار ثابتة في الترمذي والمستدرك وغيرهما من حديث ابن عباس قال كان رسول الله ﷺ يأتي عليه الزمان وهو ينزل عليه السور ذوات العدد فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب فيقول ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا (٢) .

=عنهما رقم ٢٤٦٣، وعند البخاري : حَدَّثَنَا شَقِيقُ بْنُ سَلَمَةَ، قَالَ: خَطَبَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ فَقَالَ: «وَاللَّهِ لَقَدْ أَخَذْتُ مِنْ فِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِضْعًا وَسَبْعِينَ سُورَةً، وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ أَنِّي مِنْ أَعْلَمِهِمْ بِكِتَابِ اللَّهِ، وَمَا أَنَا بِخَيْرِهِمْ»، قَالَ شَقِيقٌ: فَجَلَسْتُ فِي الحِلَقِ أَسْمَعُ مَا يَقُولُونَ، فَمَا سَمِعْتُ رَادًّا يَقُولُ غَيْرَ ذَلِك، كتاب فضائل القرآن ، القراء من أصحاب الرسول ﷺ (رقم ٥٠٠٠)

(١) روى البخاري عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رِعْلًا، وَذَكْوَانَ، وَعُصَيَّةَ، وَبَنِي لَحْيَانَ، اسْتَمَدُّوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى عَدُوٍّ، فَأَمَدَّهُمْ بِسَبْعِينَ مِنَ الأَنْصَارِ، كُنَّا نُسَمِّيهِمْ القُرَّاءَ فِي زَمَانِهِمْ، كَانُوا يَحْتَطِبُونَ بِالنَّهَارِ، وَيُصَلُّونَ بِاللَّيْلِ، حَتَّى كَانُوا بِبِئْرِ مَعُونَةَ قَتَلُوهُمْ وَغَدَرُوا بِهِمْ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «فَقَنَتَ شَهْرًا يَدْعُو فِي الصُّبْحِ عَلَى أَحْيَاءٍ مِنْ أَحْيَاءِ العَرَبِ، عَلَى رِعْلٍ، وَذَكْوَانَ، وَعُصَيَّةَ، وَبَنِي لَحْيَانَ» قَالَ أَنَسٌ: " فَقَرَأْنَا فِيهِمْ قُرْآنًا، ثُمَّ إِنَّ ذَلِكَ رُفِعَ: بَلِّغُوا عَنَّا قَوْمَنَا أَنَّا لَقِينَا رَبَّنَا فَرَضِيَ عَنَّا وَأَرْضَانَا "كتاب المغازي ، بَابُ غَزْوَةِ الرَّجِيعِ، وَرِعْلٍ، وَذَكْوَانَ، وَبِئْرِ مَعُونَةَ، وَحَدِيثِ عَضَلٍ، وَالقَارَةِ، وَعَاصِمِ بْنِ ثَابِتٍ، وَخُبَيْبٍ وَأَصْحَابِهِ (٤٠٩٠)

(٢) البرهان جـ١صـ٢٤١، وانظر سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب :ومن سورة التوبة،(٣٠٨٦) هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ عَوْفٍ، عَنْ يَزِيدَ الفَارِسِيِّ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ» وَيَزِيدُ الفَارِسِيُّ قَدْ رَوَى عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، غَيْرَ حَدِيثٍ، وَيُقَالُ هُوَ: يَزِيدُ بْنُ هُرْمُزَ، وَيَزِيدُ الرَّقَاشِيُّ هُوَ: يَزِيدُ بْنُ أَبَانَ الرَّقَاشِيُّ وَلَمْ يُدْرِكْ ابْنَ عَبَّاسٍ إِنَّمَا رَوَى عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، وَكِلَاهُمَا مِنْ أَهْلِ البَصْرَةِ، وَيَزِيدُ الفَارِسِيُّ أَقْدَمُ مِنْ يَزِيدَ الرَّقَاشِيِّ "

وقد اتخذ النبي ﷺ له كتاباً يكتبون ما ينزل من القرآن مبالغة في صيانته من الضياع والتحريف والتبديل ، من أشهرهم : زيد بن ثابت ، وأبى بن كعب ، وهو أول من كتب للنبي ﷺ بالمدينة، ومن كتب له أيضاً الخلفاء الأربعة ، والزبير بن العوام ، وعبد الله بن رواحة وغيرهم كثير[١]، وقد كانوا يكتبون القرآن على سعف النخل ، وصفائح الحجارة ، والجلود ، والرقاع ، وغيرها مما هو متوافر آن ذاك، وكان بعض الصحابة يكتبون لأنفسهم ما شاء الله أن يكتبوا ، ويحتفظون به في بيوتهم ليرجعوا إليه متى أرادوا ، فعن زيد بن ثابت قال : كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺنُؤَلِّفُ الْقُرْآنَ مِنَ الرِّقَاعِ)[٢]

وكان هذا التأليف حسب إرشاد النبي ﷺ ، وكان هذا الترتيب بتوقيف جبريل عليه السلام ، وهذا يدل على مدى المشقة التي كان يتحملها الصحابة في كتابة القرآن ، حيث لم تتيسر لهم أدوات الكتابة إلا بهذه الوسائل ، فأضافوا الكتابة إلى الحفظ، وكان جبريل عليه السلام يعارض النبي ﷺ بالقرآن كل سنة في ليالي رمضان، كما جاء عند البخاري، ومسلم من رواية عبدالله بن عباس رضى الله عنهما : قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ إِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَلْقَاهُ، فِي كُلِّ سَنَةٍ، فِي رَمَضَانَ حَتَّى يَنْسَلِخَ،

---

(١) انظر معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) جـ١ صـ٢٠: دار الكتب العلمية: الأولى ١٤١٧ هـ- ١٩٩٧م

(٢) المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري ، تأليف القرآن في عهد رسول الله ﷺ، ٤٢١٧""،تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت ،: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠، هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وفيه الدليل الواضح أن القرآن إنما جمع في عهد رسول الله ﷺ صحيح البخاري : كِتَابُ فَضَائِلِ القُرْآنِ ، بَابُ جَمْعِ القُرْآنِ، (٤٩٨٦)،

فَيَعْرِضُ عَلَيْهِ رَسُولُ ﷺ وَسَلَّمَ الْقُرْآنَ، فَإِذَا لَقِيَهُ جِبْرِيلُ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ» (١) .

وقَالَ مَسْرُوقٌ: عَنْ عَائِشَةَ، عَنْ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلاَمُ: أَسَرَّ إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ «أَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُنِي بِالقُرْآنِ كُلَّ سَنَةٍ، وَإِنَّهُ عَارَضَنِي العَامَ مَرَّتَيْنِ، وَلاَ أُرَاهُ إِلَّا حَضَرَ أَجَلِي» (٢)

وكان الصحابة يعرضون على رسول اللهﷺ ما لديهم من القرآن حفظاً وكتابة، ولم تكن هذه الكتابة في عهد النبي ﷺ مجتمعة في مصحف واحد ، بل عند هذا ما ليس عند ذاك ، وقبض رسول اللهﷺ والقرآن محفوظ في الصدور والسطور ، لكن لم يجمع في مصحف عام لأن الوحى كان ينزل ، فلو جمع في مصحف واحد ، لأدى ذلك إلى مشقة كبيرة في ترتيبه ، إذ لم يكن ترتيب الكتابة وفق ترتيب النزول ، بل كانوا يكتبون الآية بعد نزولها حيث يشير النبي ﷺ إلى موضع كتابتها بين آية كذا وآية كذا (٣) .

ولو جمع القرآن كله بين دفتي مصحف واحد لأدى ذلك إلى التغيير كلما نزل شيء من الوحى.

قال الإمام الزركشي : وإنما ترك جمعه في مصحف واحد لأن النسخ كان يرد على بعض فلو جمعه ثم رفعت تلاوة بعض لأدى إلى

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب : كان جبريل يعرض القرآن على النبي ﷺ رقم ٤٩٩٧، صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير رقم ٢٣٠٨

(٢) صحيح البخاري: كِتَابُ فَضَائِلِ القُرْآنِ، بُاب كَانَ جِبْرِيلُ يَعْرِضُ القُرْآنَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ

(٣) مباحث في علوم القرآن، مناع بن خليل القطان،١٢٤/١، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الثالثة ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م ، سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب :ومن سورة التوبة،٣٠٨٦، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، ، ط: مصطفى البابي الحلبي – مصر: الثانية، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م

الاختلاف واختلاط الدين فحفظه الله في القلوب إلى انقضاء زمان النسخ ثم وفق لجمعه الخلفاء الراشدين (١) .

قال ابن حجر :وقال الإمام الخطابي (٢) : يحتمل أن يكون ﷺ إنما لم يجمع القرآن في المصحف لما كان يترقبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته ،فلما انقضى نزوله بوفاتهﷺ ألهم الله الخلفاء الراشدين ذلك وفاء لوعد الصادق بضمان حفظه على هذه الأمة المحمدية زادها الله شرفاً فكان ابتداء ذلك على يد الصديق رضي الله عنه بمشورة عمر (٣) .

من خلال هذا العرض السريع يتبين لنا أن الرسول ﷺ توفى والقرآن متوافر الحفظ في الصدور والكتابة في الألواح والخرق والعظام، غير أن هذه الألواح كانت متناثرة غير مضمومة ولا مرتبة السور ولا مرتبة الآيات ، وإن كان ﷺ أرشدهم في القراءة إلى موضع كل آية حسب توقيف جبريل عليه السلام ، فلما انقضى ذلك السبب بموته عليه السلامولحوقه بالرفيق الأعلى ، ألهم الله تعالى الخلفاء الراشدين بذلك، وفاء بوعده الصادق (نَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (٤).

قال الشيخ الزقاني : وهكذا انقضى العهد النبوي السعيد والقرآن مجموع على هذا النمط بيد أنه لم يكتب في صحف ولا في مصاحف. بل كتب منثوراً كما سمعت بين الرقاع والعظام ونحوها مما ذكرنا (٥) .

---

(١) البرهان في علوم القرآن،٢٣٥/١

(٢) الإمام العلامة ، الحافظ اللغوي ، أبو سليمان ، حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي الخطابي ، صاحب التصانيف ،ولد سنة بضع عشرة وثلاثمائة ، توفي الخطابي ببست في شهر ربيع الآخر سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة، سير أعلام النبلاء،٢٣/١٧

(٣) فتح الباري ،١٢/٩، الاتقان ٢٠٢/١

(٤) سورة الحجر آية ٩

(٥) مناهل العرفان،٢٤١/١، وانظر مباحث في علوم القرآن،: مناع بن خليل القطان،١٢٥/١

ثانياً: جمع القرآن في عهد أبى بكر الصديق :

قال ابن جزى : فلما قتل جماعة من الصحابة يوم اليمامة في قتال مسيلمة الكذاب أشار عمر بن الخطاب على أبي بكر الصديق رضي الله عنهما بجمع القرآن مخافة أن يذهب بموت القراء. فجمعه في صحف غير مرتّب السور وبقيت تلك الصحف عند أبي بكر، ثم عند عمر بعده، ثم عند بنته حفصة أم المؤمنين (١) .

ذكر ابن جزى سبب جمع القرآن في عهد ابى بكرﷺ وهو مقتل عدد كبير من حفاظ القرآن في معركة اليمامة، وذلك أن مسيلمة الكذاب ادعى النبوة بعد وفاة رسول اللهﷺ وتبعه قومه وقوى أمره فجهز إليه أبو بكر ﷺ خالد ابن الوليدﷺ في جمع كثير من الصحابة ،وحاربوه أشد محاربة ، إلى أن خذله الله وقتله، وفى هذه المعركة قتل من المسلمين حوالى سبعمائة من الصحابة ، فيهم نحو سبعين من الحفاظ، على رأسهم سالم مولى أبى حذيفة أحد الأربعة الذين أمر رسول اللهﷺ بأخذ القرآن عنهم، ففزع عمر لمقتل سالم وأصحابه ، وخشى أن يذهب القرآن، وزاد من خشيته حينما سئل عن آية فقيل له كانت مع فلان فقتل يوم اليمامة ، فقال عمر إنا لله (٢) ، وأسرع إلى أبى بكر وأشار عليه بجمع القرآن ، قبل أن يموت أشياخ القُراء والحفاظ ، فيضيع على الناس شيء من كتاب الله تعالى .

روى البخاري بسنده أَنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ ﷺ، قَالَ: «أَرْسَلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ

---

(١) التسهيل ١٣/١

(٢) روى ابن أبى داوود بسنده ،أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ سَأَلَ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَقِيلَ كَانَتْ مَعَ فُلَانٍ فَقُتِلَ يَوْمَ الْيَمَامَةِ فَقَالَ: «إِنَّا لِلَّهِ وَأَمَرَ بِالْقُرْآنِ فَجُمِعَ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ جَمَعَهُ فِي الْمُصْحَفِ» كتاب المصاحف : لأبى بكر بن أبي داود، عبد الله بن سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (المتوفى: ٣١٦هـ ، جـ١ صـ٦٠/تحقيق: محمد بن عبده/ط: الفاروق الحديثة – مصر / القاهرة

مَقْتَلَ أَهْلِ اليَمَامَةِ، فَإِذَا عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ عِنْدَهُ»، قَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ: إِنَّ عُمَرَ أَتَانِي فَقَالَ: إِنَّ القَتْلَ قَدْ اسْتَحَرَّ يَوْمَ اليَمَامَةِ بِقُرَّاءِ القُرْآنِ، وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَسْتَحِرَّ القَتْلُ بِالقُرَّاءِ بِالْمَوَاطِنِ، فَيَذْهَبَ كَثِيرٌ مِنَ القُرْآنِ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَأْمُرَ بِجَمْعِ القُرْآنِ، قُلْتُ لِعُمَرَ: «كَيْفَ تَفْعَلُ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟» قَالَ عُمَرُ: هَذَا وَاللَّهِ خَيْرٌ، «فَلَمْ يَزَلْ عُمَرُ يُرَاجِعُنِي حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِذَلِكَ، وَرَأَيْتُ فِي ذَلِكَ الَّذِي رَأَى عُمَرُ»، قَالَ زَيْدٌ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌّ عَاقِلٌ لاَ نَتَّهِمُكَ، وَقَدْ كُنْتَ تَكْتُبُ الوَحْيَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَتَتَبَّعِ القُرْآنَ فَاجْمَعْهُ ، « فَوَاللَّهِ لَوْ كَلَّفُونِي نَقْلَ جَبَلٍ مِنَ الجِبَالِ مَا كَانَ أَثْقَلَ عَلَيَّ مِمَّا أَمَرَنِي بِهِ مِنْ جَمْعِ القُرْآنِ»، قُلْتُ: «كَيْفَ تَفْعَلُونَ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟» ، قَالَ: هُوَ وَاللَّهِ خَيْرٌ، " فَلَمْ يَزَلْ أَبُو بَكْرٍ يُرَاجِعُنِي حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِلَّذِي شَرَحَ لَهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَتَتَبَّعْتُ القُرْآنَ أَجْمَعُهُ مِنَ العُسُبِ (١) وَاللِّخَافِ (٢) ، وَصُدُورِ الرِّجَالِ، حَتَّى وَجَدْتُ آخِرَ سُورَةِ التَّوْبَةِ مَعَ أَبِي خُزَيْمَةَ الأَنْصَارِيِّ لَمْ أَجِدْهَا مَعَ أَحَدٍ غَيْرِهِ، {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ} (٣) حَتَّى خَاتِمَةِ بَرَاءَةَ، فَكَانَتِ الصُّحُفُ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ، ثُمَّ عِنْدَ عُمَرَ حَيَاتَهُ، ثُمَّ عِنْدَ حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ " (٤)

---

(١) العسب : عسيب النخلة. وهي الجريدة المستقيمة. تشابها من طريقة الامتداد والاستقامة، معجم مقاييس اللغة ، لابن فارس جـ٤ ،صـ٣١٨ مادة عسب

(٢) اللخاف : (لخف) اللام والخاء والفاء كلمتان، إحداهما اللخاف، وهي حجارة بيض رقاق، واحدتها لخفة، والأخرى قولهم: لخفه بالسيف: ضرب، معجم مقاييس اللغة ، لابن فارس ،٢٤/٥،مادة لخف

(٣) التوبة: ١٢٨

(٤) صحيح البخاري، كِتَابُ فَضَائِلِ القُرْآنِ، بَابُ جَمْعِ القُرْآنِ،(٤٩٨٦)

سبب اختيار زيد بن ثابت ﷺ

ووقع الاختيار على زيد لما فيه من مواهب ، ومزايا كان لها أثر كبير في هذا الأمر، فهو من الحفّاظ ، ومن كتاب الوحى لرسول الله ﷺ ، وممن شهد العرضة الأخيرة للقرآن الكريم ، بالإضافة إلى خصوبة عقله ، وشدة ورعه ،وكمال خلقه ،كل هذه الصفات وغيرها رجَّحت لدى أبى بكر ﷺ أنه أولى من يقوم بهذا العمل ، ووافقه عمر على ذلك الاختيار ،ومضى زيد يتتبع القرآن يجمعه ويكتبه ، واتبع زيد في جمعه للقرآن منهجاً قويماً وطريقة دقيقة محكمة وضعها له الصديق أبوبكر ، وساعده على تنفيذها صاحب الرأي عمر رضى الله عنهم (١) ،

طريقة الجمع : والطريقة التي اتُبعت في الجمع كانت تقوم على أمرين .

الأول : جمع آيات القرآن، وقد اعتمد زيد ﷺ على مصدرين يأخذ منهما آيات الله تعالى .

المصدر الأول : ما كتب بين يدى رسول اللهﷺ من آيات .

قال أبوشامة (٢) : قلت: إنما كان قصدهم أن ينقلوا من عين المكتوب بين يدي النبي ﷺ، ولم يكتبوا من حفظهم لأن قراءتهم كانت مختلفة لما أبيح لهم من قراءة القرآن على سبعة أحرف (٣) .

المصدر الثاني : ما كان محفوظاً في صدور الرجال من قرَّاء

---

(١) الواضح في علوم القرآن، مصطفى ديب البغا، محيى الدين ديب مستو،صـ٨٣،دار الكلم الطيب / دار العلوم الانسانية – دمشق الثانية، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨ م

(٢) عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقيّ، أبو القاسم، شهاب الدين، أبو شامة: مؤرخ، محدث، باحث. أصله من القدس، ومولده في دمشق، وبها منشأه ووفاته، سنة ٦٦٥ هـ، الأعلام للزركلي ٢٩٩/٣

(٣) المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، لأبى شامة المقدسي ٥٧/١،تحقيق : طيار آلتي قولاج، ط : دار صادر – بيروت، سنة: ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م

الصحابة وحفاظهم .

الثاني: الاستيثاق مما يجمع من الآيات، وهذا الاستيثاق قائم على أمرين :

الأول : أنه كانﷺ لا يقبل شيئاً محفوظاً إلا إذا دُعِّم بالكتابة ، فمن جاءه بآية يحفظها لم يثبتها حتى يأتيه بها هو أو غيره مكتوبة.

الثاني : أنه كان لا يقبل ما كان مكتوباً إلا إذا شهد شاهدان أنه مما كتب بين يدى رسول اللهﷺ على تلك الرقعة (١) .

قال أبو شامة : قلت: لم تكن البينة على أصل القرآن ، فقد كان معلوماً لهم ذكر، وإنما كانت على ما أحضروه من الرقاع المكتوبة فطلب البينة عليها أنها كانت كتبت بين يدي رسول الله ﷺ وبإذنه على ما سمع من لفظه على ما سبق بيانه (٢)

هذه الدقة، وهذا الحذر هو الذى يفسر لنا قول زيد ﷺ حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبى خزيمة الأنصاري (٣) ﷺ، لم أجدها عند غيره ، فالمراد أنه لم يجدها مكتوبة عند غيره ، وليس المراد أنه لم يجدها محفوظة عند غيره ، وإلا فقد كان هو وكثير من الصحابة يحفظونها ن وإنما أراد أن يجمع بين الحفظ والكتابة ، ولذلك تأخر في إثباتها حتى وجدها مكتوبة عند أبى خزيمة الأنصاري ﷺ ، بل توقف في بادئ الأمر

---

(١) المختار من علوم القرآن ، د/ أبو الوفا أحمد عبد الآخر ٩٣/١ المكتب المصري الحديث ، بتصرف

(٢) المرشد الوجيز لأبى شامة ،٦٠/١

(٣) خزيمة بْن ثابت بْن الفاكه بْن ثعلبة بن ساعدة بْن عامر بْن غيان بْن عامر بْن خطمة بْن جشم بْن مالك بْن الأوس الأنصاري الأوسي، جعل رَسُول اللَّهِ ﷺ شهادته بشهادة رجلين، شهد بدرًا، وما بعدها من المشاهد كلها، قتل يوم صفين سنة سبع وثلاثين، أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير ١٧٢/٢،تحقيق: علي محمد معوض – عادل أحمد عبد الموجود ، دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤١٥هـ ١٩٩٤ م

عن كتابتها لأنه لم يشهد له شاهدان على كتابتها بين يدى رسول اللهﷺ حسب منهجه، ثم كتبها بعد أن توفَّر لديه ذلك (١) .

ملامح هذا الجمع :

١ – أنها جمعت القرآن بجميع آياته وسوره ، على أدق وجهٍ من البحث والتحرّي ، وأسلم طريقة في التثبت العلمي .

٢ – أن عمل زيد في جمع القرآن لم يكن كتابة مُبْتَدأَةً ولكنه إعادة لمكتوب ، فالقصد جمع المكتوب المتفرق من القرآن في مصحف واحد (٢) . قال الإمام الزركشي (٣) : وفي هذه إثبات ظاهر أن الصحابة جمعوا بين الدفتين القرآن المنزل من غير زيادة ولا نقص والذي حملهم على جمعه ما جاء في الحديث أنه كان مفرقاً في العسب واللخاف وصدور الرجال فخافوا ذهاب بعضه بذهاب حفظته وكتبوه كما سمعوه من النبيﷺ من غير أن قدموا شيئاً أو أخروا وهذا الترتيب كان منه ﷺ بتوقيف لهم على ذلك وأن هذه

---

(١) أخرج ابن أبي داود من طريق يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب قال: قدم عمر فقال: من كان تلقى من رسول الله ﷺ شيئا من القرآن فليأت به وكانوا يكتبون ذلك في الصحف والألواح والعسب وكان لا يقبل من أحد شيئا حتى يشهد به شهيدان وهذا يدل على أن زيداً كان لا يكتفي لمجرد وجدانه مكتوبا حتى يشهد به من تلقاه سماعاً، مع كون زيد كان يحفظ فكان يفعل ذلك مبالغة في الاحتياط. وأخرج ابن أبي داود أيضا من طريق هشام بن عروة عن أبيه أن أبا بكر قال لعمر ولزيد: اقعدا على باب المسجد فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه. رجاله ثقات مع انقطاعه، انظر المصاحف لابن أبى داوود، صـ٥١،و انظر الاتقان للسيوطي ٢٠٥/١، وانظر البرهان للزركشي ٢٣٣/١

(٢) انظر المحرر في علوم القرآن ،مساعد بن ناصر الطيار صـ١٥٥، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي .

(٣) محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، أبو عبد الله، بدر الدين: عالم بفقه الشافعية والأصول، تركي الأصل، مصري المولد والوفاة. له تصانيف كثيرة في عدة فنون، توفى سنة،794 هـ ، الأعلام ،٦٠/٦

الآية عقب تلك الآية فثبت أن سعي الصحابة في جمعه في موضع واحد لا في ترتيب فإن القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ على هذا الترتيب الذي هو في مصاحفنا الآن أنزله الله جملة واحدة إلى سماء الدنيا (١) .

٣ – راعى زيد في كتابة المصحف أن تكون مشتملة على ما ثبت قرآنيته بطريق التواتر، واستقر في العرضة الأخيرة ، وأن تكون مرتبة الآيات والسور جميعاً، وأن تكون مجردة عما ليس بقرآن من شرح أو تأويل (٢) ، (٣).

٤ – اقتصر فيها على ما لم تنسخ تلاوته .

٥ – أنها ظفرت بإجماع الأمة عليها وتواتر ما فيها ،حيث أعلن زيد ﷺ عمله على رؤوس الاشهاد، والصحابة متوافرون، وأقرَّ الجميع ولم يعترض أحد (٤)

٦ – اتفق العلماء على أنه كُتب نسخة واحدة من القرآن في هذا الجمع حفظها أبوبكر لأنه إمام المسلمين (٥) .

مكان هذه الصحف:

استغرق عمل زيد ﷺ سنة كاملة ، وكان الانتهاء أواخر السنة

---

(١) البرهان ٢٣٦/١

(٢) المختار من علوم القرآن صـ٩٤

(٣) عَنْ عَبْدِ العَزِيزِ بْنِ رُفَيْعٍ، قَالَ: دَخَلْتُ أَنَا وَشَدَّادُ بْنُ مَعْقِلٍ، عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَقَالَ لَهُ شَدَّادُ بْنُ مَعْقِلٍ: أَتَرَكَ النَّبِيُّ ﷺمِنْ شَيْءٍ؟ قَالَ: «مَا تَرَكَ إِلَّا مَا بَيْنَ الدَّفَّتَيْنِ» قَالَ: وَدَخَلْنَا عَلَى مُحَمَّدِ ابْنِ الحَنَفِيَّةِ، فَسَأَلْنَاهُ، فَقَالَ: «مَا تَرَكَ إِلَّا مَا بَيْنَ الدَّفَّتَيْنِ» رواه البخاري : كِتَابُ فَضَائِلِ القُرْآنِ، بَابُ مَنْ قَالَ: «لَمْ يَتْرُكِ النَّبِيُّ ﷺ إِلَّا مَا بَيْنَ الدَّفَّتَيْنِ» (٥٠١٩)

(٤) مناهل العرفان ،٢٥٣/١ ،الواضح في علوم القرآن صـ ٨٧

(٥) دراسات في علوم القرآن فهد الومى ، صـ٨٨،ط/مكتبة الملك فهد الوطنية /١٤٢٦هـ

الثانية عشر للهجرة ، وما انتهى زيد من عمله وأبرز تلك الصحف حتى استقبلها الناس بما تستحق من عناية فائقة ، فحفظها أبو بكر ﷺ عنده بقية حياته، ثم كانت عند عمر ﷺ مدة خلافته ، ثم انتقلت إلى دار أم المؤمنين حفصة رضى الله عنها، بأمر عمر ﷺ حيث لم يكن الخليفة معروفاً بعد، ثم كانت هذه الصحف المرجع لنسخ المصاحف في عهد عثمان ﷺ (١)

قال ابن أبى داوود (٢) : إِنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ كَانَ جَمَعَ الْقُرْآنَ فِي قَرَاطِيسَ وَكَانَ قَدْ سَأَلَ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ النَّظَرَ فِي ذَلِكَ، فَأَبَى حَتَّى اسْتَعَانَ عَلَيْهِ بِعُمَرَ فَفَعَلَ، وَكَانَتْ تِلْكَ الْكُتُبُ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ حَتَّى تُوُفِّيَ، ثُمَّ عِنْدَ عُمَرَ حَتَّى تُوُفِّيَ، ثُمَّ كَانَتْ عِنْدَ حَفْصَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا عُثْمَانُ فَأَبَتْ أَنْ تَدْفَعَهَا إِلَيْهِ حَتَّى عَاهَدَهَا لَيَرُدَّنَّهَا إِلَيْهَا، فَبَعَثَتْ بِهَا إِلَيْهِ فَنَسَخَهَا عُثْمَانُ فِي هَذِهِ الْمَصَاحِفِ ثُمَّ رَدَّهَا إِلَيْهَا فَلَمْ تَزَلْ عِنْدَهَا حَتَّى أَرْسَلَ مَرْوَانُ فَأَخَذَهَا فَحَرَّقَهَا (٣) .

وملاحظة انتقالها من أبى بكر إلى حفصة رضى الله عنها تدلنا على أن هذه الصحف منذ كتبت ، كانت معدودة من الملكية العامة ، إذ لو كانت ملكاً خاصاً لأبى بكر لما ورثها غير أبنائه من بعده ، وأغلب الظن أنها لم توضع لدى حفصة إلا لتكون رهن تصرف الخليفة الثالث حين يطلبها ، وبخاصة إذا كانت حفصة من أمهات المؤمنين ، وهو ما حدث فعلاً (٤) .

---

(١) المصاحف: أبو بكر بن أبي داود،٥٥/١، المرشد الوجيز ٥٧/١

(٢) سليمان بن الأشعث بن شداد بن عمرو بن عامر، ولد سنة اثنتين ومائتين ورحل ، وجمع ، وصنف ، وبرع في هذا الشأن، توفي أبو داود في سادس عشر شوال ، سنة خمس وسبعين ومائتين ، سير أعلام النبلاء،٢٠٤/١٣

(٣) المصاحف لابن ابى داوود، ٥٧/١، المرشد الوجيز ٥٦/١

(٤) اتقان البرهان ،د/ فضل حسن عباس صـ٢٢٤

مصحف علي ﷺ:

قال ابن جزى : فلما توفي رسول الله ﷺقعد عليّ بن أبي طالب ﷺ في بيته، فجمعه على ترتيب نزوله، ولو وجد مصحفه لكان فيه علم كبير، ولكنه لم يوجد.

وقد روى أن علياًﷺ ،أراد أن يجمع القرآن بعد وفاة رسول الله ﷺ ، مرتباً بحسب النزول ،أولاً فأولاً، كما رواه ابن ابى داوود بسنده عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ (١) قَالَ :" لَمَّا تُوُفِّيَ النَّبِيُّ ﷺ أَقْسَمَ عَلِيٌّ أَنْ لَا يَرْتَدِيَ بِرِدَاءٍ إِلَّا لَجُمُعَةٍ حَتَّى يَجْمَعَ الْقُرْآنَ فِي مُصْحَفٍ فَفَعَلَ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَ أَيَّامٍ أَكَرِهْتَ إِمَارَتِي يَا أَبَا الْحَسَنِ؟ قَالَ: "لَا وَاللَّهِ إِلَّا أَنِّي أَقْسَمْتُ أَنْ لَا أَرْتَدِيَ بِرِدَاءٍ إِلَّا لِجُمُعَةٍ فَبَايَعَهُ ثُمَّ رَجَعَ " (٢) .

قال ابن حجر: وأما ما أخرجه بن أبي داود في المصاحف من طريق بن سيرين قال: قال علي: لما مات رسول الله ﷺ آليت أن لا آخذ على ردائي إلا لصلاة جمعة حتى أجمع القرآن فجمعه، فإسناده ضعيف لانقطاعه وعلى تقدير أن يكون محفوظاً فمراده بجمعه حفظه في صدره قال والذي وقع في بعض طرقه حتى جمعته بين اللوحين وهمُ من راويه ، قلت وما تقدم من رواية عبد خير (٣)،(٤) عن علي أصح فهو المعتمد(٥) .

---

(١) محمد بن سيرين ،الإمام ، شيخ الإسلام ، أبو بكر الأنصاري ، الأنسي البصري ، مولى أنس بن مالك، مات ابن سيرين لتسع مضين من شوال ، سنة عشر ومائة ،سير أعلام النبلاء،٦٠٦/٤

(٢) المصاحف ٥٩/١،[قَالَ أَبُو بَكْرٍ: لَمْ يَذْكُرِ الْمُصْحَفَ أَحَدٌ إِلَّا أَشْعَثُ وَهُوَ لَيِّنُ الْحَدِيثِ وَإِنَّمَا رَوَوْا حَتَّى أَجْمَعَ الْقُرْآنَ يَعْنِي: أَتِمَّ حِفْظَهُ فَإِنَّهُ يُقَالُ لِلَّذِي يَحْفَظُ الْقُرْآنَ قَدْ جَمَعَ الْقُرْآنَ.، وانظر الاتقان ٢٠٤/١

(٣) عَبْد خير بْن يَزِيدَ الهمداني الخيواني يكنى أبا عمارة، أدرك زمان النَّبِيّﷺ من أكابر أصحاب عليّ ﷺ، وسكن الكوفة، هُوَ ثقة مأمون، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير،٤١٨/٣

(٤) عَنْ عَبْدِ خَيْرٍ، عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «رَحِمَ اللَّهُ أَبَا بَكْرٍ هُوَ أَوَّلُ مَنْ جَمَعَ بَيْنَ اللَّوْحَيْنِ» المصاحف ٤٨/١

(٥) فتح الباري ١٣/٩

قال الدكتور محمد أبو شهبة: وعلى فرض صحة ما روى عن على ، وأن المراد بالجمع الكتابة، لا يعارض الثابت المشهور من أن أبا بكر ﷺ هو أول من جمع القرآن ، إذ ليس في رواية ابن سيرين التصريح بالأولية، بل الذى صح عن على خلافها ، وغاية ما تدل عليه أنه سارع إلى كتابة القرآن فهو كغيره من الصحابة الذين عنوا بكتابة مصاحف لأنفسهم خاصة ، ولم تكن لهذه المصاحف من الثقة بها والإجماع عليها والقبول لها مثل ما لمصحف أبى بكر فجمع الصديق أبى بكر بهذه الاعتبارات يعتبر بحق أول جمع (١) .

أما قول ابن جزى : ولو وجد مصحفه لكان فيه علم كبير ، ولكنه لم يوجد (٢) فهذا غريب ، وأي علم سيوجد في مصحف علىﷺ ، فإن قصارى الأمر أنه سيكون فيه رأى على ﷺ في ترتيب نزول القرآن، والاختلاف في ترتيب النزول أمر مشهور ومعروف بين الصحابة، وعندما يتعارض قول صحابي مع آخر فإنه لا يمكن اعتماد قول أحدهما إلا بحجة .

أسبقية وأفضلية : لقد كان هذا العمل الجليل منقبة من مناقب أبى بكرﷺ وخدمة عظيمة من جملة خدماته لدين الله تعالى، فقد كان جمع القرآن في صحف مجتمعة على ذلك النمط ، وتلك المزايا ، عملاً جديداً لم يسبق إليه أحد قبل أبى بكر ﷺ .

قال ابن حجر: وإذا تأمل المنصف ما فعله أبو بكرﷺ من ذلك جزم بأنه يعد في فضائله وينوه بعظيم منقبته لثبوت قوله ﷺ " مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا ، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا " (٣) فما جمع القرآن

---

(١) المدخل لدراسة القرآن، د/ محمد أبو شهبة ، صـ٢٧٣

(٢) شرح مقدمة التسهيل صـ٣٨

(٣) سنن النسائي الصغرى ، كتاب الزكاة ، باب : التحريض على الصدقة، (٢٥١٩)، صحيح مسلم ،كتاب العلم ، باب من سنّ سنة حسنة أو سيئة ، رقم (٤٨٣٧)

أحد بعده إلا وكان له مثل أجره إلى يوم القيامة (١)

روى ابن ابى داوود ، عَنْ عَلِيٍّ ﷺ قَالَ: (أَعْظَمُ النَّاسِ أَجْرًا فِي الْمَصَاحِفِ أَبُو بَكْرٍ فَإِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ جَمَعَ بَيْنَ اللَّوْحَيْنِ) (٢) .

ثالثاً : جمع القرآن في عهد عثمان ﷺ :

الباعث الأساس في جمع القرآن في عهد عثمان بن عفان ﷺ هو استدراك اختلاف القراء في وجوه قراءة القرآن الكريم وتخطئه بعضهم البعض، بل وصل الأمر – أحيانًا– إلى تكفير بعضهم البعض، فأرادﷺ جمع الأمة على مصحف موحد مجمع عليه .

قال ابن جزى: وانتشرت في خلال ذلك صحف كتبت في الآفاق عن الصحابة، وكان بينها اختلاف، فأشار حذيفة بن اليمان على عثمان بن عفان رضي الله عنهما، فجمع الناس على مصحف واحد ،خيفة من اختلافهم، فانتدب لذلك عثمان، وأمر زيد بن ثابت فجمعه، وجعل معه ثلاثة من قريش: عبد الله بن الزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وسعيد بن العاصي بن أمية، وقال لهم إذا اختلفتم في شيء فاجعلوه بلغة قريش (٣) ، وجعلوا المصحف الذي كان عند حفصة إماماً

---

(١) فتح الباري ١٣/٩

(٢) المصاحف ٤٩/١

(٣) قال القاضي أبو بكر بن الباقلاني معنى قول عثمان نزل القرآن بلسان قريش أي معظمه وأنه لم تقم دلالة قاطعة على أن جميعه بلسان قريش فإن ظاهر قوله تعالى إنا جعلناه قرآنا عربيا أنه نزل بجميع ألسنة العرب ومن زعم أنه أراد مضر دون ربيعة أو هما دون اليمن أو قريشا دون غيرهم فعليه البيان لأن اسم العرب يتناول الجميع تناولاً واحداً ولو ساغت هذه الدعوى لساغ للآخر أن يقول نزل بلسان بني هاشم مثلاً لأنهم أقرب نسباً إلى النبي ﷺ من سائر قريش وقال أبو شامة يحتمل أن يكون قوله نزل بلسان قريش أي ابتداء نزوله ثم أبيح أن يقرأ بلغة غيرهم كما سيأتي تقريره في باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، وتكملته أن يقال إنه نزل أولاً بلسان قريش أحد الأحرف السبعة ثم نزل بالأحرف السبعة المأذون في قراءتها تسهيلاً وتيسيراً ، كما سيأتي بيانه فلما جمع عثمان الناس على حرف واحد رأى أن الحرف الذي نزل القرآن أولاً بلسانه أولى الأحرف فحمل الناس عليه لكونه لسان النبي ﷺ ولما له من الأولية المذكورة ، فتح البارى٩/٩

في هذا الجمع الأخير، وكان عثمان ﷺ عنه يتعهدهم ويشاركهم في ذلك، فلما كمُل المصحف نسخ عثمان رضي ﷺ منه نسخاً ووجهها إلى الأمصار وأمر بما سواها أن تخرق أو تحرق "يروى بالحاء والخاء المنقوطة" (١) .

سبب الجمع :

ذكر ابن جزى أن سبب جمع عثمان ﷺ للقرآن هو حدوث الخلاف والنزاع في وجوه قراءة القرآن، وبخاصة لدى الشباب من تلامذة القراء، وتحسين بعضهم لقراءة شيخه، وتخطئته لقراءة غيره، فقد تعددت المصاحف بجوار مصحف أبى بكر، فقد كانت هناك صحف ومصاحف لبعض الصحابة ، كتبوا فيها القرآن إلا أنها لم تحظ بما حظيت به صحف أبى بكر من الدقة والميزات ، فبعض الصحابة كان يكتب المنسوخ ما ثبت برواية الآحاد، وبعض تفسيرات وتأويلات للآية، ومن أشهرها مصحف أُبى بن كعب، ومصحف عبدالله بن مسعود (٢) .

---

(١) قال بن بطال في هذا الحديث جواز تحريق الكتب التي فيها اسم الله بالنار وأن ذلك إكرام لها وصون عن وطئها بالأقدام وقد أخرج عبد الرزاق من طريق طاوس أنه كان يحرق الرسائل التي فيها البسملة إذا اجتمعت وكذا فعل عروة وكرهه إبراهيم وقال بن عطية الرواية بالحاء المهملة أصح وهذا الحكم هو الذي وقع في ذلك الوقت وأما الآن فالغسل أولى لما دعت الحاجة إلى إزالته، فتح البارى ٢١/٩

(٢) آلُ عِمْرَانَ فِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ: (الْحَيُّ الْقَيَّامُ)، (وَإِنْ حَقِيقَةُ تَأْوِيلِهِ إِلَّا عِنْدَ اللَّهِ. وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ) ، وَفِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ: (شَهِدَ اللَّهُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) ، وَفِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ: (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ) ، وَفِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَاتَلُوا الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ) ، وَفِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ: (وَنَادَاهُ الْمَلَائِكَةُ يَا زَكَرِيَّا إِنَّ اللَّهَ) ، وَفِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ: (فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَأُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ) ، وَفِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ: (بِقِنْطَارٍ يُوَفِّهِ إِلَيْكَ) ، (بِدِينَارٍ لَا يُوَفِّهِ إِلَيْكَ) ، وَفِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ: (وَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ لَيُبَشِّرُكِ) ، وَفِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ: (وَنُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ) عَلَى نُونٍ، (وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) مَكَانَ {وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [البقرة: ٢٦٥] ، وَفِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ: (يستَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَاللَّهُ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ) ، وَفِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ: (وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيُقَالُ لَهُمْ ذُوقُوا) انظر المصاحف لابن أبى داوود صـ ٥٩ وما بعدها فقد ذكر عددا من المصاحف لعدد من الصحابة

وانتشر الصحابة القراء في الأمصار، فكان أهل الشام يقرؤون بقراءة أُبى ابن كعب ، وأهل الكوفة يقرؤون بقراءة عبدالله بن مسعود، وأهل حمص عن المقداد ابن الأسود، وهكذا كل بلد يقرأ بقراءة من حل به من الصحابة فتسبب في تعدد القراءات، واختلاف القراء، وصار كل قارئ ينتصر لقراءته ، ويخطئ قراءة غيره ،وعظم الأمر، واشتد الخلاف، فأفزع ذلك عثمانﷺ وخشى عواقب هذا الاختلاف، ورأى أن يتدارك الأمر قبل استفحاله .

وحسبك أن تعلم أن اختلاف الناس لم يكن أيام عثمان في الامصار دون المدينة، بل شملت المدينة أيضاً، فلقد كان المُعلِّمون لكل معلِّم قراءته، فجعل الغلمان يَلتقون فيختلفون، فكان هذا لعثمان إلى ما بلغه من حذيفةﷺ، مما أفزعه.

روى ابن أبى داوود عَنْ أَبِي قِلَابَةَ قَالَ: لَمَّا كَانَ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ جَعَلَ الْمُعَلِّمُ يُعَلِّمُ قِرَاءَةَ الرَّجُلِ، وَالْمُعَلِّمُ يُعَلِّمُ قِرَاءَةَ الرَّجُلِ، فَجَعَلَ الْغِلْمَانُ يَلْتَقُونَ فَيَخْتَلِفُونَ حَتَّى ارْتَفَعَ ذَلِكَ إِلَى الْمُعَلِّمِينَ قَالَ أَيُّوبُ: لَا أَعْلَمُهُ إِلَّا قَالَ: حَتَّى كَفَرَ بَعْضُهُمْ بِقِرَاءَةِ بَعْضٍ، فَبَلَغَ ذَلِكَ عُثْمَانَ، فَقَامَ خَطِيبًا فَقَالَ: «أَنْتُمْ عِنْدِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَتَلْحَنُونَ، فَمَنْ نَأَى عَنِّي مِنَ الْأَمْصَارِ أَشَدُّ فِيهِ اخْتِلَافًا، وَأَشَدُّ لَحْنًا، اجْتَمِعُوا يَا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ وَاكْتُبُوا لِلنَّاسِ إِمَامًا» قَالَ أَبُو قِلَابَةَ: فَحَدَّثَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ "قَالَ أَبُو بَكْرٍ: هَذَا مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ" قَالَ: كُنْتُ فِيمَنْ أُمْلِيَ عَلَيْهِمْ فَرُبَّمَا اخْتَلَفُوا فِي الْآيَةِ فَيَذْكُرُونَ الرَّجُلَ قَدْ تَلَقَّاهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺوَلَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ غَائِبًا، أَوْ فِي بَعْضِ الْبَوَادِي، فَيَكْتُبُونَ مَا قَبْلَهَا وَمَا بَعْدَهَا، وَيَدَعُونَ مَوْضِعَهَا حَتَّى يَجِيءَ أَوْ يُرْسَلَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا فُرِغَ مِنَ الْمُصْحَفِ كَتَبَ إِلَى أَهْلِ الْأَمْصَارِ: أَنِّي قَدْ صَنَعْتُ كَذَا مَحَوْتُ مَا

عِنْدِي فَامْحُوا مَا عِنْدَكُمْ (١) .

وقد تحقق توقع عثمان ﷺ ، فقد كانت الأمصار أشدّ اختلافاً، حتى أفزع اختلافهم حذيفة بن اليمانﷺ،فجاء محذراً عثمان ﷺأن يتدارك الأمة قبل أن تختلف في كتابها اختلاف اليهود والنصارى.

روى البخاري أَنَّ حُذَيْفَةَ بْنَ اليَمَانِ، قَدِمَ عَلَى عُثْمَانَ وَكَانَ يُغَازِي أَهْلَ الشَّأْمِ فِي فَتْحِ أَرْمِينِيَةَ، وَأَذْرَبِيجَانَ مَعَ أَهْلِ العِرَاقِ، فَأَفْزَعَ حُذَيْفَةَ اخْتِلاَفُهُمْ فِي القِرَاءَةِ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ لِعُثْمَانَ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، أَدْرِكْ هَذِهِ الأُمَّةَ، قَبْلَ أَنْ يَخْتَلِفُوا فِي الكِتَابِ اخْتِلاَفَ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى، فَأَرْسَلَ عُثْمَانُ إِلَى حَفْصَةَ: «أَنْ أَرْسِلِي إِلَيْنَا بِالصُّحُفِ نَنْسَخُهَا فِي المَصَاحِفِ، ثُمَّ نَرُدُّهَا إِلَيْكِ»، فَأَرْسَلَتْ بِهَا حَفْصَةُ إِلَى عُثْمَانَ، فَأَمَرَ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ، وَسَعِيدَ بْنَ العَاصِ (٢) ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ (٣) ، فَنَسَخُوهَا فِي المَصَاحِفِ "، وَقَالَ عُثْمَانُ لِلرَّهْطِ القُرَشِيِّينَ الثَّلاَثَةِ: "إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي شَيْءٍ مِنَ القُرْآنِ فَاكْتُبُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ، فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ" فَفَعَلُوا حَتَّى إِذَا نَسَخُوا الصُّحُفَ فِي المَصَاحِفِ، رَدَّ عُثْمَانُ الصُّحُفَ إِلَى حَفْصَةَ، وَأَرْسَلَ إِلَى كُلِّ أُفُقٍ بِمُصْحَفٍ مِمَّا نَسَخُوا، وَأَمَرَ بِمَا سِوَاهُ مِنَ القُرْآنِ فِي كُلِّ صَحِيفَةٍ أَوْ مُصْحَفٍ، أَنْ يُحْرَقَ (٤) .

وتعدد الروايات في أسباب الجمع لا تضارب بينها، فكل الروايات

---

(١) المصاحف ٦٩/١

(٢) سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، كان أشبههم لهجة برسول اللهﷺ،مات مع أبي هريرة سنة سبع أو ثمان وخمسين، سير أعلام النبلاء ،٤٤٥/٣

(٣) أبو بكر بن عبد الرحمن ابن الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، الإمام ، أحد الفقهاء السبعة بالمدينة النبوية، مات في سنة أربع وتسعين بالمدينة، سير أعلام النبلاء ،٤١٦/٤

(٤) صحيح البخاري ، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن(٤٩٨٧)

تلتقى على أن هناك أسباباً جدّت في المجتمع الإسلامي دفعت عثمان إلى جمع القرآن، يمكن القول :أن هذا الخلاف حدث في المدينة أمام عثمان (١) .

وحدث في العراق ،وفى الكوفة أمام حذيفة، ورأى اختلاف المجاهدين في القراءة حين كان يُغازي أهل أرمينية فرفع ذلك إلى عثمان، لذلك رأى عثمان جمع الناس على مصحف واحد بلغة قريش وهى التي نزل بها القرآن، توحيداً للكلمة ودرءاً للفتنة، ورعاية للمصلحة العامة وجمعاً للناس على كتاب واحد .

لجنة كتابة المصحف :

قال ابن جزى : وأمر زيد بن ثابت فجمعه، وجعل معه ثلاثة من قريش: عبد الله بن الزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وسعيد بن العاص بن أمية (٢) .

وهذا العدد الذى ذكره ابن جزى موافق لرواية البخاري، وجاء في

---

(١) روى ابن أبى داوود عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: قَامَ عُثْمَانُ فَخَطَبَ النَّاسَ فَقَالَ: " أَيُّهَا النَّاسُ عَهْدُكُمْ بِنَبِيِّكُمْ مُنْذُ ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَأَنْتُمْ تَمْتَرُونَ فِي الْقُرْآنِ، وَتَقُولُونَ قِرَاءَةُ أُبَيٍّ وَقِرَاءَةُ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ الرَّجُلُ: وَاللَّهِ مَا تُقِيمُ قِرَاءَتُكَ فَأَعْزِمُ عَلَى كُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ مَا كَانَ مَعَهُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ شَيْءٌ لَمَّا جَاءَ بِهِ، وَكَانَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِالْوَرَقَةِ وَالْأَدِيمِ فِيهِ الْقُرْآنُ، حَتَّى جَمَعَ مِنْ ذَلِكَ كَثْرَةً، ثُمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ فَدَعَاهُمْ رَجُلًا رَجُلًا فَنَاشَدَهُمْ لَسَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ أَمْلَاهُ عَلَيْكَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ ذَلِكَ عُثْمَانُ قَالَ: مَنْ أَكْتَبُ النَّاسِ؟ قَالُوا: كَاتِبُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ قَالَ: فَأَيُّ النَّاسِ أَعْرَبُ؟ قَالُوا: سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ قَالَ عُثْمَانُ: فَلْيُمْلِ سَعِيدٌ وَلْيَكْتُبْ زَيْدٌ، فَكَتَبَ زَيْدٌ، وَكَتَبَ مَصَاحِفَ فَفَرَّقَهَا فِي النَّاسِ، فَسَمِعْتُ بَعْضَ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ يَقُولُ: قَدْ أَحْسَنَ "المصاحف ١/١٠٠

(٢) هو سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية القرشي الأموي، من مشاهير الصحابة وفصحاء قريش، ولهذا ندبه عثمان بن عفان لكتابة القرآن، توفي سنة ٥٨هـ على خلاف "الطبقات الكبرى ٥/ ٣٠، الإصابة ٢/ ٤٧، تهذيب التهذيب ٤/ ٤٨".

رواية ابن أبى داوود أن اللجنة كانت مكونة من اثنى عشر رجلاً (١) ، ولعل عثمان أمدَّ اللجنة بعدد آخر من الصحابة لمساعدتها في نسخ المصاحف التي أرسلها إلى الأمصار. ورئيس اللجنة وحده من الأنصار ، أما الثلاثة الباقون فهم من قريش، وألّف عثمانﷺ لجنة النسخ بعد أن استشار أصحابه ،قال :

من أكتب الناس ؟ قالوا كاتب رسول اللهﷺ زيد بن ثابت ، قال فمن أفصح الناس؟ قالوا سعيد ابن العاص ، قال: فليمْلِ سعيد وليكتب زيد ، وأسند إليهما رئاسة اللجنة ،وأضاف إليهما من يساعدهما (٢)

عمل اللجنة ومنهجها في كتابة النُّسخ :

أنهت اللجنة عملها فجاء على خير مثال، واتصفت مصاحفها التي نسختها بعديد من المزايا منها:

١ – المصدر الذى اعتمد عليه زيد في الجمع هوا لمصحف الذى كُتب في عهد أبى بكرﷺ ، وبذلك تكن المصاحف التي نسخت في خلافة عثمان نسخة مرتبة للقرآن الذى كتب بإملاء النبي ﷺ ،ولهذا قال ابن جزى : وجعلوا المصحف الذي كان عند حفصة إماماً في هذا الجمع الأخير.

---

(١) روى ابن أبى داوود عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، عَنْ كَثِيرِ بْنِ أَفْلَحَ قَالَ: " لَمَّا أَرَادَ عُثْمَانُ أَنْ يَكْتُبَ الْمَصَاحِفَ، جَمَعَ لَهُ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا مِنْ قُرَيْشٍ وَالْأَنْصَارِ، فِيهِمْ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ قَالَ فَبَعَثُوا إِلَى الرَّبْعَةِ الَّتِي فِي بَيْتِ عُمَرَ، فَجِيءَ بِهَا قَالَ وَكَانَ عُثْمَانُ يَتَعَاهَدُهُمْ، فَكَانُوا إِذَا تَدَارَءُوا فِي شَيْءٍ أَخَّرُوهُ قَالَ مُحَمَّدٌ: فَقُلْتُ لِكَثِيرٍ، وَكَانَ فِيهِمْ فِيمَنْ يَكْتُبُ: هَلْ تَدْرُونَ: لِمَ كَانُوا يُؤَخِّرُونَهُ؟ قَالَ: لَا قَالَ مُحَمَّدٌ: فَظَنَنْتُ ظَنًّا، إِنَّمَا كَانُوا يُؤَخِّرُونَهَا لِيَنْظُرُوا أَحْدَثَهُمْ عَهْدًا بِالْعَرْضَةِ الْأَخِرَةِ فَيَكْتُبُونَهَا عَلَى قَوْلِهِ " المصاحف ١٠٤/١

(٢) ثُمَّ قَالَ: أَيُّ النَّاسِ أَفْصَحُ؟ قَالُوا: سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ، ثُمَّ قَالَ: أَيُّ النَّاسِ أَكْتَبُ؟ قَالُوا: زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ قَالَ: فَلْيَكْتُبْ [ص:١٠٢] زَيْدٌ وَلْيُمْلِ سَعِيدٌ قَالَ: وَكَتَبَ مَصَاحِفَ فَقَسَّمَهَا فِي الْأَمْصَارِ، فَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا عَابَ ذَلِكَ عَلَيْهِ "المصاحف ١٠١/١

٢ – الاقتصار على ما ثبت بالتواتر من أوجه القراءات، دون ما كانت روايته آحاداً

٣ – إهمال ما نسخت تلاوته ولم يستقر في العرضة الأخير ، كما هو الشأن فى الأصل المعتمد الذى كتبه زيد على عهد أبى بكر رضي الله عنه وذلك بعرضه على حملته من قراء الصحابة.

٤ – ترتيب السور والآيات على الوجه المعروف الآن، والذى كان بتوقيف النبي ﷺ.

٥ – إذا اختلفوا في شيء من القرآن كتبوه بلغة قريش، وقد اختلفت اللجنة فى كتابة "التابوت" "والتابوه " ففي الترمذي: (قال الزهري: فاختلفوا يومئذ في "التابوت "والتابوه فقال القرشيون "التابوت" وقال زيدٌ التابوه فرُفعَ اختلافهم إلى عثمان فقال اكتبوه التابوت فإنه نزل بلسان قريش (١) .

قال ابن عطية: فاختلفوا في التابوه والتابوت، قرأه زيد بن ثابت بالهاء والقرشيون بالتاء، فأثبته بالتاء، وكتب المصحف على ما هو عليه غابر الدهر(٢) . وقدد كان عثمان يراجع ما يكتبونه كلمة كلمة ، وحرفاً حرفا.

٦ – اللفظ الذى لا تختلف فيه وجوه القراءات يرسم بصورة واحدة.

٧ – جردوا المصاحف كلها من النقط والشكل من أولها إلى آخرها.

٨ – أن رسمها كان بطريقة تجمع الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن وتصلح لأوجه القراءات المختلفة.

٩ – الكلمات التي تقرأ بأكثر من وجه، وكتابتها برسم واحد توافق قراءتها بوجوه مختلفة، تقديراً واحتمالاً نحو: (ملك بحذف الألف وبإثباتها،

---

(١) سنن الترمذي ،كتاب أبواب التفسير ، باب ومن سورة التوبة (٣١٠٤)

(٢) المحرر الوجيز ، جـ١، ص ٤٩ .

حيث تحذف الألف وبإثباتها، حيث تحذف الألف من كلمات كثيرة اختصاراً (١) .

يقول العلامة الزرقاني:" والذي دعا الصحابة إلى انتهاج هذه الخطة في رسم المصاحف وكتابتها أنهم تلقوا القرآن عن رسول الله ﷺ بجميع وجوه قراءاته، وبكافة حروفه التي نزل عليها، فكانت هذه الطريقة أدنى إلى الإحاطة بالقرآن على وجوهه كلها، حتى لا يقال: إنهم أسقطوا شيئاً من قراءاته، أو منعوا أحداً من القراءة بأي حرف شاء على حين أنها كلها منقولة نقلاً متواتراً عن النبي ﷺ (٢) .

عدد المصاحف : بعد أن أتم عثمان ﷺ عنه نسخ المصحف، رد الصحف إلى حفصة، ثم أرسل إلى كل أفق من الأقطار بمصحف مما نسخوا، وأمر أن يحرق كل ما عداها مما يخالفها، سواء كانت صحفاً أو مصاحف؛ وذلك ليقطع عرق النزاع من ناحية، وليحمل المسلمين على الجادة في كتاب الله من ناحية أخرى، فلا يأخذون إلا بتلك المصاحف التي توافر فيها من المزايا ما لم يتوافر في غيرها (٣) .

وقد اختلف الرواة في عدد المصاحف التي نُسخت في عهد عثمانﷺ على أقوال :

١ – قيل إنها أربعة مصاحف، بعث بها إلى الكوفة، والبصرة،

---

(١) مالِكِ قَرَأَ مَالِكِ عَلَى وَزْنِ فَاعِلٍ بِالْخَفْضِ، عَاصِمٌ، وَالْكِسَائِيُّ، وَخَلَفٌ فِي اخْتِيَارِهِ، وَيَعْقُوبُ، وَهِيَ قِرَاءَةُ الْعَشَرَةِ إِلَّا طَلْحَةَ، وَالزُّبَيْرَ، وَقِرَاءَةُ كَثِيرٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مِنْهُمْ: أُبَيٌّ، وَابْنُ مَسْعُودٍ، وَمُعَاذٌ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَالتَّابِعِينَ مِنْهُمْ: قَتَادَةُ وَالْأَعْمَشُ. وَقَرَأَ مَلِكِ عَلَى وَزْنِ فَعِلٍ بِالْخَفْضِ بَاقِي السَّبْعَةِ، وَزَيْدٌ، وَأَبُو الدَّرْدَاءِ، وَابْنُ عُمَرَ، وَالْمِسْوَرُ، وَكَثِيرٌ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ. البحر المحيط ،٦٣/١

(٢) مناهل العرفان ٢٥٩/١

(٣) مناهل العرفان ٢٦٠/١

والشام، واحتفظ بنسخة عنده [١] . قال أبو عمرو الداني: أكثر العلماء على أن عثمان بن عفان ﷺ لما كتب المصحف جعله على أربع نسخ، وبعث إلى كل ناحية من النواحي بواحدة منهن فوجّه، إلى الكوفة إحداهن، وإلى البصرة أخرى، وإلى الشام الثالثة، وامسك عند نفسه واحدة [٢] واختار هذا القول أبو عمرو ورجحه فقال : والأول أصح وعليه الأئمة[٣] .

٢ – وقيل إنها سبعة مصاحف ،روى ابن أبى داوود، في المصاحف، لما كتب عثمان المصاحف حين جمع القرآن، كتب سبعة مصاحف، فبعث واحدا إلى مكة، وآخر إلى الشام، وآخر إلى اليمن، وآخر إلى البحرين، وآخر إلى البصرة، وآخر إلى الكوفة، وحبس بالمدينة واحداً [٤] .

٣ – وذكر ابن الجزري أنها ثمانية حيث قال: فوجه بمصحف إلى البصرة، ومصحف إلى الكوفة، ومصحف إلى الشام، وترك مصحفاً بالمدينة، وأمسك لنفسه مصحفاً الذي يقال له الإمام، ووجه بمصحف إلى مكة، وبمصحف إلى اليمن، وبمصحف إلى البحرين [٥] .

ويبدو أن عثمانﷺ كتب أكثر من أربعة مصاحف يدل على ذلك ما رواه البخاري " فَفَعَلُوا حَتَّى إِذَا نَسَخُوا الصُّحُفَ فِي المَصَاحِفِ، رَدَّ عُثْمَانُ الصُّحُفَ إِلَى حَفْصَةَ، وَأَرْسَلَ إِلَى كُلِّ أُفُقٍ بِمُصْحَفٍ مِمَّا نَسَخُوا، وَأَمَرَ بِمَا سِوَاهُ مِنَ القُرْآنِ فِي كُلِّ صَحِيفَةٍ أَوْ مُصْحَفٍ، أَنْ يُحْرَقَ) [٦] .

---

(١) البرهان ٢٤٠/١جـ١

(٢) المقنع في رسم مصاحف الأمصار، أبو عمرو الداني ١٩/١تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة

(٣) المقنع، ١٩/١

(٤) المصاحف ،١٣٣/١

(٥) النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، ٧/١، تحقيق : علي محمد الضباع ط/ المطبعة التجارية الكبرى.

(٦) صحيح البخاري ، كِتَابُ فَضَائِلِ القُرْآنِ، بَابُ جَمْعِ القُرْآنِ،(٤٩٨٧)

فأرسل إلى كل أفق بمصحف، أضف إلى ذلك أن الهدف من نسخ المصاحف هو القضاء على الفتنة والاختلاف، ولا يتأتى هذا إلا ببعث مصحف إلى كل مصر من الأمصار المفتوحة في هذا الوقت.

وأيا كان الاختلاف في عدد النسخ ، إلا أن الثابت أن هذه المصاحف بقيت متداولة، ينسخ الناس منها، حتى ظهرت دور الطباعة، وظهرت المصاحف المطبوعة بأشكالها المختلفة، وأحجامها المتعددة، وأطلق عليها: "المصاحف العثمانية" نسبة إلى "عثمان بن عفان" ﷺ لا باعتبار أنه نسخها بطريقة تختلف عن الطريقة التي كتبت بها في عهد الرسول ﷺ، وعهد أبي بكر ﷺ وإنما لأنه هو الذي نسخ هذه المصاحف وأرسلها إلى الأمصار، فذاعت هذه المصاحف وانتشرت، وتلقاها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها، وإلا فسيدنا "عثمان" ﷺ لم يبتكر خطاً جديداً لكتابة المصاحف، وإنما تبع في ذلك نفس الخط الذي كتب به المصحف من قبل (١) .

مصحف حفصة رضى الله عنها:

لما نسخ عثمان ﷺ المصاحف وحرّق ما سواها ردّ إلى حفصة المصحف الذى أخذه منها، وظل عندها حتى ماتت، وفاء بعهده لها، ولعلمه أن وجوده عندها لا ينشأ عنه ما يخشى على القرآن منه، لأنها لا تسمح بتداوله بين المسلمين، ولولا مصلحة المسلمين في جمع الناس على مصحف واحد ، ما أرسلت به إليه، فلما كان مروان أميراً على المدينة من جهة معاوية، أرسل إلى حفصة يطلب الصحف فأبت أن ترسلها له، فأخذ يسألها وتأبى، حتى توفيت، قال سالم بن عبدالله بن عمر : فلما توفيت حفصة، ورجعنا من دفنها، أرسل مروان بالعزيمة إلى

(١) رسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاحات الحديثة، شعبان محمد إسماعيل ، ص ١٩، ط دار السلام للطباعة والنشر، الثانية

عبدالله بن عمر ليرسلن إليه بتلك الصحف، فأرسل بها إليه، فأمر بها مروان فغسلت غسلاً، ثم شققت، ثم أحرقت ، ثم قال :إنما فعلت هذا لأنى خشيت إن طال بالناس زمان أن يرتاب في شأن هذه الصحف (١) .

تحريق عثمان للمصاحف والصحف المخالفة:

قال ابن جزى : وأمر بما سواها أن تخرق أو تحرق "يروى بالحاء والخاء المنقوطة "

وعند البخاري من حديث أنس ابن مالك" فَفَعَلُوا حَتَّى إِذَا نَسَخُوا الصُّحُفَ فِي المَصَاحِفِ، رَدَّ عُثْمَانُ الصُّحُفَ إِلَى حَفْصَةَ، وَأَرْسَلَ إِلَى كُلِّ أُفُقٍ بِمُصْحَفٍ مِمَّا نَسَخُوا، وَأَمَرَ بِمَا سِوَاهُ مِنَ القُرْآنِ فِي كُلِّ صَحِيفَةٍ أَوْ مُصْحَفٍ، أَنْ يُحْرَقَ" (٢)

وقد حرّق عثمان ﷺ المصاحف بعد أن نسخ منها ما أجمع المسلمون على صحة القراءة به، وكان ذلك بمرأى ومسمع من الصحابة ﷺ، ولم ينكر عليه أحد، وفي رواية أبي قلابة ،فلما فرغ عثمان

---

(١) روى ابن أبى داوود ،قالَ ابْنُ شِهَابٍ: ثُمَّ أَخْبَرَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ الْأَنْصَارِيُّ، أَنَّهُ اجْتَمَعَ لِغَزْوَةِ أَذْرَبِيجَانَ وَأَرْمِينِيَّةَ أَهْلُ الشَّامِ وَأَهْلُ الْعِرَاقِ قَالَ: فَتَذَاكَرُوا الْقُرْآنَ فَاخْتَلَفُوا فِيهِ حَتَّى كَادَ يَكُونُ بَيْنَهُمْ فِتْنَةٌ قَالَ: فَرَكِبَ حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ لَمَّا رَأَى مِن اخْتِلَافِهِمْ فِي الْقُرْآنِ إِلَى عُثْمَانَ، فَقَالَ: " إِنَّ النَّاسَ قَدِ اخْتَلَفُوا فِي الْقُرْآنِ حَتَّى وَاللَّهِ لَأَخْشَى أَنْ يُصِيبَهُمْ مَا أَصَابَ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى مِنَ الاخْتِلَافِ قَالَ: فَفَزِعَ لِذَلِكَ عُثْمَانُ فَزَعًا شَدِيدًا، فَأَرْسَلَ إِلَى حَفْصَةَ، فَاسْتَخْرَجَ الصَّحِيفَةَ الَّتِي كَانَ أَبُو بَكْرٍ أَمَرَ زَيْدًا بِجَمْعِهَا، فَنَسَخَ مِنْهَا مَصَاحِفَ، فَبَعَثَ بِهَا إِلَى الْآفَاقِ، فَلَمَّا كَانَ مَرْوَانُ أَمِيرَ الْمَدِينَةِ، أَرْسَلَ إِلَى حَفْصَةَ يَسْأَلُهَا عَنِ الصُّحُفِ؛ لِيَحْرِقَهَا وَخَشِيَ أَنْ يُخَالِفَ بَعْضُ الْكُتَّابِ بَعْضًا فَمَنَعَتْهُ إِيَّاهَا "الَ ابْنُ شِهَابٍ: فَحَدَّثَنِي سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: «فَلَمَّا تُوُفِّيَتْ حَفْصَةُ أَرْسَلَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بِعَزِيمَةٍ لِيُرْسِلَنَّ بِهَا، فَسَاعَةَ رَجَعُوا مِنْ جِنَازَةِ حَفْصَةَ أَرْسَلَ بِهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ إِلَى مَرْوَانَ فَغَشَاهَا وَحَرَّقَهَا مَخَافَةَ أَنْ يَكُونَ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ اخْتِلَافٌ لِمَا نَسَخَ عُثْمَانُ رَحْمَةُ اللَّهُ عَلَيْهِ» المصاحف صـ٦٨، وانظر المرشد الوجيز إلى علوم القرآن ،لأبى شامة صـ٥٣ ، دراسات في علوم القرآن ، محمد بكر إسماعيل صـ١١٥

(٢) فتح الباري ،كتاب فضائل القرآن ،باب جمع القرآن (٤٩٨٧)

من المصحف كتب إلى أهل الأمصار إني قد صنعت كذا وكذا ومحوت ما عندي فامحوا ما عندكم (١)

روى ابن داوود في المصاحف ، قال علي في المصاحف: "لو لم يصنعه عثمان لصنعته ، وروى أيضاً عن مصعب بن سعد قال: " أدركت الناس متوافرين حين حرق عثمان المصاحف، فأعجبهم ذلك، وقال: لم ينكر ذلك منهم أحد (٢)

قال ابن حجر: والمحو أعم من أن يكون بالغسل أو التحريق وأكثر الروايات صريح في التحريق فهو الذي وقع ويحتمل وقوع كل منهما بحسب ما رأى من كان بيده شيء من ذلك وقد جزم عياض بأنهم غسلوها بالماء ثم أحرقوها مبالغة في إذهابها (٣)

وأما تعلق الروافض بأن عثمان أحرق المصاحف ،فإنه جهل منهم وعمى ، فإن هذا من فضائله وعلمه، فإنه أصلح، ولم الشعث ،وكان ذلك واجباً عليه، ولو تركه لعصى، لما فيه من التضييع ،وحاشاه من ذلك (٤)

وعن مصعب بن سعد قال: أَدْرَكْتُ النَّاسَ مُتَوَافِرِينَ حِينَ حَرَّقَ عُثْمَانُ الْمَصَاحِفَ، فَأَعْجَبَهُمْ ذَلِكَ، وَقَالَ: لَمْ يُنْكِرْ ذَلِكَ مِنْهُمْ أَحَدٌ " (٥)

وفى كشف القناع : ولو بلي المصحف أو اندرس دفن نصا (٦)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وأما المصحف العتيق والذي تَخرَّق وصار بحيث لا ينتفع به بالقراءة فيه ، فإنه يدفن في مكان يُصان فيه ،

---

(١) المصاحف ٦٦/١

(٢) المصاحف٦٧/١، باب اتفاق الناس مع عثمان على جمع المصاحف

(٣) فتح الباري ،٢١/٩

(٤) البرهان للزركشي ٢٤٠/١

(٥) المصاحف ،٦٨/١

(٦) كشف القناع عن متن الإقناع، ١٣٧/١

كما أن كرامة بدن المؤمن دفنه في موضع يصان فيه (١)

قال السيوطي: " إذا احتيج إلى تعطيل بعض أوراق المصحف لبلى ونحوه، فلا يجوز وضعها في شق أو غيره ؛ لأنه قد يسقط ويوطأ ، ولا يجوز تمزيقها لما فيه من تقطيع الحروف وتفرقة الكلم ، وفي ذلك إزراء بالمكتوب ... وإن أحرقها بالنار فلا بأس ، أحرق عثمان مصاحف كان فيها آيات وقراءات منسوخة ولم ينكر عليه

الفرق بين جمع الصديق وعثمان رضى الله عنهما :

قال السيوطي : الفرق بين جمع أبي بكر وجمع عثمان، أن جمع أبي بكر كان لخشية أن يذهب من القرآن شيء بذهاب جملته، لأنه لم يكن مجموعاً في موضع واحد، فجمعه في صحائف مرتباً لآيات سوره على ما وقفهم عليه النبي ﷺ، وجمع عثمان كان لما كثر الاختلاف في وجوه القراءة حتى قرؤوه بلغاتهم على اتساع اللغات، فأدى ذلك بعضهم إلى تخطئة بعض ،فخشي من تفاقم الأمر في ذلك، فنسخ تلك الصحف في مصحف واحد، مرتباً لسوره واقتصر من سائر اللغات على لغة قريش، محتجاً بأنه نزل بلغتهم، وإن كان قد وسع قراءته بلغة غيرهم رفعاً للحرج والمشقة، في ابتداء الأمر فرأى أن الحاجة إلى ذلك قد انتهت فاقتصر على لغة واحدة (٢) .

وقال القاضي أبو بكر في الانتصار: لم يقصد عثمان قصد أبي بكر في جمع نفس القرآن بين لوحين ، وإنما قصد جمعهم على القراءات الثابتة المعروفة عن النبي ﷺوإلغاء ما ليس كذلك، وأخذهم بمصحف واحد (٣)

---

(١) مجموع الفتاوى ،٥٩٩/١٢

(٢) الاتقان ٢١٠/١

(٣) الانتصار ٢٧٨/١، فتح الباري ٢١/٩

قال أبوشامة: فقد اتضح بما ذكرناه معنى ما فعله كل واحد من الإمامين أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما، وتبين أن قصد كل واحد منهما غير قصد الآخر، فأبو بكر قصد جمعه في مكان واحد، ذخرًا للإسلام يرجع إليه إن اصطلم (١) ، والعياذ بالله، قراؤه، وعثمان قصد أن يقتصر الناس على تلاوته على اللفظ الذي كتب بأمر النبي ﷺ، ولا يتعدوه إلى غيره من القراءات التي كانت مباحة لهم، المنافية لخط المصحف من الزيادة والنقصان وإبدال الألفاظ (٢).

قال أبو شامة : ويعد هذا الجمع من مناقب عثمان رضي الله عنه ، قال أبو مجلز لاحق بن حميد –رحمه الله –وهو من جلة تابعي البصرة– (٣) : يرحم الله عثمان، لو لم يجمع الناس على قراءة واحدة لقرأ الناس القرآن بالشعر. وقال حماد بن سلمة (٤) : كان عثمان في المصحف كأبي بكر في الردة.

---

(١) اصطلم : الصَّلْمُ: قَطْعُ الأَنْفِ من أصلِه. واصطُلِمَ القومُ اذا أُبيدوا من أصلِهم، والصَّيْلَمُ: الأمرُ المُفْني المُستَأصِلُ، انظر كتاب العين ،لأبى عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)،١٢٩/٧، باب الصاد واللام مع الميم ،تحقيق د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال

(٢) المرشد الوجيز إلى علوم القرآن، صـ٧١

(٣) هو لاحق بن حميد بن سعيد السدوسي، أبو مجلز البصري، أحد علماء البصرة في عصره، لحق الكبار الصحابة كأبي موسى وابن عباس، توفي سنة ١٠٦هـ على خلاف. "الطبقات الكبرى ٧/ ٢١٦، ٣٦٨، غاية النهاية ٢/ ٣٦٢، تهذيب التهذيب ١١/ ١٧١، شذرات الذهب ١/ ١٣٤"

(٤) هو حماد بن سلمة بن دينار، أبو سلمة البصري، مفتي أهل البصرة وأحد رجال الحديث، توفي سنة ١٦٧هـ "ميزان الاعتدال ١/ ٢٧٧، تهذيب التهذيب ٣/ ١١

وقال عبد الرحمن بن مهدي [١] : كان لعثمان شيئان ليس لأبي بكر ولا عمر مثلهما: صبره نفسه حتى قتل مظلوما، وجمعه الناس على المصحف [٢] .

وبهذا يكون عثمان ﷺ قد قضى على الفرقة والخلاف ، وجمع المسلمين على جادة سواء ،في أعظم أمر من أمور المسلمين، وهو القرآن الكريم منهج حياتهم ، وضمان سلامتهم في الدنيا والآخرة .

---

(١) عبد الرحمن بن مهدي بن حسان بن عبد الرحمن العنبري ،الإمام، الناقد، المجود، سيد الحفاظ، أبو سعيد العنبري – وقيل: الأزدي – مولاهم، البصري، اللؤلؤي . ولد : سنة خمس وثلاثين ومائة، قاله: أحمد بن حنبل. وطلب هذا الشأن وهو ابن بضع عشرة سنة. سير أعلام النبلاء ١٩٣/٩.

(٢) المرشد الوجيز إلى علوم القرآن ،لأبى شامة، ٧١/١

المبحـــث الرابـــع
ترتـــيب الآيـات والســـور

هذا الموضوع درسه المؤلفون في علوم القرآن ، لأن ترتيب الآيات والسور لم يَجْرِ على ترتيب نزولها ، ومن ثم بحث الدارسون الأسس التي بُنى عليها هذا الترتيب .

قال ابن جزى: فترتيب السور على ما هو الآن من فعل عثمان وزيد بن ثابت، والذين كتبوا معه المصحف، وقد قيل إنه من فعل رسول الله ﷺ، وذلك ضعيف تردّه الآثار الواردة في ذلك (١) .

أولاً : ترتيب الآيات:

من خلال عرض كلام ابن جزى ،نلاحظ أنه لم يتعرض للكلام على ترتيب آيات القرآن الكريم ، وكأنه يقول :إن ترتيب الآيات توقيفي لا نحتاج إلى الكلام فيه.

وقد أجمع العلماء على أن ترتيب الآيات القرآنية على ما هو عليه الآن أمر توقيفي من رسول الله ﷺ ، وأنه لا مجال للرأي والاختيار فيه، بل كان جبريل ينزل بالآيات على الرسول ﷺ ويرشده إلى موضع كل آية من سورتها، ثم يقرأها النبي ﷺعلى أصحابه، ويأمر كُتّاب الوحي بكتابتها، معيناً لهم السورة التي تكون فيها الآية، وموضع الآية من هذه السورة، وكانﷺ يتلوه عليهم في صلاته وعظاته، وفي حكمه وأحكامه، وكان يعارض به جبريلعليه السلام كل عام مرة، وعارضه به في العام الأخير مرتين، كل ذلك كان على الترتيب المعروف لنا في المصاحف، وكذلك كان كل من حفظ القرآن أو شيئاً منه من الصحابة حفظه مرتب الآيات على هذا النمط، وشاع ذلك وذاع وملأ البقاع والأسماع، يتدارسونه فيما بينهم،

(١) التسهيل ١٣/١

ويقرءونه في صلاتهم، ويأخذه بعضهم عن بعض، ويسمعه بعضهم عن بعض بالترتيب القائم الآن، فليس لواحد من الصحابة والخلفاء الراشدين يد ولا تصرف في ترتيب شيء من آيات القرآن الكريم (١) .

قال الإمام السيوطي : الإجماع والنصوص المترادفة على أن ترتيب الآيات توقيفي لا شبهة في ذلك وأما الإجماع فنقله غير واحد منهم الزركشي في البرهان ، وأبو جعفر بن الزبير في مناسباته وعبارته: ترتيب الآيات في سورها واقع بتوقيفه ﷺ وأمره من غير خلاف في هذا بين المسلمين (٢)

قال أبوبكر في الانتصار : باب الكشف عن وجوب ترتيب آيات السور وأن ذلك إنما حصل بالنص والتوقيف دون الاجتهاد وأنه ليس لأحد أن يخلط آيات السور بغيرها ولا يضع مكان الآية غيرها مما قبلها أو بعدها.....وهو الذي كان يأمُرُهم ويُوقِفُهم على إثباتِ آيات السورة وترتيبها، وأنّه ليس لهم في ذلك خيارٌ، ولا هو مما رُدَّ إلى آرائهم (٣) .

يدل على ذلك ،أن جبريل عليه السلام كان ينزل بالآيات مفرقة على النبي ﷺ، ويرشده إلى موضع كل آية من سورتها.

أخرج البخاري قال: قَالَ: ابْنُ الزُّبَيْرِ قُلْتُ: لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾ (٤) قَالَ: قَدْ نَسَخَتْهَا الآيَةُ الأُخْرَى، فَلِمَ

---

(١) مناهل العرفان ١/ ١٤٧؛ وتاريخ القرآن لإبراهيم الأبياري ٥٥/ ٦٨؛ والمدخل لدراسة القرآن الكريم لمحمد أبي شهبة: صـ٢٨٣، جمع القرآن (دراسة تحليلية لمروياته)١/٢١٠، أكرم عبد خليفة حمد الدليمي ،ط: دار الكتب العلمية – بيروت، الأولى، ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦م

(٢) الاتقان١/٢١١، البرهان١/٢٣٧، البرهان فى تناسب سور القرآن : أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (المتوفى: ٧٠٨هـ) ١/١٨٣،تحقيق: محمد شعباني ، ط/: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية . المغرب، سنة: ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م

(٣) الانتصار ٢٩٣/١

(٤) سورة البقرة ،آية ٢٣٤

تَكْتُبُهَا؟ أَوْ تَدَعُهَا؟ قَالَ: «يَا ابْنَ أَخِي لاَ أُغَيِّرُ شَيْئًا مِنْهُ مِنْ مَكَانِهِ" (١) .

ومنها ما رواه مسلم عن عمر قال: ما سألت النبيﷺ عن شيء أكثر مما سألته عن الكلالة حتى طعن بإصبعه في صدري وقال: "تكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء (٢) .

وأخرج الإمام أحمد، عن عثمان بن أبي العاص، قال: كنت عند رسول الله ﷺ جالساً إذ شخص ببصره ثم صوبه حتى كاد أن يلزقه بالأرض قال ثم شخص ببصره فقال أتاني جبريلعليه السلام فأمرني أن أضع هذه الآية بهذا الموضع من هذه السورة ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (٣) وإلى هذا ذهب جمهور المفسرين (٤)

ثانياً: ترتيب السور:

اختلف العلماء في ترتيب السور، هل هو بتوقيف من النبي ﷺ أو باجتهاد من الصحابة؟ بعد الإجماع على أن ترتيب الآيات توقيفي، والقطع بذلك.

قال ابن جزى: فترتيب السور على ما هو الآن من فعل عثمان وزيد بن ثابت والذين كتبوا معه المصحف، وقد قيل إنه من فعل رسول الله ﷺ، وذلك ضعيف تردّه الآثار الواردة في ذلك.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، بَابُ {وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} [البقرة: ٢٣٤](٤٥٣٠)

(٢) أخرجه مسلم ،كتاب الفرائض ، باب ميراث الكلالة (١٦١٧)

(٣) مسند الإمام أحمد، مسند الشاميين» حديث عثمان بن أبي العاص عن النبي ﷺ (17459) دار إحياء التراث العربي : ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م

(٤) الهداية إلى بلوغ النهاية، مكى ابن أبى طالب،٢٩٠٩/٤

ذكر ابن جزى قولين في ترتيب سور القرآن الكريم:

القول الأول : إن ترتيب السور على ما هي عليه الآن من فعل الصحابة في عهد عثمان ﷺ وهذا الذى رجحه بن جزى ،و يُنسب هذا القول لعدد من العلماء، منهم الإمام مالك (١)، والقاضي أبو بكر بن الطيب (٢) في قوليه (٣)، وقال الزرقاني: وينسب هذا القول إلى جمهور العلماء (٤) ، واستدلوا على ما ذهبوا إليه بعدة أدلة منها

١- أن مصاحف الصحابة كانت مختلفة في ترتيب السور قبل أن يُجمع القرآن في عهد عثمان ﷺ ،فلو كان هذا الترتيب توقيفياً ما ساغ لهم أن يهملوه ، ويتجاوزوه ويختلفوا فيه ذلك الاختلاف الذى تصوره لنا الروايات ، لكنها اختلفت؛ فمنهم من رتب على النزول كمصحف عليّ ﷺ، كان أوله اقرأ، ثم المدثر، ثم ن، ثم المزمل، ثم تبت، ثم التكوير، ثم سبح وهكذا إلى آخر المكي ثم المدني (٥) .

وهذا مصحف أبي بن كعب، روي أنه كان مبدوءا بالفاتحة ثم البقرة، ثم النساء، ثم آل عمران، ثم الأنعام ،وهذا مصحف ابن مسعود كان مبدوءا بالبقرة، ثم النساء، ثم آل عمران (٦) .

---

(١) وقد ورد عن الإمام مالك ما يفيد أن الترتيب كان بتوقيف عن النبي ﷺ ، قيل لمالك: كيف قدمت السور الكبار في التأليف وقد نزل بعضه قبل بعض؟ قال: " أجل! ولكن أراهم إنما ألفوه على ما كانوا يسمعون من قراءة النبي ﷺ الحوادث والبدع ص١٠٣

(٢) هو القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني المتكلم المشهور، صاحب كتاب إعجاز القرآن والتقريب وغيره، توفي سنة ٤٠٣هـ. وفيات الأعيان لابن خلكان "١/ ٤٨١"، وشذرات الذهب "٢/ ٥٧". انظر قول الباقلاني في الانتصار للقرآن "١/ ٢٧٨" وما بعدها.

(٣) البرهان للزركشى،٢٥٧/١

(٤) مناهل العرفان: ١/ ٣٥٣.

(٥) راجع المصاحف لابن أبى داوود صـ١٦٤،أسرر ترتيب القرآن ٤١/١

(٦) الاتقان ٢١٦/١، فتح الباري ٤٢/٩، وقد أجاب السيوطي عن اختلاف مصاحف الصحابة إجابة شافية فقال: وقد منّ الله علىّ بجواب نفيس ، وهو: أن القرآن وقع فيه النسخ =

ويمكن أن يُرد عليه بأن ترتيب الصحابة قبل أن يعلموا بالتوقيف فلما بلغهم ذلك رجعوا عن ترتيب مصاحفهم (١) .

٢ – روى الترمذي ، والنسائي ، وابن حبان، والحاكم عن ابن عباس رضى الله عنهما قَالَ: قُلْتُ لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ: مَا حَمَلَكُمْ أَنْ عَمَدْتُمْ إِلَى الأَنْفَالِ وَهِيَ مِنَ المَثَانِي وَإِلَى بَرَاءَةٌ وَهِيَ مِنَ المِئِينَ فَقَرَنْتُمْ بَيْنَهُمَا وَلَمْ تَكْتُبُوا بَيْنَهُمَا سَطْرَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَوَضَعْتُمُوهَا فِي السَّبْعِ الطُّوَلِ، مَا حَمَلَكُمْ عَلَى ذَلِكَ؟ فَقَالَ عُثْمَانُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِمَّا يَأْتِي عَلَيْهِ الزَّمَانُ وَهُوَ يُنْزَلُ عَلَيْهِ السُّوَرُ ذَوَاتُ الْعَدَدِ، فَكَانَ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الشَّيْءُ دَعَا بَعْضَ مَنْ كَانَ يَكْتُبُ فَيَقُولُ: "ضَعُوا هَؤُلَاءِ الآيَاتِ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا" وَإِذَا نَزَلَتْ عَلَيْهِ الآيَةَ فَيَقُولُ: "ضَعُوا هَذِهِ الآيَةَ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا"، وَكَانَتِ الأَنْفَالُ مِنْ أَوَائِلِ مَا نَزَلَتْ بِالْمَدِينَةِ وَكَانَتْ بَرَاءَةٌ مِنْ آخِرِ القُرْآنِ وَكَانَتْ قِصَّتُهَا شَبِيهَةً بِقِصَّتِهَا فَظَنَنْتُ أَنَّهَا مِنْهَا، فَقُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺوَلَمْ يُبَيِّنْ لَنَا أَنَّهَا مِنْهَا، فَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ قَرَنْتُ

=كثيراً للرسم ، حتى لسور كاملة ، وآيات كثيرة، فلا بدع أن يكون الترتيب العثماني هو الذى استقر في العرضة الأخيرة ، كالقراءات التي في مصحفه ، ولم يبلغ ذلك أُبياً، وابن مسعود ، كما لم يبلغهما نسخ ما وضعاه في مصاحفهما من القراءات الت تخالف المصحف العثمانية، ولذلك كتب أُبى في مصحفه سور(الحفد(و (الخلع) وهما منسوختان ،فالحاصل أنى أقول : ترتيب كل المصاحف بتوقيف ، واستقر التوقيف في العرضة الأخيرة على القراءات العثمانية ، ورتب أولئك ما كان عندهم ، ولم يبلغهم ما استقر ، كما كتبوا القراءات المثبته في مصاحفهم بتوقيف ، واستقر التوقيف في العرضة الأخيرة على القراءات المنسوخات ،ولم يبلغهم النسخ . تناسق الدرر في تناسب السور ، للسيوطي صـ٦٠، ط/دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان، تحقيق ،عبدالقادر أحمد عطا، الأولى ،١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م .، قلت : وما ذكره السيوطي من أبياً وابن مسعود لم يبلغهما ما نسخ من القرآن وما استقر في العرضة الأخير ، لا يسلم له ، ولا يليق بهذين العالمين الجليلين ، كيف وهما من علماء الصحابة ومن كتبة الوحى ، ومن قراء القرآن الكريم .

(١) دراسات في علوم القرآن ، فهد الرومى١/١١٢

بَيْنَهُمَا وَلَمْ أَكْتُبْ بَيْنَهُمَا سَطْرَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فَوَضَعْتُهَا فِي السبع ،الطُّوَلِ (١) .

---

(١) أخرجه الترمذي ، أَبْوَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، بَابٌ: وَمِنْ سُورَةِ التَّوْبَةِ(٣٠٨٦)قال أبو عيسى هذا حديث حسن لا نعرفه إلا من حديث عوف، عن يزيد الفارسي، عن ابن عباس» ويزيد الفارسي قد روى عن ابن عباس، غير حديث، ويقال هو: يزيد بن هرمز، ويزيد الرقاشي هو: يزيد بن أبان الرقاشي ولم يدرك ابن عباس إنما روى عن أنس بن مالك، وكلاهما من أهل البصرة، ويزيد الفارسي أقدم من يزيد الرقاشي "الحديث أخرجه: أبو داود في «مسنده» (١: ٢٠٨) عن عمرو بن عون، عن هشيم، عن عوف، عن يزيد الفارسي، عن ابن عباس، بلفظ: السبع الطوال، وأخرجه أبو داود بعده من طريق مروان بن معاوية، وأخرجه الترمذي في كتاب التفسير، سورة التوبة (٥: ٢٧٢) ، من طريق يحيى بن سعيد، ومحمد بن جعفر، وابن أبي عدي، وسهل بن يوسف، وقال: لا نعرف هذا الحديث إلا من حديث عوف عن يزيد الفارسي ... ويقال: هو يزيد بن هرمز وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢: ٢٢١) ، من طريق هوذة بن خليفة، و (٢: ٣٣٠) من طريق روح بن عبادة، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢: ٤٢) من طريق إسحاق الأزرق، كلهم عن عوف بن أبي جميلة، عن يزيد الفارسي عن ابن عباس. وابن حبان، كتاب الوحي، باب ،ذِكْرُ مَا كَانَ يَأْمُرُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم يكتبه الْقُرْآنِ عِنْدَ نُزُولِ الْآيَةِ بَعْدَ الْآيَةِ (٤٣)

فمن هو يزد الفارسي؟. الفارسي، وأنكر: يحيى بن سعيد القطان أن يكونا واحدا، فعن علي بن المديني، قال: ذكرت ليحيى قول عبد الرحمن بن مهدي فإن يزيد الفارسي، هو يزيد بن هرمز، فلم يعرفه.

قال أبو حاتم: سمعت أبي يقول: يزيد بن هرمز هذا، ليس بيزيد الفارسي، هو سواه، وكان يزيد ابن هرمز من أبناء الفرس الذين كانوا بالمدينة وجالسوا أبا هريرة، وليس هو بيزيد الفارسي البصري الذي يروي عن ابن عباس، روى عنه عوف الأعرابي.

الى هذا الحد وقع الخلاف بين يزيد الفارسي، ويزيد بن هرمز. فإن كان يزيد الفارسي هو البصري، فهو مجهول، مختلف فيه. وان كان هو يزيد بن هرمز، فقد ضعفه البخاري، ولم يخرج له في صحيحه، وكتبه في كتابه «الضعفاء الصغير» ترجمة رقم ٤٠٧ ص ١٢٢، وعليه فلا صحة لدعوى الحاكم ان الحديث على شرط الشيخين. فهذه الدعوى لا تقوم عليها الحجة، ولم يخرج ليزيد الفارسي هذا البخاري ولا مسلم في «صحيحيهما»

= وحتى ابن حبان الذي صحح الحديث، كتب في ثقاته (٥: ٥٣١) يزيد بن هرمز المدني هو الذي يروي عنه عوف الأعرابي، ويقول: حدثنا يزيد الفارسي عن ابن عباس. فعدهما واحدا.

فهذا يزيد الفارسي وقد انفرد برواية الحديث، إما مجهول لا يعرفه يحيى بن معين، ويشتبه امره =

فهذا الحديث يدل على اجتهاد الصحابة في ترتيب السور (١) .

قال مكى ابن أبى طالب: ففي قول عثمان هذا: دليل على أن تأليف القرآن عن الله ﷻ ، وعن رسول الله ﷺ، كان، ويدل على أن ترتيب السورة على ما في المصحف إنما كان على اجتهاد من عثمان وأصحابه، ألا ترى إلى قول ابن عباس له: ما حملكم على كذا وكذا؟ يدل على أنهم هم رتبوا السورة، وأن تأليف السور إلى تمام كل سورة كان على

=على عبد الرحمن بن مهدي، واحمد، والبخاري، فيعطي كل واحد منهم رأيا مختلفا فيه، ويثبته البخاري في الضعفاء بالاسمين: ابن هرمز، او الفارسي.

فضلا عن ذلك ففيه تشكيك في معرفة سور القرآن، الثابتة بالتواتر القطعي، والمشافهة الحية، قراءة، وسماعا، وكتابة، وفيه تشكيك في إثبات البسملة في أوائل السور، كأن عثمان كان يثبتها برأيه، وينفيها برأيه– وحاشاه من ذلك– رضي الله عنه، وجزم العلامة أحمد شاكر أن هذا الحديث لا أصل له، لأمور: أولها: جهالة يزيد الفارسي الذي انفرد بروايته، ثانيها: أن فيه تشكيكاً في معرفة سور القرآن، الثابتة بالتواتر القطعي قراءة وسماعاً وكتابة في المصاحف، ثالثها: أن فيه تشكيكاً في إثبات البسملة في أوائل السور، كأن عثمان رضي الله عنه كان يثبتها برأيه، وينفيها برأيه، وحاشاه من ذلك. قال: فلا علينا إذا قلنا: إنه حديث لا أصل له تطبيقاً للقواعد الصحيحة التي لا خلاف فيها بين أئمة الحديث ... إلى آخر ما قاله في "شرح المسند" رقم ٣٩٩، فارجع إليه فإنه نفيس. ، هامش صحيح ابن حبان محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ) جـ١،صـ٢٣١ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: ٧٣٩ هـ)حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط ،ط: مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ مقال البخاري في الكبير (٤: ٢: ٣٦٧) تحت اسم: يزيد بن هرمز، قال عبد الرحمن [بن مهدي] : يزيد الفارسي، هو ابن هرمز، قال: فذكرته ليحيى فلم يعرفه. هامش دلائل النبوة،جـ٧، صـ١٥٤،دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤٠٥ هـ.

(١) قال بدر الدين العيني : قال القشيري: والصحيح أن البسملة لم تكتب فيها لأن جبريل عليه السلام، ما نزل بها فيها: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لأبى محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (المتوفى: ٨٥٥هـ) ٢٥٤/١٨جـ، دار إحياء التراث العربي – بيروت

تعليم النبي ﷺ إياهم ذلك [١] .

٣ – أخرج ابن أشتة [٢] في المصاحف من طريق إسماعيل بن عياش [٣] عن أبي محمد القرشي [٤] قال: أمرهم عثمان أن يتابعوا الطوال فجعلت سورة الأنفال وسورة التوبة في السبع ولم يفصل بينهما بـ " بسم الله الرحمن الرحيم " ولعله يشير بهذا إلى ما رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم عن ابن عباس قال: قلت لعثمان ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني ....."الحديث السابق

قال ابن فارس [٥] : جمع القرآن على ضربين: أحدهما تأليف السور كتقديم السبع الطوال وتعقيبها بالمئين فهذا هو الذي تولته الصحابة وأما الجمع الآخر وهو جمع الآيات في السور فهو توقيفي تولاه النبي ﷺ

---

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه: لأبى محمد مكي بن أبي طالب ،٢٩٠٧/٤،تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الناشر، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م

(٢) الشيخ الثقة المسند أبو العباس أحمد بن عبد الغفار بن أحمد بن علي بن أشته الأصبهاني الكاتب، مات في ذي الحجة سنة إحدى وتسعين وأربعمائة وله اثنتان وثمانون سنة، سير أعلام النبلاء ،١٨٣/١٩

(٣) إسماعيل بن عياش ابن سليم الحافظ الإمام ، محدث الشام ، بقية الأعلام أبو عتبة ، الحمصي العنسي ، مولاهم . ولد سنة ثمان ومائة ، توفى سنة إحدى وثمانين ومائة، سير أعلام النبلاء،٣١٢/٨

(٤) هو عطاء بن أبي رباح بن أسلم أبو محمد القرشي مولاهم المكي، أحد الأعلام. وردت عنه الرواية في حروف القرآن، وروى القراءة عن أبي هريرة، وعرض عليه أبو عمرو. عاش مائة سنة، وقيل: أنه مات سنة ١١٥، أو سنة ١١٤، وله ثمان وثمانون سنة. طبقات ابن الجزري: ٥١٣/١

(٥) هو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن حبيب الرازي اللغوي، وهو من أكابر أئمة اللغة في وقته، محتجًا به في جميع الجهات غير منازع، وكان يناظر في الفقه، توفي سنة ٣٩٥هـ، ترجمته في إنباه الرواة "١/ ٩٤"، ويتيمة الدهر "٣/ ٤٠٠"، وتلخيص ابن مكتوم "١٥"، وكلام ابن فارس هذا في "المسائل الخمس" ذكره الزركشي في البرهان "١/ ٢٣٧"

كما أخبر به جبريل عن أمر ربه (١) .

القول الثاني : مذهب الجمهور ، وهو أن ترتيب السور في القرآن توقيفي لا مجال للاجتهاد فيه ، فكما أن الآيات كانت بترتيب أخذه النبي ﷺ عن جبريل عليه السلام عن رب العزة ﷻ فإن ترتيب السور كذلك، هذا هو مذهب الجمهور لا كما ذكر السيوطي من أن مذهبهم أن ترتيب السور اجتهادي (٢) .

والأدلة على أن ترتيب السور كلها توقيفي كثيرة جداً من السنة نجد فيها ترتيب السور على وفق مصحف عثمان رضي الله عنه منها:

١- ما أخرجه البخاري عن ابْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: " فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَالكَهْفِ، وَمَرْيَمَ: إِنَّهُنَّ مِنَ العِتَاقِ الأُوَلِ، وَهُنَّ مِنْ تِلاَدِي (٣) ، فذكر ابن مسعود السور نسقاً كما استقر ترتيبها

٢- قول النبي ﷺ (اقرؤوا البقرة وآل عمران) (٤) .

واستدل أصحاب هذا الرأي بأن الصحابة أجمعوا على المصحف الذي كتب في عهد عثمان رضي الله عنه ولم يخالف منهم أحد، وإجماعهم لا يتم إلا إذا كان الترتيب الذي أجمعوا عليه عن توقيف؛ لأنه لو كان عن اجتهاد لتمسك أصحاب المصاحف المخالفة بمخالفتهم، لكنهم لم يتمسكوا

---

(١) الاتقان ٢١٦/١

(٢) اتقان البرهان في علوم القرآن ،د/ فضل عباس ، ص ٤٤٩ .

(٣) صحيح البخاري كتاب التفسير ، باب قوله ، (ومنكم من يرد إلى أرذل العمر) (٤٧٠٨)

(٤) روى البخاري عن أبى أُمَامَةَ الْبَاهِلِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ، اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ، وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ، تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا، اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ». قَالَ مُعَاوِيَةُ: بَلَغَنِي أَنَّ الْبَطَلَةَ: السَّحَرَةُ، .صحيح البخاري ، كِتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة (٢٥٢-٨٠٤)

بها بل عدلوا عنها وعن ترتيبهم، وعدلوا عن مصاحفهم وأحرقوها، ورجعوا إلى مصحف عثمان ﷺ وترتيبه جميعاً.

قال السيوطي : ويؤيد هذا الرأي الكرماني في البرهان، فيقول: ترتيب السور هكذا هو عند الله في اللوح المحفوظ على هذا الترتيب، وعليه كان ﷺ يعرض على جبريل كل سنة ما كان يجتمع عنده منه، وعرضه عليه في السنة التي توفي فيها مرتين .

قال أبو بكر بن الأنباري: أنزل الله القرآن كله إلى سماء الدنيا، ثم فرق في بضع وعشرين، فكانت السورة تنزل لأمر يحدث، والآية جوابًا لمستخبر، ويقف جبريل النبي ﷺعلى موضع السورة والآية، فاتساق السور كاتساق الآيات والحروف، كله عن النبيﷺ ، فمن قدم سورة، أو آخرها فقد أفسد نظم القرآن.

وقال الطيبي (١) : أنزل القرآن أولا جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ثم نزل مفرقا على حسب المصالح ثم أثبت في المصاحف على التأليف والنظم المثبت في اللوح المحفوظ

وقال ابن الحصار (٢) : ترتيب السور، ووضع الآيات موضعها إنما كان بالوحي (٣) ..

قال الفخر الرازي : قال القاضي يبعد أن يقال: إنه عليه السلام لم يبين كون هذه السورة تالية لسورة الأنفال، لأن القرآن مرتب من قبل الله تعالى ،ومن قبل رسوله على الوجه الذي نقل، ولو جوزنا في بعض السور

---

(١) الطيبي: بكسر الطاء، الحسن بن محمد بن عبد الله، الإمام المشهور العلامة في المعقول والعربية والمعاني والبيان، كان آية في استخراج الدقائق من القرآن والسنن، مقبلًا على نشر العلم متواضعًا، حسن المعتقد. انظر: "بغية الوعاة" ١/ ٥٢٢، ٥٢٣"

(٢) ابن الحصار وهو: علي بن محمد بن محمد بن إبراهيم الخزرجي الإشبيلي، له مؤلفات منها: أصول الفقه، والناسخ والمنسوخ. توفي سنة ٦١١هـ "التكملة لابن الأبار ٦٨٦".

(٣) الاتقان للسيوطي ، جـ١ صـ٢١٦

أن لا يكون ترتيبها من الله على سبيل الوحي، لجوزنا مثله في سائر السور وفي آيات السور الواحدة،..... بل الصحيح أنه ﷺ أمر بوضع هذه السورة، بعد سورة الأنفال وحياً، وأنه ﷺ حذف بسم الله الرحمن الرحيم من أول هذه السورة وحياً (١) ..

ويشهد لذلك من حيث الدراية والعقل واقع الترتيب وطريقته، وذلك من وجهين لا يشك الناظر فيهما أن الترتيب بين السور توقيفي: أي مأخوذ عن النبي ﷺ:

الأول : مما يدل على أنه توقيفي كون الحواميم، رتبت ولاء، وكذا الطواسين، ولم ترتب المسبحات ولاء، بل فصل بين سورها، وفصل بين طسم الشعراء وطسم القصص بطس النمل مع أنها أقصر منهما، ولو كان الترتيب اجتهاديا لذكرت المسبحات ولاء، وأخرت طس النمل عن طسم القصص وهكذا من يتدبر سائر السور يعلم أن ترتيبها توقيفي.

الثاني: ما راعاه العلماء الأئمة في بحوثهم من التزام بيان أوجه التناسب بين كل سورة وما قبلها، وبيان وجه ترتيبها (٢) .

القول الثالث : إن بعض السور ترتيبه توقيفي، وبعضه باجتهاد من الصحابة؛ وهذا القول لم يذكره ابن جزى ، مع شهرته وكثرة القائلين به ، حيث ورد ما يدل على ترتيب بعض السور في عهد النبوة والبعض في عهد عثمان رضي الله عنه

وقد ذهب إلى هذا الرأي فطاحل من العلماء (٣) .

---

(١) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ٥٤١/١٥، دار إحياء التراث العربي – بيروت: الثالثة – ١٤٢٠ هـ

(٢) الاتقان للسيوطي ٢١٧/١

(٣) انظر حاشية مقدمة التفسير لابن قاسم عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي القحطاني الحنبلي النجدي (المتوفى: ١٣٩٢هـ) ٢٩/١، الثانية، ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م، وانظر فتح البارى،٤٢/٩

قال ابن عطية : وظاهر الآثار أن السبع الطول والحواميم والمفصل كان مرتباً في زمن النبي ﷺ وكان في السور ما لم يرتب، فذلك هو الذي رتب وقت الكتب (١) . وإليه مال أبو جعفر ابن الزبير في البرهان (٢) .

قال أبو بكر بن العربي : في هذا كله دليل على أن تأليف القرآن كان منزلاً من عند الله، وأن تأليفه من تنزيله يبينه النبي ﷺ لأصحابه، ويميزه لكتابه، ويرتبه على أبوابه، إلا هذه السورة فلم يذكر لهم فيها شيئاً؛ ليتبين الخلق أن الله يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، ولا يسأل عن ذلك كله، ولا يعترض عليه، ولا يحاط بعلمه إلا بما أبرز منه إلى الخلق، وأوضحه بالبيان، ودل بذلك على أن القياس أصل في الدين؛ ألا ترى إلى عثمان وأعيان الصحابة كيف لجئوا إلى قياس الشبه عند عدم النص، ورأوا أن قصة " براءة " شبيهة بقصة " الأنفال " فألحقوها بها؟ فإذا كان الله قد بين دخول القياس في تأليف القرآن فما ظنك بسائر الأحكام (٣) .

وقال البيهقي في المدخل: كان القرآن على عهد النبي ﷺمرتباً سوره وآياته على هذا الترتيب إلا الأنفال وبراءة لحديث عثمان السابق (٤) وذهب إلى هذا القول في دلائل النبوة (٥) .

وإليه مال السيوطي في الاتقان بعد ترجيحه لقول البيهقي فقال:

---

(١) المحرر الوجيز،٣/٣

(٢) انظر البرهان في تناسب سور القرآن، ص ١٨٥ .

(٣) أحكام القرآن، أبو بكر بن العربي،٤٤٦/٢،خرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان: الثالثة، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م

(٤) الاتقان للسيوطي ، ٢١٨/١

(٥) قال أهل العلم: إلا أن سورة براءة كانت من آخر ما نزل من القرآن، لم يبين رسول الله ﷺ موضعها من التأليف، حتى خرج من الدنيا، وكانت قصتها شبيهة بالأنفال، فقرنتها الصحابة بالأنفال.، دلائل النبوة،١٥٢/٧

والذي ينشرح له الصدر ما ذهب إليه البيهقي، وهو أن جميع السور ترتيبها توقيفي إلا براءة والأنفال، ولا ينبغي أن يستدل بقراءته ﷺ سوراً ولاء على ترتيبها كذلك، وحينئذ فلا يرد حديث قراءته النساء قبل آل عمران: لأن ترتيب السور في القراءة ليس بواجب، ولعله فعل ذلك لبيان الجواز (١) .

ولعله أمثل الآراء؛ لأنه وردت أحاديث تفيد ترتيب البعض– كما مر بك من الرأي الثاني القائل بالتوقيف– وخلا البعض الآخر مما يفيد التوقيف، بل وردت آثار تصرح بأن الترتيب في البعض كان عن اجتهاد كالحديث الآنف في القول الأول المروي عن ابن عباس.

وقد ناقش العلماء هذه الأدلة مناقشة موضوعية لترجيح بعضها على بعض، فاستقرَّ أكثرهم على ترجيح القول الثالث واعتماده لخلوه من الاعتراض، وجمعه بين الأقوال على نحو تطمئن إليه النفس (٢) .

يقول الدكتور موسى لاشين : وعلى هذا: فالقول الثالث أمثل الأقوال، وهو السليم من الاعتراض والمناقشة، وأمثل ما فيه رأي البيهقي.

ثم قال بعد ذلك : سواء كان ترتيب السور توقيفيًّا أم اجتهاديًّا، فإنه ينبغي احترامه، خصوصًا في كتابة المصاحف؛ لأن أقلَّ الأمرين رعاية صدوره عن الإجماع، والإجماع حجة واجبة القبول (٣) .

ويرى الإمام الزركشي أن الخلاف بينهم خلاف لفظي فقال : والخلاف بين الفريقين لفظي لأن القائل بالثاني يقول إنه رمز إليهم بذلك ليعلمهم بأسباب نزوله ومواقع كلماته ولهذا قال مالك: إنما ألفوا القرآن على ما كانوا يسمعونه من النبي ﷺ مع قوله بأن ترتيب السور باجتهاد

---

(١) الاتقان للسيوطى،٢١٩/١

(٢) دراسات في علوم القرآن ، د/ محمد بكر إسماعيل صـ٥٩

(٣) اللألىء الحسان في علوم القرآن صـ٤٢

منهم فآل الخلاف إلى أنه: هل هو بتوقيف قولي أو بمجرد استناد فعلي بحيث بقي لهم فيه مجال للنظر (١)

قلت : وعلى هذا فمآل القول الأول ، والثالث، يرجع إلى القول الثاني القائل بالتوقيف في ترتيب سور القرآن ، وهو الأوجه ، فإن القرآن على هذا الترتيب آياته وسوره هكذا ، أنزل من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ، ورتبه النبي ﷺ، بإشارة من جبريل على وفق ما هو باللوح المحفوظ ، وحفظته الصحابة على هذا الترتيب

الرأي الراجح: أن ترتيب سور القرآن الكريم كترتيب آياته بالتوقيف عن الرسول ﷺ عن جبريل عليه السلام عن ربه ﷻ مع ما في أدلة هذا الرأي من الاحتمال كما ذكر إلا أنه أقوى الآراء.

قال الإمام الألوسي بعد عرضه لأقوال العلماء: والذي ينشرح له صدر هذا الفقير، هو ما انشرحت له صدور الجمع الغفير، من أن ما بين اللوحين الآن موافق لما في اللوح من القرآن ،وحاشا أن يهمل ﷺ أمر القرآن ،وهو نور نبوته وبرهان شريعته ،فلا بد إما من التصريح بمواضع الآي والسور، وإما من الرمز إليهم بذلك، وإجماع الصحابة في المآل على هذا الترتيب وعدولهم عما كان أولاً من بعضهم على غيره من الأساليب، وهم الذين لا تلين قناتهم لباطل، ولا يصدهم عن اتباع الحق لوم لائم ، ولا قول قائل، أقوى دليل على أنهم وجدوا ما أفادهم علماً، ولم يدع عندهم خيالاً ولا وهماً (٢) .

وعلى كل سواء كان ترتيب سور المصحف توقيفياً أو اجتهادياً فانه يجب علينا اتباع المصحف العثماني في ترتيب سوره ورسم كلماته، لأننا مأمورون باتباع الصحابة آثمون بمخالفتهم قال ﷺ كما في حديث

(١) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ٢٥٧/١

(٢) روح المعانى، ٢٨/١

العرباض بن سارية [١] "..فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ " [٢] .

ولهذا كان إجماعهم حجة، وقد أجمعوا على اعتماد مصحف عثمان ونسخوا مصاحفهم على نمطه كما سبق بيانه – فلا يوجد مسلم على وجه الارض يرى مخالفته ولله الحمد [٣] .

وهذا مصداق قوله تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [٤] .

---

(١) العِرْبَاضُ بنُ سَارِيَةَ السُّلَمِيُّ مِنْ أَعْيَانِ أَهْلِ الصُّفة، سكن حمص، وروى أحاديث. تُوُفِّيَ العِرْبَاضُ سنة خمس وسبعين. سير أعلام النبلاء،٤/٤٣١

(٢) أخرجه أبو داود ، كتاب، السنة، باب: في لزوم السنة، (٤٦٠٧) . والدارمي ، كتاب: المقدمة، باب: اتباع السنة، (٩٦) والترمذي– كتاب: العلم، باب: ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، (٢٦٧٦)

(٣) تاريخ القرآن الكريم صـ٧٣

(٤) سورة الحجر آية ٩

المبحث الخامس
نقط المصحف وشكله

والمراد بالنقط أو الشكل وضع علامات تدل على حركات الحروف ، وقد أطلق عليه القدماء "النقط" لما أنه كان في بدايته في صورة نقطة توضع فوق الحرف أو أسفله ،أو بين يديه أو عن شماله

(نقط) النون والقاف والطاء أصيل يدل على نكتة لطيفة في الشيء، يقال للقطعة من النخل: نقطة. ويقال: إنه تشبيه في القلة بالنقطة (١) .

قال ابن منظور: النُّقطة واحدة النُّقطِ، والنقاط :جمع نقطة، ونقط الحرف ينقُطُهُ نَقْطاً، أعجمه، والاسم النُّقْطَةُ، ونَقَّط المصاحف تنقيطاً فهو نَقَّاط (٢) عراب، أو نقط الحركات، وهو للتفريق بين الحركات المختلفة في اللفظ ،كنقطة الفتحة: بنقطة من فوق الحرف، ونقطة الكسرة: بنقطة من تحت الحرف، ونقطة الضمة: بنقطة أمام الحرف أو بين يديه (٣) .

إذاً نقط الإعراب، هو العلامات الدالة على ما يعرض للحرف من حركة أو شد أو مد أو سكون أو تنوين، وهو بذلك يكون مرادفا لمعنى الضبط والشكل.

(شكل) الشين والكاف واللام معظم بابه المماثلة شكلت الكتاب أشكله شكلا، إذا قيدته بعلامات الإعراب (٤) والشكل والنقط شيء واحد، غير أن فهم القارئ يسرع إلى الشكل أقرب مما يسرع إلى النقط لاختلاف صورة الشكل، واتفاق صورة النقط ، إذ كان النقط كله مدوراً ، والشكل فيه الضم والكسر والفتح والهمز والتشديد بعلامات مختلفة .

---

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس ،٤٧١/٥،تحقق: عبد السلام محمد هارون: دار الفكر، سنة ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.مادة نقط

(٢) لسان العرب جـ٥١،صـ٤٥٢٥، مادة نقط

(٣) النقط ، أبو عمرو الداني، ١٣٦،تحقيق: محمد الصادق قمحاوي: مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة

(٤) معجم مقاييس اللغة،٢٠٥/٣، مادة شكل

قال ابن جزى: وأما نقط القرآن وشكله فأوّل من فعل ذلك الحجاج بن يوسف (١) بأمر عبد الملك بن مروان (٢) وزاد الحجاج تحزيبه وقيل: أوّل من نقطه يحيى بن يعمر (٣) وقيل أبو الأسود الدؤلي (٤) .

وأما وضع الأعشار فيه فقيل: إنّ الحجاج فعل ذلك وقيل بل أمر به المأمون العباسي (٥) .

---

(١) هو الحجاج بن يوسف بن أبي عقيل بن مسعود بن عامر بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو ابن سعد بن عوف بن ثقيف، وهو قسي بن منبه بن بكر بن هوازن، أبو محمد الثقفي، سمع ابن عباس وروى عن أنس وسمرة بن جندب وعبد الملك بن مروان وأبي بردة، مات سنة٩٥هـ، البداية والنهاية،١١٧/٩

(٢) عبد الملك بن مروان ابن الحكم بن أبي العاص بن أمية ، الخليفة الفقيه ، أبو الوليد الأموي . ولد سنة ست وعشرين .توفى سنة٨٦هـ، البداية والنهاية ،٨٤/٩

(٣) عن هارون بن موسى أول من نقط المصحف يحيى بن يعمر، وقرأ أبو عمر على عبد الله بن ابي إسحاق الحضرمي وعلى نصر بن عاصم الليثي ونصر أول من نقط المصاحف وعشرها وخمسها، قال أبو عمرو يحتمل أن يكون يحيى ونصر أول من نقطاها للناس بالبصرة وأخذا ذلك عن أبي الأسود إذ كان السابق إلى ذلك والمبتدئ به وهو الذي جعل الحركات والتنوين لا غير على ما تقدم في الخبر عنه ثم جعل الخليل بن احمد الهمز والتشديد والروم والإشمام وقفا الناس في ذلك أثرهما واتبعوا فيه سنتهما وانتشر ذلك في سائر البلدان وظهر العمل به في كل عصر وأوان والحمد لله على كل حال. المحكم في نقط المصحف،صـ٦، ويحيى ابن يعمر هو: يحيى ابن يعمر العدواني ،البصرى ، أبو سليمان ، تابعي جليل ،سمع عائشة ، وأبا هريرة ،مات سنة ١٢٠هـ ،وقيل ١٣٠هـ،معرفة القراء الكبار ٦٧/١

(٤) وذهب أبو عمرو الداني إلى أن نصر بن عاصم هو أول من نقط المصحف فقال، ويقال أول من نقط المصاحف نصر بن عاصم الليثي قال والنقط لأهل البصرة أخذه الناس كلهم عنهم حتى أهل المدينة وكانوا ينقطون على غير هذا النقط فتركوه ونقطوا نقط أهل البصرة، قال أبو عمرو هذا الذي قاله أبو حاتم من أهل المدينة أخذوا النقط عن أهل البصرة صحيح .المحكم في نقط المصحف، صـ٨

(٥) هو: عبد الله المأمون بن هارون الرشيد، العباسي القرشي الهاشمي، أبو جعفر، أمير المؤمنين، وأمه أم ولد يقال لها: مراجل الباذغيسية، وكان مولده في ربيع الأول سنة سبعين ومائة ليلة توفي عمه الهادي، وولي أبوه هارون الرشيد، كانت وفاة المأمون بطرسوس في يوم الخميس وقت الظهر، وقيل: بعد العصر، لثلاث عشرة ليلة بقيت من رجب من سنة ثماني عشرة ومائتين، وله من العمر نحو من ثمان وأربعين سنة، وكانت مدة خلافته عشرين سنة وأشهرا، البداية والنهاية،٢٩٨/١٠

لم يكن النقط والشكل معروفاً قبل الإسلام ، فكانوا يقرؤون على الوجه الصحيح حسب الفطرة والغريزة ، وبقيت الكتابة العربية تُسْتَعملُ على ذلك النحو حتى النصف الثاني من القرن الأول الهجري فلما انتشر الإسلام واختلط العرب بالعجم، طرأ عليهم الخطأ والتصحيف ،فاقتضى الأمر وضع علامات تساعد على النطق السليم لكلمات القرآن دون المساس بالرسم العثماني. ، فاخترعوا النقط والشكل .

وقد ذكر ابن جزى ، أن أول من نقط المصحف هو الحجاج بن يوسف بأمر من الخليفة عبدالملك ابن مروان (١) .

الصحابة أول من نقطوا المصاحف :

ذكر أبو عمرو الداني أن أول من فعل ذلك هم الصحابة الكرام ، قال: حدثنا الاوزاعي (٢) قال سمعت يحيى بن ابي كثير (٣) يقول كان القرآن مجرداً في المصاحف فأول ما أحدثوا فيه النقط على الياء والتاء وقالوا لا بأس به هو نور له ثم أحدثوا فيها نقطاً عند منتهى الآي ثم أحدثوا الفواتح والخواتم، ثم قال :حدثنا الاوزاعي قال سمعت قتادة يقول

---

(١) ذهب إلى هذا القرطبي في تفسيره، حيث قال : وأما شكل المصحف ونقطه فروي أن عبد الملك بن مروان أمر به وعمله، فتجرد لذلك الحجاج بواسط وجد فيه وزاد تحزينه، وأمر وهو والي العراق الحسن ويحيى بن يعمر بذلك، وألف إثر ذلك بواسط كتابا في القراءات جمع فيه ما روي من اختلاف الناس فيما وافق الخط، ومشى الناس على ذلك زمانا طويلا، إلى أن ألف ابن مجاهد كتابه في القراءات. وأسند الزبيدي في كتاب الطبقات إلى المبرد أن أول من نقط المصحف أبو الأسود الدؤلي، وذكر أيضا أن ابن سيرين كان له مصحف نقطة له يحيى بن يعمر، تفسير القرطبي ٦٣/١

(٢) عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد ، شيخ الإسلام ، وعالم أهل الشام ، أبو عمرو الأوزاعي ،كان مولده في حياة الصحابة ،سنة ثمان وثمانين، مات سنة إحدى وخمسين ومائة ،سير أعلام النبلاء،١٢١/٧

(٣) يحيى بن أبي كثير الإمام الحافظ ، أحد الأعلام أبو نصر الطائي ، مات سنة تسع وعشرين ومائة ،سير أعلام النبلاء،٢٨/٦

بدؤوا فنقطوا ثم خمسوا ثم عشروا ، قال أبو عمرو هذا يدل على أن الصحابة وأكابر التابعين رضوان الله عليهم هم المبتدئون بالنقط ورسم الخموس والعشور لأن حكاية قتادة لا تكون إلا عنهم، إذ هو من التابعين ، وقوله بدؤوا الى آخره، دليل على أن ذلك كان عن اتفاق من جماعتهم ، وما اتفقوا عليه أو أكثرهم فلا شكول في صحته، ولا حرج في استعماله وإنما أخلى الصدر منهم المصاحف من ذلك ومن الشكل من حيث أرادوا الدلالة على بقاء السعة في اللغات والفسحة في القراءات التي أذن الله تعالى لعباده في الأخذ بها والقراءة بما شاءت، منها فكان الأمر على ذلك إلى أن حدث في الناس ما أوجب نقطها وشكلها (١) .

تنقيط أبى الأسود الدؤلي (٢) : تجمع المصادر العربية القديمة (٣) على أن أبا الأسود الدؤلي هو أول من اخترع طريقة لعلامات الحركات التي تعتمد على النقاط الحمر، وكان نقط الإعراب الذي وضعه أبو الأسود الدُّؤليّ هو أول ما حدث في المصاحف، وهو النقط المدوّر المساوي للضبط والشكل.

---

(١) المحكم في نقط المصاحف، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني، ٦٢/١،تحقيق: د. عزة حسنط: دار الفكر – دمشق، الثانية، ١٤٠٧،تاريخ توثيق نص القرآن الكريم،صـ١١٤

(٢) أبو الأسود ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل بن يعمر بن حلس بن نفاثة ابن عدي بن الديل بن بكر الديلي، ويقال: الدؤلي، وفي اسمه ونسبه ونسبته اختلاف كثير؛ كان من سادات التابعين وأعيانهم، صحب علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، وشهد معه وقعة صفين، وهو بصري، وكان من أكمل الرجال رأياً وأسدهم عقلاً، وهو أول من وضع النحو، وتوفي أبو الأسود بالبصرة سنة تسع وستين في طاعون الجارف، وعمره خمس وثمانون سنة، وفيات الأعيان ٥٣٥/٢

(٣) الفهرست، لأبى الفرج ابن النديم (المتوفى: ٤٣٨هـ)١/ ٦٥،تحقيق: إبراهيم رمضان ،ط: دار المعرفة بيروت، لبنان، الثانية ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧م ، المحكم في نقط المصاحف، ص ٤،٣

وكان هذا النقط باللون الأحمر، لما كان زمن معاوية ﷺ عنه أرسل إلى زياد يطلب عبيد الله ابنه فلما قدم عليه كلمه فوجده يلحن فرده إلى زياد وكتب إليه كتاباً يلومه فيه ويقول: أمثل عبيد الله يضيع فبعث زياد إلى أبي الأسود فقال: يا أبا الأسود إن هذه الحمراء قد كثرت وأفسدت من ألسن العرب، فلو وضعت شيئاً يصلح به الناس كلامهم ،ويعربون به كتاب الله تعالى، فأبى ذلك أبو الأسود وكره إجابة زياد إلى ما سأل ،فوجه زياد رجلاً فقال له اقعد في طريق أبي الأسود فإذا مر بك فاقرأ شيئاً من القرآن وتعمد اللحن فيه، ففعل ذلك فلما مر به أبو الأسود رفع الرجل صوته فقال ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ (١) بجر" رسوله" فاستعظم ذلك أبو الأسود وقال عز وجه الله أن يبرأ من رسوله، ثم رجع من فوره إلى زياد فقال: يا هذا قد أجبتك إلى ما سألت، ورأيت أن أبدأ بإعراب القرآن إليّ ثلاثين رجلاً، فأحضرهم زياد فاختار منهم أبو الأسود ،عشرة ثم لم يزل يختار منهم حتى اختار رجلاً من عبد القيس ،فقال :خذ المصحف وصبغاً يخالف لون المداد، فإذا فتحت شفتي فانقط واحدة فوق الحرف، وإذا ضممتهما فاجعل النقطة إلى جانب الحرف، وإذا كسرتهما فاجعل النقطة في أسفله، فإن اتبعت شيئاً من هذه الحركات غنة فانقط نقطتين فابتدأ بالمصحف حتى أتى على آخره (٢) .

وأخذ يقرأ القرآن ، والكاتب يضع النقط ، وكلما أتم الكاتب صحيفة أعاد أبو الأسود النظر فيها ،ثم استمر على ذلك حتى أعرب المصحف كله ، فأخذ الناس هذه الطريقة، وشكلوا بها الحروف ،فكانوا يضعون نقطة فوق الحرف للدلالة على فتحته، ونقطة تحت الحرف للدلالة على كسرته، ونقطة عن شماله للدلالة على ضمته ، ولا يضعون شيئاً على الحرف

(١) سورة التوبة ،آية ٣

(٢) المحكم في نقط المصاحف،صـ٣،٤

الساكن ، وإذا كان الحرف منوناً يضعون نقطتين فوقه أو تحته أو عن شماله ، وكانوا يسمون هذه النقط شكلاً ، لأنها تدل على شكل الحرف وصورته، ولم تشتهر طريقة أبى الأسود إلا في المصاحف حرصاً على إعراب القرآن، أما الكتب العادية فكان شكلها نادراً، لأن المكتوب إليهم كانوا يعدون ذلك تجهيلاً لهم (١) .

وعلى هذا فأبو الأسود هو أول من أدخل النقط في المصاحف، لا الحجاج كما ذكر ابن جزى .

والجدير بالذكر أن أبا الأسود لم يضع شكلاً لكل حرف وإنما شكل الحرف الأخير فقط من كل كلمة، اذن فعمل أبى الإسود هو وضع علامات تشير إلى الفتحة والكسرة والضمة والتنوين ، وكانت هذه الإشارات بمداد يخالف المداد الذى كتب به الأصل ولهذا استمر الخطأ في القراءة واشتبهت الحروف لعدم نقطها.

نقط الإعجام : استمر الأمر على ما فعله أبو الأسود، حتى كانت خلافة عبد الملك بن مروان ، وتفشى اللحن وانتشر على ألسنة كثير من الناس، فأمر عبد الملك بن مروان ، الحجاج بن يوسف الثقفي، واليه على العراق أن يعمل جاهداً على إبعاد أسباب اللحن والتحريف عن القرآن.

فندب الحجاج لهذه المهمة عالمين من أبرز علماء اللغة بالعراق وهما: يحيى بن يعمر، ونصر بن عاصم (٢) ، لما لهما من يد طولي في فهم أسرار العربية وإتقان فنون القراءات، فقاما بنقط الحروف المتشابهة في

---

(١) المحكم في نقط المصاحف، صـ٦،بتصرف

(٢) نصر بن عاصم الليثي هو أحد قراء البصرة، أخذ عن أبي الأسود الدؤلي ويحيى بن يعمر، وأخذ عنه أبو عمرو بن العلاء، توفي سنة ٨٩هـ "انظر بغية الوعاة ٤٠٣. طبقات القراء ٣٣٦". وذكر الجاحظ في كتاب الأمصار أن نصر بن عاصم أول من نقط المصاحف وكان يقال له نصر الحروف، البرهان للزركشى،٢٥١/١

الرسم، للتمييز بينها، وكتبت هذه النقط بمداد لونه لون المداد الذي كتب به المصحف، حتى يكون مخالفا لنقط أبي الأسود الدؤلي، وكان لا يزال على حاله، إذن فالعمل الثاني الذى تمّ في زمن الحجاج ،هو تنقيط الحروف المتشابهة أزواجاً و أفراداً من فوق ومن تحت، إلى أن غيّره الخليل بن أحمد –فيما بعد– كما تقدم في نقط الإعراب (١) .

فوضعا ذلك النقط لتتميّز به بعض الحروف عن بعضٍ، كالباء والتاء والثاء والنون والياء، والجيم والخاء والحاء، والزاي والراء، والسين والشين، والعين والغين، وغيرها من الحروف التي تتفق في الشكل، وتختلف في النطق. وفي ذلك ضمانٌ من اللحن والتّحريف.

وبهذا يتبين أن نقط الإعراب الذي بدأه أبو الأسود الدؤلي كان متقدماً على نقط الإعجام، وأن التحسينات التي أدخلها الخليل بن أحمد على نقط الإعراب كانت متأخرة عنهما (٢) .

وظل ما فعله أبو الأسود هكذا يتلقاه العلماء، حتى جاء عصر الدولة العباسية، وظهر العالم الجليل: الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري، فأخذ نقط أبي الأسود وأدخل عليه بعض التحسينات، فجعل علامة الفتح ألفا صغيرة مبطوحة، لأن الفتحة إذا أشبعت تولد منها ألف، وجعل علامة الضمة واواً صغيرة، وعلامة الكسرة ياء صغيرة، وجعل علامة للتشديد هي رأس شين، وعلامة للسكون هي رأس خاء، وأخرى للهمز، وعلامة للاختلاس والإشمام وهكذا (٣) .

---

(١) المحكم صـ٧

(٢) رسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاحات الحديثة: شعبان محمد إسماعيل، صـ٨٧، دار السلام للطباعة والنشر، الثانية.

(٣) الكلام مبسوطاً في هذا الموضوع في ، حياة اللغة العربية ، الأستاذ حفني ناصف، ص ٨٣ – ٩٥، مكتبة الثقافة الدينية ، الأولى ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م، تاريخ القرآن ، عبد الصبور شاهين، ص ١١١، دراسات في علوم القرآن، محمد بكر إسماعيل، ص ١٤٨، اللألىء الحسان، موسى شاهين لا شين ، ص ٦٨ .

فالخليل أول من وضع الهمزة والتشديد والروم والإشمام (١) ، ثم إن هذه العلامات دخل عليها شيء من الاختزال والتحسين حتى آلت إلى ما هي عليه الآن وضع الأعشار :

والمراد وضع علامة بعد كل عشر آيات ، وكان السلف من الصحابة والتابعين يعتمدون التعشير في التعليم .

قال أبو عمرو الداني : قال الأوزاعي سمعت قتادة يقول: بدؤوا فنقطوا ثم خمسوا ثم عشروا (٢)

قال أبو عمرو وهذا يدل على الترخص في ذلك والسعة فيه (٣)

قال ابن جزى : وأما وضع الأعشار فيه فقيل : إنّ الحجاج فعل

---

(١) الروم :حقيقة الروم: أن تسمع كل قريب منك مصغ إلى قراءتك حركة الحرف المحرك في الوصل بصوت خفي حال كونك واقفا على هذا الحرف،

الإشمام: حقيقة الإشمام أن تطبق شفتيك عقب تسكين الحرف، بأن تجعل شفتيك على صورتهما إذا انطقت بالحرف المضموم، ولا يدرك ذلك إلا بالعين فلا يدركه الأعمى. الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع ،عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي،صـ١٢٨، مكتبة السوادي للتوزيع: الرابعة، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م

(٢) عنْ عُثْمَانَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَوْسٍ، عَنْ جَدِّهِ أَوْسٍ أَنَّهُ كَانَ فِي الْوَفْدِ الَّذِينَ وَفَدُوا إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَنِي مَالِكٍ، وَأَنْزَلَهُمْ فِي قُبَّةٍ بَيْنَ الْمَسْجِدِ، وَبَيْنَ أَهْلِهِ فَكَانَ يَخْتَلِفُ إِلَيْهِمْ، وَيُحَدِّثُهُمْ بَعْدَ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ قَائِمًا حَتَّى يُرَاوِحَ بَيْنَ قَدَمَيْهِ، وَأَكْثَرُ مَا يُحَدِّثُهُمْ عَنْ قُرَيْشٍ، ثُمَّ قَالَ: " وَلَا سَوَاءٌ كُنَّا بِمَكَّةَ مُسْتَضْعَفِينَ مُسْتَذَلِّينَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ كَانَتْ سِجَالُ الْحَرْبِ لَنَا وَعَلَيْنَا " قَالَ: فَحُبِسَ عَنَّا لَيْلَةً، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، لبثتَ عَنَّا اللَّيْلَةَ عَمَّا كُنْتَ تَأْتِينَا، قَالَ: " نَعَمْ طَرَأَ عَلَيَّ حِزْبٌ مِنَ الْقُرْآنِ، وَأَحْبَبْتُ أَنْ لَا أَخْرُجَ حَتَّى أَقْضِيَهُ " فَلَمَّا أَصْبَحْنَا، قُلْنَا لِأَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِّثْنَا أَنَّهُ طَرَأَ عَلَيْهِ حِزْبٌ مِنَ الْقُرْآنِ، قُلْنَا لَهُمْ: كَيْفَ تُحَزِّبُونَ الْقُرْآنَ؟ قَالُوا: نُحَزِّبُهُ ثَلَاثَ سُوَرٍ وَخَمْسَ سُوَرٍ، وَسَبْعَ سُوَرٍ، وَتِسْعَ سُوَرٍ وَإِحْدَى عَشْرَ سُورَةً، وَحِزْبُ الْمُفَصَّلِ فَمَا بَيْنَ قَافٍ وَأَسْفَلَ "شعب الإيمان، باب تعليم القرآن، فصل في مقدار ما تستحب فيه القراءه (١٩٨٨)

(٣) المحكم في نقط المصاحف، صـ١٥

ذلك [١] وقيل بل أمر به المأمون العباسي .

وإلى هذا ذهب ابن عطية [٢]، والقرطبي [٣]، والزركشي في البرهان [٤] .

وقد كانت المصاحف العثمانية مجردة من التجزئة التي نذكرها كما كانت مجردة من النقط والشكل. ولما امتد الزمان بالناس جعلوا يفتنون في المصاحف وتجزئتها عدة تجزئات مختلفة الاعتبارات، فمنهم من قسم القرآن ثلاثين قسماً وأطلقوا على كل قسم منها اسم الجزء بحيث لا يخطر بالبال عند الإطلاق غيره حتى إذا قال قائل: قرأت جزءاً من القرآن ، تبادر إلى الذهن أنه قرأ جزءاً من الثلاثين جزءاً التي قسموا المصحف

---

(١) قال القرطبي : أن الحجاج بن يوسف جمع القراء والحفاظ والكتاب، فقال: أخبروني عن القرآن كله كم من حرف هو؟. قال: وكنت فيهم، فحسبنا فأجمعنا على أن القرآن ثلاثمائة ألف حرف وأربعون ألف حرف وسبعمائة حرف وأربعون حرفا وقال: فأخبروني إلى أي حرف ينتهي نصف القرآن؟ فإذا هو الكهف" وليتلطف" في الفاء. قال: فأخبروني بأثلاثه، فإذا الثلث الأول رأس مائة من براءة، والثلث الثاني رأس مائة أو إحدى ومائة من طسم الشعراء، والثلث الثالث ما بقي من القرآن. قال فأخبروني بأسباعه على الحرف، فإذا أول سبع في النساء" فمنهم من آمن به ومنهم من صد" في الدال، والسبع الثاني في الأعراف" حبطت" في التاء، والسبع الثالث في الرعد" أكلها دائم" في الألف من آخر أكلها، والسبع الرابع في الحج" ولكل أمة جعلنا منسكا" في الألف، والسبع الخامس في الأحزاب" وما كان لمؤمن ولا مؤمنة" في الهاء، والسبع السادس في الفتح" الظانين بالله ظن السوء" في الواو، والسبع السابع ما بقي من القرآن. قال سلام أبو محمد: علمناه في أربعة أشبر، وكان الحجاج يقرأ في كل ليلة ربعا، فأول ربعه خاتمة الأنعام. والربع الثاني في الكهف" وليتلطف"، والربع الثالث خاتمة الزمر، والربع الرابع ما بقي من القرآن. وفي هذه الجملة خلاف مذكور في كتاب البيان لأبي عمرو الداني، تفسير القرطبي ٦٤/١،البيان في عدّ آي القرآن، لأبى عمرو الداني، صـ٢٥،تحقيق: غانم قدوري الحمد، ر: مركز المخطوطات والتراث – الكويت: الأولى، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م

(٢) المحرر الوجيز،٥٠/١

(٣) الجامع لأحكام القرآن،٦٣/١

(٤) البرهان،٢٥١/١

إليها .

وجرى على ذلك أصحاب الربعات إذ طبعوا كل جزء نسخة مستقلة ومجموع النسخ الجامعة للقرآن كله يسمونه ربعة ويوجد من هذا القبيل أجزاء مستقلة بالطبع بأيدي صغار التلاميذ في المدارس وغيرهم. ومن الناس من قسموا الجزء إلى حزبين ومن قسموا الحزب إلى أربعة أجزاء سموا كل واحد منها ربعاً، ومن الناس من وضعوا كلمة خمس عند نهاية كل خمس آيات من السورة وكلمة عشر عند نهاية كل عشر آيات منها فإذا انقضت خمس أخرى بعد العشر أعادوا كلمة خمس فإذا صارت هذه الخمس عشرا أعادوا كلمة عشر وهكذا دواليك إلى آخر السورة، وبعضهم يكتب في موضع الأخماس رأس الخاء بدلا من كلمة خمس ويكتب في موضع الأعشار رأس العين بدلا من كلمة عشر. وبعض الناس يرمز إلى رؤوس الآي برقم عددها من السورة أو من غير رقم. وبعضهم يكتب فواتح للسور كعنوان ينوه فيه باسم السورة وما فيها من الآيات المكية والمدنية إلى غير ذلك (١) .

(١) مناهل العرفان،١/٤١٠، وانظر علوم القرآن وإعجازه وتاريخ توثيقه ، ص ١٥٥، مباحث في علوم القرآن، صبحى صالح، ص ٩٦، مباحث في علوم القرآن: مناع بن خليل القطان (المتوفى: ١٤٢٠هـ) جـ١،صـ١٥٢: مكتبة المعارف ،الثالثة ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م، أبحاث في علوم القرآن ، غانم قدوري الحمد صـ١٢٩

المبحث السادس
أسماء القرآن الكريم

يُعدُّ البحث في أسماء القرآن الكريم من الموضوعات التي اهتم بها العلماء في مباحث علوم القرآن قديماً وحديثاً، وهذا يدل على شرف هذا العلم وأهميته في علوم القرآن، واهتمام العلماء لم ينحصر في جمع أسماء القرآن الكريم وتعدادها فحسب، بل تعداها إلى شرحها واستكشاف المعاني الموجودة في أسماء القرآن الكريم، وسمى الله تعالى كتابه بأسماء ووصفه بصفات.

وقد تراوحت مواقف العلماء في عدّ أسماء القرآن الكريم وحصرها بين مُقلٍّ، ومُكثرٍ متوسع ، يستنبط عشرات الأسماء من القرآن والسنة النبوية ، وهذا التراوح في عدّ أسماء القرآن الكريم مرده –في الحقيقة–إلى أن الفريق المقلُّ يعدُّ الأسماء الكثيرة الأخرى صفات لا أسماء

قال ابن جزى : وأما أسماؤه فهي أربعة: القرآن، والفرقان، والكتاب، والذكر. وسائر ما يسمى صفات لا أسماء: كوصفه بالعظيم، والكريم، والمتين، والعزيز، والمجيد، وغير ذلك.

فأما القرآن: فأصله مصدر قرأ، ثم أطلق على المقروء، وأما الفرقان: فمصدر أيضا معناه التفرقة بين الحق والباطل ، وأما الكتاب : فمصدر ثم أطلق على المكتوب، وأما الذكر ، فسمي القرآن به لما فيه من ذكر الله أو من التذكير والمواعظ، ويجوز في السورة من القرآن الهمز ، وترك الهمز لغة قريش ، وأما الآية فأصلها العلامة ثم سميت الجملة من القرآن بها لأنها علامة على صدق النبي ﷺ (١) .

ذكر ابن جزى أربعة أسماء للقرآن الكريم ، وهذا ما ذهب إليه الإمام

---

(١) التسهيل ١٣/١

الطبري فقال: إنّ الله تعالى ذكرهُ سمَّى تنزيله الذي أنزله على عبده محمد ﷺ أسماء أربعة: منهن: "القرآن" ومنهنّ: "الفرقان"، ومنهن: "الكتاب" ومنهنّ: "الذكر، ولكلّ اسم من أسمائه الأربعة في كلام العرب، معنى ووجهٌ غيرُ معنى الآخر ووجهه (١) . ، وبه قال الماوردي (٢)

أولاً: القرآن :

وهو عند ابن جزى مصدر "قرأ"، ثم أطلق على المقروء، وعند تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ (٣) قال: ويحتمل قرآنه هنا وجهين، أحدهما: أن يكون بمعنى القراءة فإن القرآن قد يكون مصدرا من قرأت، والآخر: أن يكون معناه تأليفه في صدره فهو مصدر من قولك: قرأت الشيء أي جمعته فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ

أي إذا قرأه جبريل، فاجعل قراءة جبريل قراءة الله لأنها من عنده، ومعنى اتبع قرآنه اسمع قراءته واتبعها بذهنك لتحفظها، وقيل: اتبع القرآن في الأوامر والنواهي ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ﴾ أي علينا أن نبينه لك ونجعلك تحفظه، وقيل: علينا أن نبين معانيه وأحكامه (٤)

ومعنى القرآن معنى الجمع وسمي قرآناً لأنه يجمع السور فيضمها، وقوله تعالى : إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (٥) ، أي : جمعه وقراءته، وهو مصدر على وزن فُعلان ،وهو من الفعل قرأه يقرؤه ، ويقرؤه الأخيرة عن الزجاج قرءا وقراءة وقرآناً، الأولى عن اللحياني، فهو مقروء، وقرأت الشيء قرآناً: جمعته وضممت بعضه إلى بعض، ومنه قولهم: ما قرأت هذه الناقة سلى قط ، وما قرأت جنيناً قط، أي : لم يضم رحمها على ولد، والأصل

---

(١) تفسير الطبري ٩٤/١

(٢) النكت والعيون ٢٥/١

(٣) القيامة آية ١٧

(٤) التسهيل ٤٣٤/٢

(٥) القيامة آية ١٧

في هذه اللفظة الجمع وكل شيء جمعته فقد قرأته، وسمي القرآن؛ لأنه جمع القصص، والأمر والنهي، والوعد، والوعيد، والآيات والسور بعضها إلى بعض، وهو مصدر كالغفران، والكفران (١)

ولفظ "القرآن "مهموز إذا كان من الفعل "قرأ" وإذا لم يكن مهموزاً ، فيحتمل أن يكون تسهيلاً للفظ الهمزة الدّال على معنى الجمع والضم، لاقتران السُّور والآيات والحروف.

ولفظ "قرآن" اختلف فيه العلماء من جهة الاشتقاق أو عدمه، ومن جهة كونه مهموزاً أو غير مهمو، ومن جهة كونه مصدراً أو وصفاً على أقوال:

الأول: القرآن اسم علم غير مشتق خاص بكلام الله فهو غير مهموز وبه قرأ ابن كثير (٢) ، وإليه ذهب الشافعي (٣) ، والفراء (٤) ، والأشعري (٥) .

---

(١) لسان العرب ١٢٦/٥ مادة قرأ

(٢) عبد الله بن كثير ابن عمرو بن عبد الله بن زاذان بن فيروزان ، بن هرمز الإمام العلم مقرئ مكة ، وأحد القراء السبعة، مات سنة اثنتين وعشرين ومائة، سير أعلام النبلاء٣١٨/٥

(٣) الشافعي: أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب ابن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف، القرشي المطلبي الشافعي، يجتمع مع ﷺ في عبد مناف، كثير المناقب جم المفاخر منقطع القرين، ولد سنة خمسين ومائة، توفي يوم الجمعة آخر يوم من رجب سنة أربع ومائتين، وفيات الاعيان ،٦٥/٤

(٤) الفراء: العلامة ، صاحب التصانيف أبو زكريا ، يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسدي مولاهم الكوفي النحوي ، صاحب الكسائي ، مات الفراء بطريق الحج سنة سبع ومائتين وله ثلاث وستون سنة، سير أعلام النبلاء، ١١٩/١٠

(٥) الأشعري هو: أبو الحسن على ابن إسماعيل بن إسحاق الأشعري من نسل الصحابي ، أبى موسى الأشعري، ولد أَبُو الحسن الأشعري فِي سنة ستين ومائتين، ومات سنة نيف وثلاثين وثلاث مائة، تاريخ بغداد، ٢٦٠/١٣، الخطيب البغدادي تحقيق، د/ بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢ م، طبقات الفقهاء الشافعية، ٦٠٥/٢جـ٢، ابن الصلاح ، تحقيق: محيي الدين علي نجيب، دار البشائر الإسلامية – بيروت، الأولى، ١٩٩٢م

والقائلون بأنه غير مهموز اختلفوا في أصل اشتقاقه :

يقول الشافعي : إن لفظ القرآن المعرف ليس مشتقاً ولا مهموزًا، بل ارتجل ووضع علماً على الكلام المنزل على النبي ﷺ، فالقرآن عند الشافعي: "لم يؤخذ من قرأت، ولو أخذت من قرأت لكان كل ما قرئ قرانًا، ولكنه اسم للقرآن، مثل التوراة والإنجيل" (١) .

ويقول الفراء : إنه مشتق من القرائن، جمع قرينة، لأن آياته يشبه بعضها بعضاً فكأن بعضها قرينة على بعض، وواضح أن النون في "قرائن" أصلية (٢) .

يقول الأشعري وأقوام يتابعونه على رأيه: إنه مشتق من "قرن الشيء بالشيء" إذا ضمه إليه، لأن السور والآيات تقرن فيه ويضم بعضه إلى بعض (٣) .

وعلى هذين القولين : فنونه أصلية، بخلافه على القولين الأولين، فنونه زائدة ويكون وزنه على هذين فعال .

والقول بعدم الهمز في هذ الآراء الثلاثة كاف للحكم ببعدها عن قواعد الاشتقاق وموارد اللغة .

---

(١) قال الشَّافِعِي رحمه الله: وقرأت على إسماعيل بن قسطنطين، وكان يقول:
(القُرَآنُ) : اسم وليس مهموز، ولم يُؤخذ من قرأت، ولو أخذ من قرأت: كان كل ما قُرئ قرآناً، ولكنه اسم: القرَآنُ، مثل التوراة، والإنجيل وكان يَهمِزُ (قَرَأْتَ) ولا يهمِزُ (الْقُرْآنَ) ، كان يقول: (وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ) الآية، تفسير الإمام الشافعي، ١٠٣٩/٢، جمع وتحقيق ودراسة: د. أحمد بن مصطفى الفرَّان (رسالة دكتوراه)ط: دار التدمرية – المملكة العربية السعودية، الأولى: ١٤٢٧ – ٢٠٠٦ م، جمال القراء وكمال الإقراء، علم الدين السخاوي، ٧٦/١، تحقيق: د. مروان العطيَّة ، د. محسن خرابة،: دار المأمون للتراث – دمشق – بيروت، الأولى ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م، الاتقان، ١٨١/١

(٢) الاتقان ، ١٨٢/١

(٣) جمال القراء، ٧٦/١، النكت والعيون،الماوردي، ٢٤/١

قال السخاوى [١] : وكان ابن كثير، لا يهمز القرآن، ويقول: القرآن إنما هو اسم مثل التوراة، والإنجيل، وجوز أن يكون من "قرنت الشيء بالشيء".

قال أبو علي: وهذا سهو ممن ظنه، لأن لام الفعل من قرأت هَمْزة، ومن قرنت نون، والنون في قرآن زائدة [٢] .

وهذه الأقوال ضعيفة، لمخالفتها ما أطبق عليه القراء –ماعدا ابن كثير –من إثبات الهمزة، وادعاء زيادتها لأصحاب الأقوال الثلاثة بغير برهان، لأن الأصل عدم الزيادة ،وهذا ما جعل الزجاج ينسب هذا القول للسهو .

ومما ينبغي الالتفات إليه أن أصحاب الأقوال السابقة جميعها لا ينكرون مجيء لفظة "قرآن" مصدراً في اللغة ولكنهم عندما يختلفون يتكلمون عن كلمة أخرى ، لأنهم صرحوا بنسبة "القرآن "للاستعمال في المصدرية ، صرح بذلك الفراء ، والقرطبي ، ويصعب أن يغيب مثل هذا الثابت عن أمثال الشافعي والفراء [٣] .

الثاني : وممن رأى أن لفظ "القرآن" مهموز: الزجاج [٤]، واللحياني [٥] وجماعة . والقائلون بالهمز مختلفون على وجهين :

---

(١) الشيخ الإمام العلامة شيخ القراء والأدباء علم الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد بن عطاس الهمداني ، المصري ، السخاوي ، الشافعي ، نزيل دمشق ،ولد سنة ثمان وخمسين أو سنة تسع، وكان إماما في العربية ، بصيرا باللغة ، فقيها ، مفتياً ، عالماً بالقراءات وعللها ، مجوداً لها ، بارعاً في التفسير، صنف وأقرأ وأفاد، توفى سنة ثلاث وأربعين وستمائة، سير أعلام النبلاء،١٢٢/٢٣

(٢) جمال القراء، جـ١،صـ٧٦

(٣) الموسوعة القرآنية المتخصصة،صـ٩٨

(٤) انظر معانى القرآن، ١٧٠/١

(٥) اللحياني : علي بن المبارك اللحياني وقيل علي بن حازم، ويكنى أبا الحسن: أخذ عن الكسائي، وأخذ عنه أبو عبيد القاسم بن سلام، معجم الأدباء ،١٨٤٣/٤، ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الأولى، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م.

الأول : أنه وصف فُعلان ، مشتق من القَرْء ، بمعنى الجمع .

يقول الزجاج: إن لفظ "القرآن" مهموز على وزن فعلان، مشتق من القرء بمعنى الجمع، ومنه قرأ الماء في الحوض إذا جمعه؛ لأنه جمع ثمرات الكتب السابقة (١)

الثاني : أنه مصدر قرأت ،مثل الرجحان والغفران سمى به الكتاب المقروء ، من باب تسمية المفعول بالمصدر.

يقول اللحياني : إنه مصدر مهموز بوزن الغفران، مشتق من قرأ بمعنى تلا، سمي به المقروء تسمية للمفعول بالمصدر (٢).

وهو على هذين الرأيين مهموز، فإذا تركت الهمزة فذلك للتخفيف، ونقل حركتها إلى الساكن قبلها والألف واللام فيه ليست للتعريف، وإنما للمح الأصل وعلى هذا أيضا يكون على وزن فعلان .

والقول بأن القرآن مهموز، أقوى الآراء وأرجحها، فالقرآن في اللغة مصدر مرادف للقراءة، ومنه قوله تعالى: {إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ، فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ} . وهذا ما رجحه ابن جزى ، وبه قال ابن عطية (٣) .

قال صاحب التحرير والتنوير: همزة قرآن أصلية ووزنه فعلان

---

(١) معانى القرآن للزجاج، ١/، ١٧٠،مختار الصحاح، ٢٤٩/١،مادة قرأ

(٢) البرهان للزركشى،٢٧٨/١

(٣) القرآن مصدر من قولك: قرأ الرجل إذا تلا يقرأ قرآنا وقراءة، وحكى أبو زيد الأنصاري: وقرءا. وقال قتادة: «القرآن معناه التأليف قرأ الرجل إذا جمع وألف قولا» وبهذا فسر قتادة قول الله تعالى: إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ [القيامة: ١٧] أي تأليفه ، وهذا نحو قول الشاعر عمرو بن كلثوم:

ذراعي بكرة أدماء بكر .:. هجان اللون لم تقرأ جنينا

أي لم تجمع في بطنها ولدا فهو أفره لها، والقول الأول أقوى إن القرآن مصدر من قرأ إذا تلا، ومنه قول حسان بن ثابت يرثي عثمان بن عفان رضي الله عنه:

ضحوا بأشمط عنوان السجود به .:. يقطّع الليل تسبيحاً وقرآناً.

المحرر الوجيز، ٥٦/١

ولذلك اتفق أكثر القراء على قراءة لفظ قرآن مهموزاً حيثما وقع في التنزيل ولم يخالفهم إلا ابن كثير قرأه بفتح الراء بعدها ألف على لغة تخفيف المهموز وهي لغة حجازية، والأصل توافق القراءات في مدلول اللفظ المختلف في قراءته. وقيل هو قرآن بوزن فعال، من القرن بين الأشياء أي الجمع بينها لأنه قرنت سوره بعضها ببعض وكذلك آياته وحروفه، وسمي كتاب الله قرآناً كما سمي الإنجيل الإنجيل، وليس مأخوذاً من قرأت، ولهذا يهمز قرأت ولا يهمز القرآن ،فتكون قراءة ابن كثير جارية على أنه اسم آخر لكتاب الله على هذا الوجه (١) .

قال الراغب: والْقُرْآنُ في الأصل مصدر، نحو: كفران ورجحان. قال تعالى: "إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ " وخص بالكتاب المنزّل على محمد ﷺ ، فصار له كالعلم كما أنّ التّوراة لما أنزل على موسى عليه السلام ، والإنجيل على عيسى عليه السلام. قال بعض العلماء: (تسمية هذا الكتاب قُرْآناً من بين كتب الله لكونه جامعا لثمرة كتبه) بل لجمعه ثمرة جميع العلوم (٢) ،

قال أبو عبيدة : القرآن: اسم كتاب الله خاصّة، ولا يسمّى به شيء من سائر الكتب غيره، وإنما سمّى قرآناً لأنه يجمع السور فيضمها (٣) ،

ثانياً: الفرقان: وهو مشتق من الفعل (فرّق) ، ويدل في أصل معناه على الفصل بين الأشياء ،يُقال فرّق بين الشئين : فرقاً وتفريقاً، وتفرقة ، وفرقاناً ،أي تركه وابتعد عنه (٤) وهو من أسماء القرآن قال تعالى:

---

(١) التحرير والتنوير ٧١/١، الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر – تونس: ١٩٨٤هـ

(٢) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهانى،٦٦٨/١، مادة قرأ، تحقيق: صفوان عدنان الداودي،: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت

(٣) مجاز القرآن لأبى عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري (المتوفى: ٢٠٩هـ)، ١/١، تحقيق: محمد فواد سزگين: مكتبة الخانجي – القاهرة، سنة: ١٣٨١ هـ

(٤) مختار الصحاح، ١٣٨/١، مادة فرق

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (١) ، وقال تعالى﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ ﴾ (٢) ولفظ الفرقان ،تفيد مادته معنى التفرقة، كأن في التسمية إشعاراً بتفرقة هذا الكتاب بين الحق والباطل.

قال الامام الطبري : ﴿ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ ﴾ وأنزل الفصْل بين الحق والباطل فيما اختلفت فيه الأحزابُ وأهلُ الملل في أمر عيسى وغيره. وقد بينا فيما مضى أنّ "الفرْقان"، إنما هو "الفعلان" من قولهم: "فرق الله بين الحق والباطل"، فصل بينهما بنصره الحقَّ على الباطل، إما بالحجة البالغة، وإما بالقهر والغلبة بالأيدِ والقوة. عن قتادة: "وأنزل الفرقان" ، هو القرآن ، أنزله على محمد، وفرق به بين الحق والباطل، فأحلّ فيه حلاله وحرّم فيه حرامه، وشرع فيه شرائعه، وحدّ فيه حدوده ، وفرض فيه فرائضَه ، وبين فيه بيانه ، وأمر بطاعته ، ونهى عن معصيته .. (٣)

وهو مصدر أطلق على القرآن فأصبح علماً، وهذا المصدر استعمل بمعنى اسم الفاعل أي أنه كلام فارق بين الحق والباطل، أو استعمل بمعنى اسم المفعول، أي أنه كلام مفروق بعضه عن بعض في النزول أو في

---

(١) الفرقان آية ١

(٢) آل عمران آية ٣

(٣) تفسير الطبرى،١٦٢/٦،الدر المنثور، جلال الدين السيوطي، ٢٣٥/٦، دار الفكر – بيروت، قال الطبري: وأصل "الفُرْقان" عندنا: الفرقُ بين الشيئين والفصل بينهما. وقد يكون ذلك بقضاءٍ، واستنقاذٍ، وإظهار حُجَّة، ونَصْرٍ، وغير ذلك من المعاني المفرِّقة بين المحقّ والمبطِل. فقد تبين بذلك أنّ القرآن سُمّي "فرقانًا"، لفصله –بحججه وأدلَّته وحدود فرائضه وسائر معاني حُكمه– بين المحق والمبطل. وفرقانُه بينهما: بنصره المحقّ، وتخذيله المبطل، حُكمًا وقضاءً. تفسير الطبري ٩٩/١

السور والآيات [١] .

قال السخاوى: وهو منقول من المصدر، وهو من المصادر التي جاءت على فُعْلان نحو: لغُفْران والكُفْران، وقال أبو عبيدة: "تقديره قولهم: رجل قُنْعان. أي يرضى به الخصمان ويقنعان " فهو على هذا منقول من الصفة [٢]

قال الزجاج : والفرقانُ القرآن، يُسمى فرقاناً لأنه فُرِّقَ به بين الحق والبَاطِل [٣] .

قال صاحب التحرير والتنوير: والفرقان في الأصل مصدر فرق كالشكران والكفران والبهتان، ثم أطلق على ما يفرق به بين الحق والباطل قال تعالى: "وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ " [٤] وهو يوم بدر. وسمي به القرآن قال تعالى: "تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ " [٥]

ثالثاً: الكتاب : اسم مفرد ،وجمعه كُتُب ،واسم الفاعل منه ،كاتب، وجمعه كُتَّاب ، والفعل منه :كتب الشيء، يكتبه كَتْباً وكتاباً، وكتبه :كتابة :أي خطه [٦] قال ابن جزى : ، وأما الكتاب: فمصدر ثم أطلق على المكتوب [٧]. وإليه ذهب ابن عطية [٨] ، والرازي [٩] ، والقرطبي [١٠]

---

(١) مناهل العرفان، ١٤/١

(٢) جمال القراء وكمال الإقراء،٧٦/١

(٣) معاني القرآن وإعرابه، الزجاج ٥/٤، تفسير ابن كثير، ٨٤/٦، ا النكت والعيون،للماوردى،١٣١/٤

(٤) الأنفال آية ٤١

(٥) التحرير والتنوير، ١٥٠/٣

(٦) لسان العرب لسان العرب مادة كتب ،٦٩٩/١

(٧) التسهيل ١٣/١

(٨) المحرر الوجيز، ٥٦/١

(٩) مفاتيح الغيب ٢٦٠/٢

(١٠) تفسير القرطبي ١٥٩/١

وسمّي بذلك لأن الكتب: الجمع، يقال: كتب إذا جمع الحروف بعضها إلى بعض، وتكتب بنو فلان: أي اجتمعوا، فسمّي بذلك لما اجتمع فيه من المعاني، كالأمر والنهي والمحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ والحلال والحرام، ونبأ ما كان وما يكون، وما يحتاج إليه من أمر الدين، وتفصيل ما اختلف فيه من الأحكام، قال الله ﷻ : "ما فَرَّطْنا فِي الْكِتابِ مِنْ شَيْءٍ " (١) وقال ﷻ " ما كانَ حَدِيثاً يُفْتَرى وَلكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ " (٢) (٣)

قال البغوي: والكتاب مصدر، وهو بمعنى المكتوب كما يقال للمخلوق خلق، وهذا الدرهم ضرب فلان أي مضروبه. وأصل الكتب: الضم والجمع، ويقال للجند: كتيبة لاجتماعها، وسمي الكتاب كتابا لأنه جمع حرف إلى حرف (٤) .

قال الزركشي : الكتاب ،مصدر كتب يكتب كتابة وأصلها الجمع وسميت الكتابة لجمعها الحروف فاشتق الكتاب لذلك لأنه يجمع أنواعا من القصص والآيات والأحكام والأخبار على أوجه مخصوصة ويسمى المكتوب كتابا مجازا (٥) .

رابعاً : الذكر: سمي به القرآن، لاشتماله على المواعظ والزواجر، وقيل: لاشتماله على أخبار الأنبياء، والأمم الماضية، وهو بمعنى:

---

(١) الأنعام آية ٣٨

(٢) يوسف آية ١١١

(٣) جمال القراء، ٨١/١

(٤) معالم التنزيل ، البغوي ،٥٩/١، تحقيق، محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية ، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة ، الرابعة، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م

(٥) البرهان،٢٧٧/١، الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري ٤٠٥/١، تحقيق، محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الأولى، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م

الشرف، قال تعالى: "وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ" (١) أي شرف لأنه نزل بلغتكم، وقال تعالى: "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ" (٢) وأما تسميته ذكراً، فلما فيه من المواعظ وأخبار الأمم الماضية ، فيكون من باب إطلاق المصدر على اسم المفعول ، بمعنى مذكراً، والذكر أيضاً بمعنى الشرف (٣) ، ومنه قوله تعالى "وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ" (٤) أي شرف لأنه بلغتهم (٥) .

وهذه الأربعة هي أشهر الأسماء ، وقد صارت أعلاماً بالغلبة على القرآن في لسان أهل الشرع وعرفهم ومما ينبغي أن يتنبه إليه أن أغلب ما ذكروه أسماء للقرآن هو في الحقيقة أوصاف له، فمثلاً: عدوا من الأسماء لفظ «كريم» أخذاً من قوله تعالى : "إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ " (٦) ، ولفظ «مبارك» أخذاً من قوله تعالى: "وَهذا ذِكْرٌ مُبارَكٌ" مع أن الظاهر كونهما وصفين للقرآن لا اسمين.

كما أن في بعض ما عدوه اسماً للقرآن بعداً وتكلّفاً في أن المراد به القرآن وذلك مثل عدهم من الأسماء:(منادياً)، لقوله تعالى:﴿ رَبَّنا إِنَّنا سَمِعْنا مُنادِياً يُنادِي لِلْإِيمانِ﴾ (٧) ومثل عدهم من الأسماء: (زبوراً) ، لقوله تعالى: "وَلَقَدْ كَتَبْنا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ

---

(١) الزخرف آية ٤٤

(٢) الحجر آية٩، البرهان للزركشى،٢٧٩/١،الاتقان للسيوطي ١٨٣/١

(٣) الأنبياء آية ٥

(٤) الزخرف آية ٤٤

(٥) الاتقان للسيوطى،١٨٣/١، المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، ٣٢٧/١،مادة ذكر

(٦) سورة الواقعة، آية ٧٧

(٧) آل عمران، آية ١٩٣

الصَّالِحُونَ " [١] مع أن الظاهر: والذي عليه جمهور المفسرين، أن المراد بالمنادى الرسول وبالزبور الكتاب المنزل على داود عليه السلام والذكر التوراة وقيل الزبور: جميع الكتب المنزلة، والذكر: اللوح المحفوظ، ويكون المراد بالزبور الوصفية لا العلميّة، فهو بمعنى المزبور أي المكتوب .

وقد عَدَّ الزركشي منها جملة، وبيَّنَ اشتقاقه [٢] ، ولكن أكثرها غير مشهور، والمشهور منها ما ذكرناه، والأوصاف لا تنزل منزلة الأسماء، إلّا إذا اشتهر بها الموصوف، وكانت دالَّة عليه بالأصالة، قائمة مقام العلم عند حذفه. وقد ذكر الزركشي خمسة وخمسين نقلا عن القاضي شيذلة [٣]

وأكثر ما ذكره الزركشي ، عن ابن شيذله [٤] ، ونقله عنه السيوطي ، أوصاف للقرآن، وليست أسماء، ولا هي كالأسماء؛ لعدم استقلالها في الدلالة عليه، ولا ريب أنه خلط فيها بين التسمية والوصف [٥]

مما سبق يتضح أن الأسماء المشهورة للقرآن الكريم قد تضافرت استعمالاتها في القرآن الكريم ، وتنوعت سياقاتها ، كما أن القرآن ، والكتاب يجتمعان في معنى الضم والجمع ، للإشارة إلى الجمع المعنوي

---

(١) الأنبياء، آية ١٠٥

(٢) البرهان للزركشى،٢٧٣/١،الاتقان للسيوطى،١٨٤/١

(٣) شيذلة أبو المعالي عزيزي بن عبد الملك بن منصور، الإمام، الواعظ، المحدث، المذكر، أبو المعالي عزيزي بن عبد الملك بن منصور الجيلي، نزيل بغداد، مات في صفر، سنة أربع وتسعين وأربع مائة. سير أعلام النبلاء ، ١٤٨/١٩

(٤) الإمام الواعظ المحدث المذكر أبو المعالي عزيزي بن عبد الملك بن منصور الجيلي نزيل بغداد، مات في صفر سنة أربع وتسعين وأربعمائة، سير أعلام النبلاء ١٧٤/١٩

(٥) المدخل لدراسة القرآن الكريم، محمد أبو شهبة ص ٢٥، مباحث في القرآن الكريم، د/ صبحى الصالح ص٢٢، اتقان البرهان في علوم القرآن، فضل حسن عباس، ص ٥٤ .

والحسى للقرآن الكريم ،فهو جامع للأحكام ، والعلوم والمعارف ، والهدايات الإلهية ، كما أنه مجموع في السّطور.

تعريف السورة والآية : قال ابن جزى: ويجوز في السورة من القرآن الهمز، وترك الهمز لغة قريش، وأما الآية فأصلها العلامة ثم سميت الجملة من القرآن بها لأنها علامة على صدق النبيﷺ (١) ذكر ابن جزى أن السورة من القرآن يجوز فيه الهمز ،وترك الهمز ، وترك الهمز لغة قريش.

أولاً السورة : والسورة قطعة من القرآن معينة بمبدأ ونهاية لا يتغيران، مسماة باسم مخصوص، تشتمل على ثلاث آيات فأكثر في غرض تام، وتسمية القطعة المعينة من عدة آيات القرآن سورة من مصطلحات القرآن، وشاعت تلك التسمية عند العرب حتى المشركين منهم، فالتحدي للعرب بقوله تعالى :﴿ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ﴾ (٢) وقوله ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾ (٣) لا يكون إلا تحدياً باسم معلوم المسمى والمدار عندهم وقت التحدي (٤) .

قال ابن منظور : والسورة المنزلة ، والجمع سُور ،والسورة من البناء ما حسن وطال ، و السورة بدون الهمز ، على زنة "فُعْلَة" ، وهى مفردة جمعها (سُور) بضم السين وفتح العين (٥) .

وفي اشتقاق السورة أربعة أقاويل :

الأول : قيل : سميت سورة لأنها يرتفع بها من منزلة إلى منزلة،

---

(١) التسهيل جـ١، ص ١٣ .

(٢) هود: ١٣

(٣) البقرة: ٢٣

(٤) التحرير والتنوير ٨٥/١

(٥) لسان العرب ٢١٤٧/٢٤، مادة سور

ويشرف فيها قارئها وحافظها على ما لم يكن عنده من العلم، كإشرافه على سور البناء، فهي منزلة رفعة، ومن الدلالة على أنّ معنى السورة: المنزلةُ من الرفيعة، قول نابغة بني ذُبيان (١) :

أَلَمْ تَرَ أنَّ الله أعطاكَ سُورَةً .:. تَرَى كلَّ مَلْكٍ دُونَها يَتَذَبْذَبُ (٢)

عني بذلك : أنّ الله أعطاه منزلة من منازل الشرف التي قصَّرت عنها منازلُ الملوك .

الثاني : إنما قيل لها سورة: لتمامها وكَمَالِهَا. يقال للناقة التامة : السورة.

الثالث : إنما سميت سورة لشرفها وارتفاعها في القَدْرِ، كما يقال لما ارتفع من البناء على هيئة سور .

الرابع: إنما سميت سورة لأنها بقية من القرآن وقطعة منه: يقال: " أَسْأَرْتُ في الإناء سُؤراً، أي أبقيت فيه بقية، " ودخل فلان في سائر الناس " أي في بقاياهم. فيكون أصله على هذا القول الرابع الهمز (٣) .

قال الطبري: وقد همز بعضهم السورة من القرآن، وتأويلها، في لغة من همزها، القطعة التي قد أفضلت من القرآن عما سواها وأبقيت، وذلك أن سؤر كل شيء: البقية منه تبقى بعد الذي يؤخذ منه، ولذلك سميت الفضلة من شراب الرجل –يشربه ثم يفضلها فيبقيها في الإناء– سؤراً.

ومن ذلك قول أعشى بني ثعلبة (٤) ، يصف امرأة فارقته فأبقت في

---

(١) هو زياد بن معاوية بن ضباب بن جابر بن يربوع بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان، شاعر جاهلي، وهو من فحول شعراء الطبقة الأولى، لقب بالنابغة لأنه لم يقل الشعر حتى احتنك ، معجم الشعراء،٢٣١/١

(٢) ديوان النابغة الذبياني ، ص ٢٥ ، شرح د/ حنا نصر، ط/دار الكتاب ١٤١١هـ – ١٩٩١م

(٣) الهداية الى بلوغ النهاية، ١٩١/١

(٤) الأعشى هو ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل بن عوف بن سعد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة، شاعر جاهلي: وهو أحد الأعلام من شعراء الجاهلية وفحولهم، وفيات الاعيان، ٢٣٣/٤

قلبه من وجدها بقية:

فبانت ، وقد أسأرت في الفؤاد .:. صدعاً على نأيها، مستطيرا (١)

قال ابن عطية : أما السورة فإن قريشاً كلها ومن جاورها من قبائل العرب كهذيل، وسعد بن بكر، وكنانة، يقولون: سورة بغير همز، وتميم كلها وغيرهم أيضاً يهمزون فيقولون: سؤر وسؤرة، فأما من همز فهي عنده كالبقية من الشيء والقطعة منه التي هي سؤر، وسؤرة من أسأر إذا أبقى، ومنه "سؤر الشراب "وأما من لا يهمز فمنهم من يراها من المعنى المتقدم إلا أنها سهلت همزتها، ومنهم من يراها مشبهة بسورة البناء أي القطعة منه، لأن كل بناء فإنما يبنى قطعة بعد قطعة، وكل قطعة منها سورة، وجمع سورة القرآن سور بفتح الواو، وجمع سورة البناء سور بسكونها (٢). وهو ما ذهب إليه جمهور المفسرين (٣)

ثانياً : الآية : وقد ورد في الآية عدة معان :

الأول : العلامة : لأنها علامةٌ يُعرف بها تمام ما قبلها وابتداؤها، كالآية التي تكون دلالةً على الشيء يُستدلْ بها عليه، ومنه قوله جل ذكرُه : ﴿رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ﴾ (٤) أي علامةً منك لإجابتك دُعاءنا وإعطائك إيَّانا سُؤلَنا (٥) .

أو بمعنى أنها علامة لانقطاع الكلام قبلها من الذي بعدها وانفصاله، أي هي بائنة من أختها ومنفردة. وتقول العرب: بيني وبين

---

(١) تفسير الطبري ١٠٥/١، ديوان الأعشى ص ٥٧ .

(٢) المحرر الوجيز /٥٦ ، والجواهر الحسان في تفسير القرآن،للثعالبى١٥٢/١،دار إحياء التراث العربي – بيروت – الطبعة: الأولى ١٤١٨ هـ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١ / ٦٥، تفسير ابن كثير ١ / ٩٩، التحرير والتنوير ١ / ٨٥ الكليات ص ٤٩ .

(٤) المائدة ١١٤

(٥) تفسير الطبري ١٠٦/١

فلان آية، أي علامة.

الثاني : سميت آية لأنها جماعة حروف من القرآن وطائفة منه، كما يقال: خرج القوم بآياتهم أي بجماعتهم.

الثالث: سميت آية لأنها عجب يعجز البشر عن التكلم بمثلها.

الرابع : القصةُ، كما قال كعب بن زهير بن أبي سُلمى (١) :

ألا أبْلغا هذا المُعَرِّض آيَةً .:. أَيْقَظانَ قالَ القولَ إذْ قَالَ، أمْ حَلَم (٢)

يعني بقوله "آية" : رسالةً منّي وخبرًا عني ، فيكون معنى الآيات: القصص، قصةٌ تتلو قصةً، بفُصُول ووُصُول.

واختلف النحويون في أصل آية ، فقال سيبويه: أيية على فعلة مثل أكمة وشجرة، فلما تحركت الياء وانفتح ما قبلها انقلبت ألفا فصارت آية بهمزة بعدها مدة.

وقال الكسائي: أصلها آيية على وزن فاعلة مثل آمنة فقلبت الياء ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها، ثم حذفت لالتباسها بالجمع، وقال الفراء: أصلها أيية بتشديد الياء الأولى فقلبت ألفا كراهة التشديد فصارت آية وجمعها آي وآيات وآياء (٣) .

قال الراغب الأصفهاني : وفي بناء آية ثلاثة أقوال :

الأول : قيل: هي فعلة، وحقّ مثلها أن يكون لامه معلّا دون عينه، نحو:

حياة ونواة، لكن صحّح لامه لوقوع الياء قبلها، نحو: راية.

---

(١) كعب بن زهير بن أبي سلمى، المزني، أبو المضرَّب ، شاعر مخضرم عاش عصرين مختلفين هما عصر ما قبل الإسلام وعصر صدر الإسلام، الأعلام للزركلي ٥٢/٣

(٢) ديوان كعب زهير ،صـ٤٦، دار الكتب العلمية،١٤١٧هـ –١٩٩٧م

(٣) تفسير القرطبي ٦٦/١،تفسير ابن كثير ١٨/١

الثاني : قيل: هي فعلة ، إلا أنها قلبت كراهة التضعيف كطائي في طيّئ. وهذا قول سيبويه (١) :

الثالث : قيل: هي فاعلة، وأصلها: آيية ، فخفّفت فصار آية، وذلك ضعيف لقولهم في تصغيرها: أُيَيَّة ، ولو كانت فاعلة لقيل : أويّة (٢) .

(١) وقال غيره: إنما هي آيةٌ وأيٌّ فعلٌ، ولكنهم قلبوا الياء وأبدلوا مكانها الألف لاجتماعهما، لأنهما تكرهان كما تركه الواوان، فأبدلوا الألف كما قالوا الحيوان، وكما قالوا ذوائب، فأبدلوا الواو كراهية الهمزة وهذا قولٌ. وأما الخليل فكان يقول: جاء على أن فعله معتلٌّ وإن لم يكن يتكلم به، كما قالوا قودٌ، فجاء كأن فعله على الأصل ، انظر الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه، ٣٩٨/٤،تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي ، القاهرة، الثالثة، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م

(٢) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني ١٠٣/١

المبحث السابع
المكي والمدني

المكي والمدني مصطلحان مرتبطان بالمكان والزمان ، وعليهما دارت عبارات العلماء رحمهم الله تعالى، وكان للسلف عناية خاصة بمكان نزول القرآن، وكان أول نزول القرآن في غار حراء بمكة ، ثم تتابع نزول القرآن على النبي ﷺ فكان منه ما نزل بمكة قبل الهجرة ، وما نزل بضواحي مكة ، ثم هاجر النبي ﷺ إلى المدينة ، ونزل عليه فيه القرآن ، وكان له سفرات نزل فيها قرآن ، وكان منه ما نزل عليه بمكة بعد هجرته ﷺ .

قال الإمام الباقلاني : فأما المكّيّ والمدنيّ من القرآن فلا شبهةَ على عاقلٍ في حفظ الصحابةِ والجمهورِ منهم إذا كانت حالُهم وشأنهم في حفظ القرآن وإعظامه وقدره من نفوسهم ما وصفناه لِما نزل منه بمكةَ ثم بالمدينة، والإحاطة بذلك والأسباب والأحوالِ التي نزل فيها ولأجلها (١) .

ضوابط السور المكية والمدنية:

تحدث ابن جزى عن ضابط المكي والمدني من حيث الموضوع فقال: واعلم أنّ السور المكية نزل أكثرها في إثبات العقائد والردّ على المشركين، وفي قصص الأنبياء. وأنّ السور المدنية نزل أكثرها في الأحكام الشرعية، وفي الردّ على اليهود والنصارى ، وذكر المنافقين ، والفتوى في مسائل ، وذكر غزوات النبي ﷺ .

وتحدث ابن جزى عن ضابط المكي والمضنى من حيث الخطاب حيث قال رحمه الله تعالى وحما ورد : "يا أيها الذين آمنوا" فهو مدني،

---

(١) الانتصار،٢٤٧/١،دار الفتح – عَمّان، دار ابن حزم – بيروت ،الأولى ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م

وأما: يا أيها الناس، فقد وقع في المكيّ والمدنيّ [١] ، وما ذكره ابن جزى من ضابط المكي والمدني صحيح ، وعليه جمهور العلماء

وقد ذكر العلماء لمعرفة المكي والمدني طريقتين لا ثالث لهما، وهما: السماع والقياس قال الإمام السيوطي ، قال الجعبري [٢] : لمعرفة المكي والمدني طريقان: سماعي وقياسي فالسماعي ما وصل إلينا نزوله بأحدهما، والقياسي كل سورة فيها: {يا أيها الناس} فقط، أو "كلا" أو أولها حرف تهج سوى "الزهراوين والرعد" أو فيها قصة آدم وإبليس سوى "البقرة" فهي مكية، وكل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الخالية مكية وكل سورة فيها فريضة أو حد فهي مدنية [٣] . وهناك ضوابط تعرف بها هذه الآيات منها ما أخرجه السيوطي عن علقمة عن عبد الله قال: ما كان: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أنزل بالمدينة وما كان ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾فبمكة[٤].

وقد كانت عناية الصحابة والتابعين بهذه الأمور عناية بالغة حتى نجد العالم يعتز بعلمه بهذا الموضوع. قال القاضي أبو بكر في الانتصار: إنما يرجع في معرفة المكي والمدني إلى حفظ الصحابة والتابعين ولم يرد عن النبي ﷺ في ذلك قول لأنه لم يؤمر به ولم يجعل الله علم ذلك من فرائض الأمة وإن وجب في بعضه على أهل العلم معرفة

---

(١) التسهيل، ١٤/١

(٢) هو إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل بن أبى العباس الربعي الجعبري السلفي شرح الشاطبية والرائية وغير ذلك ، توفى سنة (٧٣٢)، انظر معرفة القراء الكبار ٧٤٣/٢،والدرر الكامنة ٥١/١

(٣) الاتقان ٦٨/١

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك ١٨/٣،والبيهقى في دلائل النبوة ١٤٤/٧،وكشف الاستار عن زوائد البزار ٣٩/٣، قال ولا نعلم أحداً أسنده إلا قيساً، وغيره يرسله، وابن الضريس في ضائله ٢٦-٢٨

تاريخ الناسخ والمنسوخ فقد يعرف ذلك بغير نص الرسول ﷺ (١) .

فهذه ضوابط عرفت بالاستقراء، واستدل بها العلماء على المكي والمدني، وكان ذلك موضع عناية المتقدمين .

أخرج البخاري ومسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: « وَاللَّهِ الَّذِي لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ، مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ أَيْنَ أُنْزِلَتْ، وَلاَ أُنْزِلَتْ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ فِيمَ أُنْزِلَتْ، وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنِّي بِكِتَابِ اللَّهِ، تُبَلِّغُهُ الإِبِلُ لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ ، " (٢)

فوائد معرفة المكي والمدني :

١ – معرفة الناسخ والمنسوخ، فالمدني ينسخ المكي؛ إذ أن المتأخر ينسخ المتقدم .

٢ – الاستعانة به في تفسير القرآن الكريم؛ إذ أن معرفة مكان نزول الآية تعين على فهم المراد بالآية ومعرفة مدلولاتها، وما يراد فيها.

٣ – معرفة تاريخ التشريع وتدرجه الحكيم بوجه عام، وذلك يترتب عليه الإيمان بسمو السياسة الإسلامية في تربية الشعوب والأفراد.

٤ – استخراج سيرة الرسول ﷺ، وذلك بمتابعة أحواله بمكة المكرمة ومواقفه في الدعوة، ثم أحواله في المدينة وسيرته في الدعوة إلى الله فيها.

٥ – بيان عناية المسلمين بالقرآن الكريم واهتمامهم به حيث إنهم لم يكتفوا بحفظ النص القرآني فحسب، بل تتبعوا أماكن نزوله، ما كان قبل الهجرة وما كان بعدها، ما نزل بالليل وما نزل بالنهار، ما نزل في

---

(١) الانتصار ٢٤٧/١ ، الاتقان ، /٣٨

(٢) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، بَابُ القُرَّاءِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ ، (٥٠٠٢) والحديث أخرجه مسلم في فضائل الصحابة باب من فضائل عبد الله بن مسعود وأمه رضي الله عنهما رقم ٢٤٦٣

الصيف وما نزل في الشتاء، إلى غير ذلك من الأحوال.

٦ – معرفة أسباب النزول، إذ أن معرفة مكان نزول الآية توقفنا على الأحوال والملابسات التي احتفت بنزول الآية.

٧ – الثقة بهذا القرآن وبوصوله إلينا سالمًا من التغيير والتحريف (١) .

خصائص السور المكية :

١ – أن كل سورة فيها سجدة فهي مكية

٢ – أن كل سورة فيها لفظ "كلا" فهي مكية. ولم ترد إلا في النصف الأخير من القرآن.

٣ – كل سورة فيها {يَا أَيُّهَا النَّاسُ} وليس فيها {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} فهي مكية إلا سورة الحج ففي أواخرها: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا} (٢) مع أن كثيرا من العلماء يرون أنها مكية (٣) .

٤ – كل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الغابرة فهي مكية سوى البقرة.

٥ – كل سورة فيها قصة آدم وإبليس فهي مكية سوى البقرة أيضاً.

٦ – كل سورة تفتتح بحروف التهجي: { الم } و { الر } ونحو ذلك فهي مكية سوى الزهراوين وهما البقرة ، وآل عمران، وفي سورة الرعد خلاف، فبعضهم يرى أنها مدنية لا مكية.

---

(١) مناهل العرفان للزرقاني ١/١٩٥، المدخل لدراسة القرآن الكريم، ص ٢١٨ .

(٢) الحج آية ٧٧

(٣) ولكن الزركشي يعلق على هذا الضابط بقوله: "وهذا القول إن أخذ على إطلاقه ففيه نظر، فإن سورة البقرة مدنية، وفيها: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ} –الآية ٢١– وفيها {يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا} –الآية ١٦٨– وسورة النساء مدنية وفيها {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ} – الآية ١– وفيها {إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ} – الآية ١٣٣– وسورة الحج مكية وفيها {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا} –الآية ١٧٧– فإن أراد المفسرون أن الغالب ذلك فهو صحيح"، البرهان ١/ ١٩٠.

ضوابط السور المدنية وخصائصها :

أولًا : الضوابط:

١ – كل سورة فيها إذن بالجهاد أو ذكر له وبيان لأحكامه فهي مدنية.

٢ – كل سورة فيها تفاصيل لأحكام الحدود والفرائض والحقوق، والقوانين المدنية والاجتماعية والدولية فهي مدنية.

٣ – كل سورة فيها ذكر المنافقين فهي مدنية ما عدا سورة العنكبوت، إلا أن الآيات الإحدى عشرة الأولى منها مدنية وفيها ذكر المنافقين.

٤ – كل آية بدأ فيها الخطاب بقوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا فهي مدنية.

ثانياً الخصائص.

١ – سلوك الإطناب والتطويل في آياته وسوره.

٢ – سهولة ألفاظها وخلوها من الغريب اللغوي في الغالب.

٣ – الأسلوب الهادئ والحجة الباهرة عند مناقشة أهل الكتاب، والأسلوب التهكمي عند مجادلة أهل الكتاب وفضح نواياهم الخبيثة.

٤ – التحدث عن التشريعات التفصيلية والأحكام العملية في العبادات والمعاملات والأحوال الشخصية .

٥ – بيان قواعد التشريع الخاصة بالجهاد، وحكمة تشريعه، وذكر الأحكام المتعلقة بالحروب والغزوات والمعاهدات والصلح والغنائم والفيء والأسارى.

٦ – دعوة أهل الكتاب إلى الإسلام ومناقشتهم في عقائدهم الباطلة وبيان ضلالهم فيها.

٧ – بيان ضلال المنافقين وإظهار ما تكنه نفوسهم من الحقد والعداوة على الإسلام والمسلمين هذه الأربعة من الخصائص

الموضوعية (١) .

قال ابن جزى رحمه الله :الباب الثاني: في السور المكية والمدنية. اعلم أنّ السور المكية هي التي نزلت بمكة ويعد منها كل ما نزل قبل الهجرة، وإن نزل بغير مكة، كما أنّ المدنية هي السورة التي نزلت بالمدينة ويعدّ منها كل ما نزل بعد الهجرة وإن نزل بغير المدينة.

وتنقسم السور ثلاثة أقسام: قسم مدنية باتفاق، وهي اثنتان وعشرون سورة وهي: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنفال، وبراءة، والنور، والأحزاب، والقتال، والفتح، والحجرات، والحديد، والمجادلة، والحشر، والممتحنة، والصف، والجمعة، والمنافقون، والتغابن، والطلاق، والتحريم، وإذا جاء نصر الله .

وقسم فيها خلاف ، هل هي مكية أو مدنية؟ وهي ثلاثة عشر سورة: أم القرآن والرعد، والنحل، والحج، والإنسان، والمطففون، والقدر ولم يكن، وإذا زلزلت، وأ رأيت، والإخلاص والمعوّذتين.

وقسم مكية باتفاق، وهي سائر السور، وقد وقعت آيات مدنية في سور مكية، كما وقعت آيات مكية في سور مدنية، وذلك قليل، مختلف في أكثره (٢) .

ذكر ابن جزى في تعريف المكي والمدني ، أن المكي ما نزل قبل الهجرة أياً كان المكان الذى نزل فيه ، والمدني ما نزل بعد الهجرة حتى إن كان المكان الذى نزل فيه مكة ، فإنه لا يخرجه عن كونه مدنياً.

وقد وضع أهل العلم اصطلاحات ثلاثة لتعريف المكي والمدني ،

---

(١) البرهان ١٨٩/١، الإتقان ٤٨/١، مناهل العرفان ١٩٨/١ و ٢٠٤، مباحث في علوم القرآن ١٨٣، خصائص السورة والآيات المدنية للدكتور عادل أبي العلا ٣٥ و ٣٩، مباحث في علوم القرآن ،مناع القطان ،جـ١،صـ ٩٥،مباحث في علوم القرآن ، صبحى صالح، صـ١٨٢

(٢) التسهيل،١٤/١

وهذه الاصطلاحات مبنية باعتبارات مختلفة ، ففي الوقت الذى جعله بعضهم باعتبار الزمان ، اعتبره آخرون باعتبار المكان ، وقال فريق آخر باعتبار المخاطب ، وإليك الآراء بالتفصيل.

الرأي الأول : أن المكي ما نزل من القرآن قبل هجرة الرسول ﷺ حتى ولو نزل بغير مكة ، والمدني ما نزل من القرآن بعد الهجرة وإن نزل بمكة (١) ، وهذا الاصطلاح روعي فيه الزمان

الرأي الثاني : أن المكي ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة ، والمدني ما نزل في المدينة ، وأصحاب هذا الرأي يُدخلون في مكة ضواحيها كمنى ، وعرفات ، والحديبية ، ويدخلون في المدينة ضواحيها ،كبدر ، وأحد ، وهذا المذهب مكاني، قد تقيد بالتسمية المكانية، والتزم ظاهر التسمية، وإن كان شرّاحه أدخلوا في مكة ضواحيها.

الرأي الثالث : أن المكي ما كان خطاباً لأهل مكة ، والمدني ما كان خطاباً لأهل المدينة (٢) . وفسّر بهذا قول الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود: "كل شيء نزل فيه: "يا أيها الناس" فهو بمكة، وكل شيء نزل فيه "يا أيها الذين آمنوا" " فهو بالمدينة" (٣)

قال الشيخ الزرقاني : وعليه يحمل قول من قال: إن ما صدر في

---

(١) أخرج عثمان ابن سعد الرازي بسنده إلى يحيى بن سلام قال: ما نزل بمكة وما نزل في طريق المدينة قبل أن يبلغ النبي ﷺ المدينة فهو من المكي وما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم في أسفاره بعد ما قدم المدينة فهو من المدني وهذا أثر لطيف يؤخذ منه أن ما نزل في سفر الهجرة مكي اصطلاحا. الاتقان ٣٧/١ .

(٢) البرهان في علوم القرآن ،١م١٨٧، الاتقان في علوم القرآن٣٧/١، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم ، لطاش كبرى زادة،٣٨/٢

(٣) أخرجه الحاكم عن ابن مسعود، كتاب الهجرة ، المستدرك ،١٨/٣ ويشهد له ما ورد بمثله عن كثير من المفسرين وعن ابن عباس، أنظر البرهان ١٨٩/١. الانتصار للقرآن، للباقلانى،٢٤٧/١، البيان في عد آي القرآن ،١٣٢/١

القرآن بلفظ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾فهو مكي وما صدر فيه بلفظ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فهو مدني لأن الكفر كان غالبا على أهل مكة فخوطبوا بـ "يا أيها الناس" وإن كان غيرهم داخلا فيهم، ولأن الإيمان كان غالباً على أهل المدينة فخوطبوا بيا أيها الذين آمنوا، وإن كان غيرهم داخلا فيهم أيضا (١) .

وهذا الاصطلاح لوحظ فيه المخاطب، ويرد على هذا الرأي أن التقسيم عليه غير حاصر فهنالك آيات كثيرة جدّا في القرآن الكريم ليس فيها يا أيها الناس، ولا يا أيها الذين آمنوا، كما يرد عليه أنه غير مطرد؛ إذ هو منقوض بسورة "البقرة" المدنية وفيها يا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ وبسورة "النساء" المدنية ومفتتحها يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وبسورة "الحج " فإنها مكية عند جماعة من العلماء وفي أواخرها يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٢) ، (٣) .

الرأي الراجح : والرأي الأول هو الرأي الراجح للأسباب الآتية :

١ – هذا الاصطلاح ضابط وحاصر ومطرد، إذ تنعدم على القول به الواسطة (٤)

٢ – يبدو لمن تأمل هذا الاصطلاح أنه هو الذى كان يقصده الصحابة من قولهم: نزل كذا من السورة بمكة ، ونزل كذا من السورة بالمدينة، ومما يؤيد ذلك أنهم عدوا من المدني سورة التوبة ، وسورة الفتح ،وسورة المنافقون، ولم تنزل سورة التوبة كلها بالمدينة، فقد نزل

---

(١) مناهل العرفان،١٩٣/١

(٢) سورة الحج (٧٧)

(٣) المدخل لدراسة القرآن الكريم ،صـ٢١٨

(٤) مناهل العرفان للزرقاني ١ / ١٩٤ ، المدخل لدراسة القرآن الكريم ، لأبى شهبة ، ص ٢٢١ ، ومعنى الواسطة : هو وجود قسم ثالث ، لا يوصف بأنه مكى أو مدنى.

كثير من آياتها على رسول اللهﷺ وهو في طريق عودته من تبوك (١) ونزلت سورة الفتح على النبي ﷺ وهو عائد من صلح الحديبية (٢) ونزلت سورة المنافقون وهو في غزوة بنى المصطلق (٣) .

---

(١) أسباب النزول والقصص الفرقانية، محمد أسعد العراقي، المتوفى سنة ٥٦٧هـ ص٣٩ نسخة بمكتبة الجامعة الإسلامية برقم (١٣٥٥) عن الأصل المحفوظ بمكتبة تشستربيتى بأيرلندا

(٢) روى البخاري عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَسِيرُ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، وَعُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ يَسِيرُ مَعَهُ لَيْلًا، فَسَأَلَهُ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ عَنْ شَيْءٍ فَلَمْ يُجِبْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ سَأَلَهُ فَلَمْ يُجِبْهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ فَلَمْ يُجِبْهُ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ: ثَكِلَتْ أُمُّ عُمَرَ، نَزَرْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺثَلاَثَ مَرَّاتٍ، كُلَّ ذَلِكَ لاَ يُجِيبُكَ، قَالَ عُمَرُ: فَحَرَّكْتُ بَعِيرِي ثُمَّ تَقَدَّمْتُ أَمَامَ النَّاسِ، وَخَشِيتُ أَنْ يُنْزَلَ فِيَّ قُرْآنٌ، فَمَا نَشِبْتُ أَنْ سَمِعْتُ صَارِخًا يَصْرُخُ بِي، فَقُلْتُ: لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ نَزَلَ فِيَّ قُرْآنٌ، فَجِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ: " لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ سُورَةٌ لَهِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ، ثُمَّ قَرَأَ: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا} [الفتح: ١] "صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، بَابُ {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا} [الفتح: ١] (4833) قال ابن حجر : وجاء في رواية الطبراني من طريق عبد الرحمن بن أبي علقمة عن بن مسعود أن السفر المذكور هو عمرة الحديبية وكذا في رواية معتمر عن أبيه عن قتادة عن أنس قال لما رجعنا من الحديبية وقد حيل بيننا وبين نسكنا فنحن بين الحزن والكآبة فنزلت، فتح البارى،٨/٥٨٣

(٣) عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ، قَالَ: كُنْتُ فِي غَزَاةٍ فَسَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أُبَيٍّ، يَقُولُ: لاَ تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِهِ، وَلَئِنْ رَجَعْنَا مِنْ عِنْدِهِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعَمِّي أَوْ لِعُمَرَ، فَذَكَرَهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَدَعَانِي فَحَدَّثْتُهُ، فَأَرْسَلَ رَسُول ﷺ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ وَأَصْحَابِهِ، فَحَلَفُوا مَا قَالُوا، فَكَذَّبَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَصَدَّقَهُ، فَأَصَابَنِي هَمٌّ لَمْ يُصِبْنِي مِثْلُهُ قَطُّ، فَجَلَسْتُ فِي البَيْتِ، فَقَالَ لِي عَمِّي: مَا أَرَدْتَ إِلَى أَنْ كَذَّبَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَقَتَكَ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِذَا جَاءَكَ المُنَافِقُونَ} [المنافقون: ١] فَبَعَثَ إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ فَقَرَأَ فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ صَدَّقَكَ يَا زَيْدُ» صحيح البخاري، كتاب التفسير ، بَابُ قَوْلِهِ: {إِذَا جَاءَكَ المُنَافِقُونَ قَالُوا: نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ} [المنافقون: ١] إِلَى {لَكَاذِبُونَ} [الأنعام: ٢٨] (٤٩٠٠) قال ابن حجر : وسمي ابن إسحاق هذه الغزوة غزوة بني المصطلق وكذا وقع عند الإسماعيلي من طريق ابن أبي عمر عن سفيان قال يرون أن هذه الغزاة غزاة بني المصطلق وكذا في مرسل عروة، فتح الباري ١/٦٤٩

٣ – الاعتماد على هذا الاصطلاح يقضى على معظم الخلافات التي أثيرت حول تحديد مفهوم المكي والمدني .

٤ – هذا الاصطلاح هو الذى درج عليه كثير من الباحثين في علوم القرآن قديماً وحديثاً .

قال ابن عطية : وكل ما نزل من القرآن بعد هجرة النبي ﷺ فهو مدنى ، سواء ما نزل بالمدينة ، أو في سفر من الأسفار، أو بمكة، وإنما يرسم بالمكي ما نزل قبل الهجرة (١) ، وقال أيضاً : (وما نزل بعد الهجرة فإنما هو مدنى وإن نزل في مكة ،أو في سفر من أسفار النبي ﷺ)(٢).

قال ابن كثير: فالمكي ما نزل قبل الهجرة ، والمدني ما نزل بعد الهجرة، سواء كان بالمدينة أو بغيرها من أي البلاد كان حتى ولو كان بمكة أو عرفة (٣)

قال الإمام البقاعي : وكل ما نزل قبل الهجرة فهو مكي، وكل ما نزل بعدها فهو مدني، ولو كان النبي ﷺ وقت نزوله في بلد أخرى (٤) .

وقد ذكر الزركشي، والسيوطي: أن هذا القول هو الأشهر (٥) وبه قال الإمام الألوسي (٦) ، وعليه الجمهور (٧)

---

(١) المحرر الوجيز، ٥/٥

(٢) المصدر السابق ٥/٤

(٣) فضائل القرآن لابن كثير، صـ٣٧، مكتبة ابن تيمية ، الأولى – ١٤١٦ هـ

(٤) مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السِّوَرِ، البقاعي، ص ١٦١، مكتبة المعارف ، الرياض، الأولى ١٤٠٨ هـ ،١٩٨٧ م

(٥) البرهان للزركشي ، ١٨٧/١،الاتقان،٣٧/١

(٦) روح المعانى،٢١٢/٩

(٧) مناهل العرفان، ١٩٢/١

عدد السور المكية والمدنية والمختلف فيها :

قال ابن جزى : وتنقسم السور ثلاثة أقسام: قسم مدنية باتفاق، وهي اثنتان وعشرون سورة، وهي: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنفال، وبراءة، والنور، والأحزاب، والقتال، والفتح، والحجرات، والحديد، والمجادلة، والحشر، والممتحنة، والصف، والجمعة، والمنافقون، والتغابن، والطلاق، والتحريم، وإذا جاء نصر الله، وقسم فيها خلاف، هل هي مكية أو مدنية؟ وهي ثلاثة عشر سورة: أم القرآن والرعد، والنحل، والحج، والإنسان، والمطففون، والقدر ولم يكن، وإذا زلزلت، وأرأيت، والإخلاص والمعوّذتين. وقسم فيها خلاف، هل هي مكية أو مدنية؟ وهي ثلاثة عشر سورة: أم القرآن والرعد، والنحل، والحج، والإنسان، والمطففون، والقدر ولم يكن، وإذا زلزلت، وأ رأيت، والإخلاص والمعوّذتين. وقسم مكية باتفاق، وهي سائر وقسم مكية باتفاق، وهي سائرا لسور، قد وقعت آيات مدنية في سور مكية، كما وقعت آيات مكية في سور مدنية، وذلك قليل، مختلف في أكثره (١) .

وقد ذكر الزركشي في البرهان أن عدة السور التي نزلت بمكة خمس وثمانون (٢) فعلى هذا يكون المدني تسعاً وعشرين .

وقد نقل السيوطي في الإتقان أقوالاً كثيرة في تعيين السور المكية والمدنية، من أوفقها ما ذكره أبو الحسن الحصار (٣) في كتابه "الناسخ والمنسوخ" إذ يقول: المدني– باتفاق– عشرون سورة، والمختلف فيه اثنتا عشرة سورة، وما عدا ذلك مكي بالاتفاق (٤) .

---

(١) التسهيل ١٤/١

(٢) البرهان للزركشي ١ / ١٩٤ ، وفنون الأفنان :صـ٣٣٨،بصائر ذوى التمييز،٩٩/١

(٣) أبو الحسن الحصار: على بن محمد بن إبراهيم بن موسى الخزرجي أبو الحسن الحصار ،فقيه إشبيلي الأصل ، توفى سنة (٦١١هـ)،أنظر الأعلام ٣٣٠/٤-٣٣١

(٤) الاتقان ٢٨/١

والحاصل أن الذى استقرت عليه الروايات ، أن المكي خمس وثمانون كما تقدم عن الزركشي ، والمدني تسع وعشرون ، فهذه مائة وأربعة عشر سورة ، وهذا ما حكاه ابن الضريس [١] في فضائل القرآن [٢] .

السور المختلف فيها : قال ابن جزى: وقسم فيها خلاف، هل هي مكية أو مدنية؟ وهي ثلاثة عشر سورة: أم القرآن والرعد، والنحل، والحج، والإنسان، والمطففون، والقدر ولم يكن، وإذا زلزلت، وأرأيت، والإخلاص والمعوّذتين.

ذكر ابن جزى أن السور المختلف في مكيتها ومدنيتها ثلاثة عشر سورة، وهذه السور هي :

١ – **أم القرآن:**قال ابن جزى: واختلف هل هي مكية أو مدنية؟[٣]. والقول بمكيتها رجحه الإمام القرطبي [٤]، والزمخشري [٥]، وابن عطية [٦]، وابن كثير [٧] ، وابن عاشور حيث قال : وهذه السورة مكية باتفاق الجمهور [٨] وهو مذهب أكثر العلماء [٩] .

---

(١) ابن الضريس محمد ابن أيوب بن ضريس بن يسار البجلي ، أبو عبدالله الرازي ،ثقة،(المتوفى: ٢٩٤هـ)، سير أعلام النبلاء ٤٤٩/١٣،والجرح والتعديل ١٩٨/٧

(٢) فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة، لأبن الضريس،٣٣/١، تحقيق: غزوة بدير: دار الفكر، دمشق – سورية: الأولى، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٧ م

(٣) التسهيل ٦٣/١

(٤) تفسير القرطبي ١٦٦/١

(٥) الكشاف ١١/١

(٦) المحرر الوجيز ٦٥/١

(٧) تفسير ابن كثير ١٨/١

(٨) التحرير والتنوير ١٣١/١

(٩) تفسير الخازن ١٥/١،وزاد المسير ١٠/١،وأسباب النزول للواحدي ١٧، وجمال القراء ١١/١،بصائر ذوى التمييز، ١٢/١

٢ – **الرعد** [١] قال ابن جزى عند تفسير سور الرعد: سورة الرعد ، مدنية [٢] .

ويلاحظ أن أبن جزى حكم بمدنية السورة قولاً واحداً ،مع أنه ذكرها في السور المختلف فيها، ورجح الإمام مدنية السورة كلها ، فعند تفسير قوله تعالى ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ [٣] قال : وقيل: المراد عبد الله بن سلام ومن أسلم من اليهود والنصارى الذين يعلمون صفته ﷺ من التوراة والإنجيل، وقيل: المراد المؤمنون الذين يعلمون علم القرآن ودلالته على النبوّة، وقيل: المراد الله تعالى، فهو الذي عنده علم الكتاب، ويضعف هذا، لأنه عطف صفة على موصوف [٤] وذهب إلى مدنيتها الفخر الرازي[٥] .

وقد حكم كثير من العلماء بمكية السورة :

قال السيوطي : والذى يجمع به بين الاختلاف أنها مكية إلا آيات [٦] وبه قال الألوسي [٧] ، وابن عاشور [٨] .

قال صاحب الظلال: السورة مكية بخلاف ما ورد في المصحف الأميري وبعض المصاحف– اعتماداً على بعض الروايات – أنها مدنية .. ومكية السورة شديدة الوضوح: سواء في طبيعة موضوعها، أو طريقة أدائها، أو في جوها العام. الذي لا يخطئ تنسمه من يعيش فترة في ظلال

---

(١)
(٢) التسهيل ٣٩٩/١
(٣) سورة الرعد، آية ٤٣
(٤) التسهيل،٤٠٧/١
(٥) مفاتيح الغيب، ٥٢٤/١٨
(٦) الإتقان، ٣١/١، بصائر ذوى التمييز ٢٦٢/١،مصاعد النظر ١٨٩/٢
(٧) روح المعانى٨٠/٧
(٨) التحرير والتنوير ١٣/٧

القرآن [١] .

٣ – سورة النحل ، ذهب ابن جزى إلى القول بمكيتها إلا آيات ،حيث قال عند تفسيرها :مكية إلا الآيات الثلاث الأخيرة فمدنية وآياتها [٢] وعند تفسير قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ هاجَرُوا فِي اللَّهِ ﴾ [٣] يعني الذين هاجروا من مكة إلى أرض الحبشة، لأن الهجرة إلى المدينة كانت بعدها، وقيل: نزلت في أبي جندل بن سهيل، وخبره مذكور في السير في قصة الحديبية، وهذا بعيد لأن السورة نزلت قبل [٤]، وما ذهب إليه ابن جزى هو قول جمهور المفسرين [٥]

٤ – سورة الحج : قيل :مكية، وقيل مدنية، وقيل هي مختلطة بين المكي والمدني ، وهو قول الجمهور لما فيها من الآيات الكثيرة التي نزلت بالمدينة [٦]

٥ – سورة الإنسان : وقد حكم ابن جزى بمدنية السورة قولاً واحداً مع ذكره لها في السور المختلف عليها [٧] ، قال ابن عطية : قال بعض المفسرين هي مكية كلها، وحكى النقاش ،والثعلبي عن مجاهد

---

(١) في ظلال القرآن ٢٠٣٩/٤: دار الشروق – بيروت – القاهرة

(٢) التسهيل ٤٢٢/١

(٣) سورة النحل آية ٤١

(٤) التسهيل ٤٢٧/١

(٥) انظر المحرر الوجيز ٣٧٧/٣،البحر المحيط ٤٧٧/٥،وروح المعاني ٣٨٥/٧، والتحرير والتنوير ٩٣/١٤، لباب التأويل في معاني التنزيل ،الخازن ٦٦/٣، تحقيق: محمد علي شاهين: دار الكتب العلمية – بيروت الأولى، ٦٦/٣، وابن كثير ٥٥٥/٤

(٦) المحرر الوجيز ٤ / ١٠٥ ، القرطبي ١٠ / ٦٥ ، انظر الاتقان ١ / ٣٣ ، وهو قول الضحاك ، وبصائر ذوى التمييز ١ / ٣٢٣ ، ومصاعد النظر ٢ / ٢٩٠ .

(٧) التسهيل ٤٣٦/٢، انظر الاتقان ٣٤/١، وفى مصاعد النظر ١٤٣/٣، مكية ، وقال جابر بن زيد : مدنية ، وقال الأصفهاني : قالت طائفة منهم مجاهد وقتادة مدنية كلها ، وقال ابن يسار ومقاتل ، وحكى عن ابن عباس أنها مكية، وانظر تفسير ٣٧٦/٤

،وقتادة أنها مدنية، وقال الحسن وعكرمة: منها آية مكية وهي قوله تعالى: ﴿وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً﴾ (١) ، والباقي مدني (٢) ، وقد ذكر القرطبي أن بعضها مكى، وبعضها مدنى، فقال: سورة الإنسان وهي إحدى وثلاثون آية مكية في قول ابن عباس ومقاتل والكلبي. وقال الجمهور: مدنية. وقيل: فيها مكي، من قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾ (٣) إلى آخر السورة، وما تقدمه مدني (٤) ، وسبقه إلى ذلك ابن عطية (٥)، وإليه ذهب أبو حيان (٦)، وابن كثير (٧) ، والألوسي (٨)

٦ – سورة المطففين قال ابن جزى عند تفسير للسورة الكريمة: مكية، نزلت بعد العنكبوت وهي آخر سورة نزلت بمكة، ثم ذكر سبب نزول السورة وأنها نزلت في رجل من أهل المدينة مما يخالف القول بمكيتها حيث قال : وسبب نزول السورة أنه كان بالمدينة رجل يقال له أبو جهينة له مكيالان يأخذ بالأوفى ويعطى بالأنقص، فالسورة على هذا مدنية وقيل مكية لذكر أساطير الأولين وقيل: نزل بعضها بمكة. ونزل أمر التطفيف بالمدينة إذ كانوا أشد الناس فساداً في هذا المعنى فأصلحهم الله بهذه السورة (٩) .

---

(١) سورة الإنسان ،آية ٢٤

(٢) المحرر الوجيز ٤٠٨/٥

(٣) سورة الإنسان ، آية ٢٣

(٤) تفسير القرطبى،١١٨/١٩

(٥) المحرر الوجيز،٤٠٨/٥

(٦) البحر المحيط ،٣٥٥/١٠

(٧) تفسير ابن كثير، ٢٩٢/٨

(٨) روح المعانى،١٥٥/١٥

(٩) التسهيل ٤٦٠/٢، انظر الإتقان ٣٤/١، وفى مصاعد النظر ١٦٧/٣، مكية فيما قال جابر بن زيد ، وقال عكرمة : عن ابن عباس، مدنية ، وهو الظاهر،

وذكر الإمام القرطبي القول بمدنيتها ، وقولاً يستثنى آخرها، فقال: سورة المطففين مكية في قول ابن مسعود والضحاك ومقاتل. ومدنية في قول الحسن وعكرمة، قال مقاتل: وهي أول سورة نزلت بالمدينة. وقال ابن عباس وقتادة: مدنية إلا ثمان آيات من قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا ﴾ (١) إلى آخرها، مكي. وقال الكلبي وجابر بن زيد: نزلت بين مكة والمدينة (٢) ، ومال إلى القول بمكيتها الطاهر ابن عاشور ، واستحسن القول بانها نزلت بين مكة والمدينة، فقال : وقد حصل من اختلافهم أنها: إما آخر ما أنزل بمكة، وإما أول ما أنزل بالمدينة، والقول بأنها نزلت بين مكة والمدينة قول حسن.....وعلل هذا الاختبار بقوله: وما أنسب هذا المقصد بأن تكون نزلت بين مكة والمدينة لتطهير المدينة من فساد المعاملات التجارية قبل أن يدخل إليها النبيﷺ لئلا يشهد فيها منكراً عاماً فإن الكيل والوزن لا يخلو وقت عن التعامل بهما في الأسواق وفي المبادلات (٣) .

٧ – سورة القدر، نص ابن جزى على مكيتها (٤) ، وذكر ابن عطية اختلاف الناس فيها فقال: اختلف الناس في موضع نزول هذه السورة، فقال قتادة: هي مكية، وقال ابن عباس وغيره: هي مدنية (٥) ، وإلى هذا ذهب الجمهور (٦)

---

(١) سورة المطففين آية ٢٩

(٢) القرطبي ،٢٥٠/١٩

(٣) التحرير والتنوير ١٨٧/٣

(٤) التسهيل،٤٩٩/٢

(٥) التحرير والتنوير،٥٠٤/٥

(٦) وفيها قولان: قال السيوطي : والأكثر أنها مكية ، الإتقان ٣٦/١، ال ابن عباس ومجاهد، وعلى بن أبي طلحة – قال الأصفهاني: والضحاك ومقاتل –: مدنية. وقال قتادة، وجابر بن زيد، وعكرمة، والحسن: مكية. وقال النسفي في تفسيره: وقال الواقدي: هي أول سورة نزلت بالمدينة. وقال الأصفهاني: والأكثر: أنها مكية. وكذا قال أبو حيان: في قول الأكثر. مصاعد النظر ٢١٦/٣، البحر المحيط ٤٩٦/٨، وانظر تفسير النسفي ٦٦٥/٣

٨ – ولم يكن "البينة" قال ابن جزى : مدنية [١] ، ونسب ابن عطية القول بمكيتها إلى جمهور المفسرين ، ورجحه ، فقال: وهي مكية في قول جمهور المفسرين، وقال ابن الزبير وعطاء بن يسار إنها مدنية والأول أشهر [٢] وعليه جمهور المفسرين [٣] .

٩ – إذا زلزلت، ذكر ابن جزى أن السورة مدنية قولاً واحداً [٤] ، وقال ابن الجوزي : فيها قولان: أحدهما: أنها مدنيّة، قاله ابن عباس، وقتادة، ومقاتل، والجمهور . والثاني: مكّيّة، قاله ابن مسعود، وعطاء وجابر [٥] ، وإلى هذا ذهب القرطبي [٦] ، قال صاحب الظلال: هذه السورة مكية في بعض الروايات ، ومدنية في بعض الروايات ، ونحن نرجح الروايات التي تقول بأنها مكية ، وأسلوبها التعبيري، وموضوعها يؤيدان هذا [٧] .

١٠ – وأرأيت "الماعون" فيها قولان :قال ابن جزى: سورة الماعون مكية ثلاث الآيات الأول، مدنية الباقي [٨] قال ابن الجوزي : ويقال لها:

---

(١) التسهيل ٥٠٢/٢

(٢) التحرير والتنوير ٥٠٧/٥

(٣) قال السيوطي :والأشهر أنها مكية ٣٦/١ ، وفى زاد المسير ، فيها قولان : أحدهما : مدنية ، قاله الجمهور والثاني مكية قاله أبو صالح عن ابن عباس ، واختاره يحي بن سلام ، ١٩٥/٣،وقال الأصفهاني : وقيل مكية ، وهو الذى قدمه الزمخشري واقتصر عليه البغوي ، وأبو حيان ، انظر الكشاف ٢٧٤/٤،والبحر المحيط ٤٩٨/٨،ومصاعد النظر ٢١٩/٣، الكشاف ٧١٨/٤

(٤) التسهيل ٥٠٤/٤،

(٥) زاد المسير لابن الجوزي ٤٧٧/٤

(٦) الجامع لأحكام القرآن ١٤٦/٢٠

(٧) في ظلال القرآن ٣٩٥٤/٦، وفى مصاعد النظر قال : والجمهور على أنها مدنية ، مصاعد النظر ٢٣٠/٣

(٨) التسهيل ٥١٦/٢

سورة أرأيت وفيها قولان: أحدهما: مكّيّة، قاله الجمهور. والثاني: مدنية، روي عن ابن عباس، وقتادة.، وقال هبة الله المفسّر: نزل نصفها بمكّة في العاص بن وائل، ونصفها بالمدينة في عبد الله بن أبيّ المنافق (١) ، وبه قال القرطبي (٢) .

١١ – والإخلاص قال ابن جزى : وهى مكية ، ثم ذكر سببين مختلفين لنزول السورة الكريمة فقال : سبب نزول هذه السورة أن اليهود دخلوا على رسول الله ﷺ فقالوا يا محمد صف لنا ربك وانسبه فإنه وصف نفسه في التوراة ونسبها، فارتعد رسول الله ﷺ حتى خرّ مغشياً عليه ونزل عليه جبريل بهذه السورة، وقيل: إن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ أنسب لنا ربك فنزلت. وعلى الرواية الأولى تكون السورة مدنية، لأن سؤال اليهود بالمدينة وعلى الرواية الثانية تكون مكية (٣) ، قال ابن الجوزي : وفيها قولان: أحدهما: أنها مكية، قاله ابن مسعود، والحسن، وعطاء، وعكرمة، وجابر. والثاني: مدنية، روي عن ابن عباس، وقتادة، والضحاك (٤) ، وبه قال جمهور المفسرين (٥) .

١٢ – المعوّذتين ، حكم ابن جزى بمكية السورتين قولاً واحداً (٦) قال الإمام القرطبي : وهي مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر. ومدنية في أحد قولي ابن عباس وقتادة (٧) ، قال البقاعي : قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد: مدنية. وقال قتادة والحسن، وعطاء، وعكرمة، وجابر بن زيد : مكية. قال: والأول أصح، ويدل عليه، أن رسول

---

(١) زاد المسير ٤٩٥/٤

(٢) وبه قال القرطبي، انظر الجامع لأحكام القرآن ٢١٠/٢٠

(٣) التسهيل ٥٢٣/٢

(٤) زاد المسير ٥٠٥/٤

(٥) وانظر الاتقان ٣٧/١، وجمال القراء ١٩/١، ومصاعد النظر ٢٦٤/٩

(٦) التسهيل ،٥٢٩/٢

(٧) تفسير القرطبي، ٢٥١/٢٠

الله ﷺ سحر وهو مع عائشة رضى الله عنها، فنزلت عليه المعوذتان [١] .

وقد ذكر الإمام السيوطي السور المختلف في مكيتها ومدنيتها أنها إحدى وثلاثون سورة [٢] .

وإذا تأملت حقيقة هذا الخلاف وجدته في أكثر السور لفظياً، لأن من يقول السورة مكية – مثلاً – فإما أن يكون لكونه عَلِمَ أن بعض آيات منها نزلت بمكة فيحكم على السورة أنها مكية ، وكذا من يقول إنها مدنية ، أو يرى أن المكي ما نزل بمكة قبل الهجرة أو بعدها، والمخالف لا يرى المكي إلا ما نزل قبل الهجرة ، فيرجع الخلاف في الغالب إلى اللفظي .

الآيات المكية في السور المدنية ، والآيات المدنية في السور المكية:

قال ابن جزى : قد وقعت آيات مدنية في سور مكية، كما وقعت آيات مكية في سور مدنية، وذلك قليل، مختلف في أكثره [٣] . ذكر ابن جزى رحمه الله أن هناك آيات مكية في السور المدنية والعكس .

ومن أمثلة هذه الآيات: سورة الأنعام فهي سورة مكية وقد استثنى العلماء منها آيات، نزلت في المدينة، قال ابن جزى :عند تفسير قوله تعالى "وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ [٤] "قال :"أَوْ قالَ أُوحِيَ إِلَيَّ" هو مسيلمة وغيره من الكذابين الذين ادّعوا النبوّة [٥] وإليه ذهب جمهور المفسرين [٦] .

---

(١) مصاعد النظر ،٢٩٨/٣

(٢) الاتقان ٤٦/١

(٣) التسهيل ١٤/١

(٤) الأنعام ٩٣

(٥) التسهيل ٢٦٩/١

(٦) البحر المحيط ،٥٨٤/٤، قال الإمام القرطبي : وهي مكية في قول الأكثرين قال ابن عباس وقتادة: هي مكية كلها إلا آيتين منها نزلنا بالمدينة، قوله تعالى:" وما قدروا الله حق قدره"] الانعام: ٩١] نزلت في مالك بن الصيف وكعب ابن الأشرف اليهوديين، تفسير القرطبي ٣٨٢/٦،وابن كثير ،٢٧٠/٣

ومن الأمثلة أيضاً سورة النحل فهي مكية وقد استثنى العلماء منها آيات، قال ابن جزى: " وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ" (١) وقال الجمهور : إن الآية نزلت في شأن حمزة بن عبد المطلب لما بقر المشركون بطنه يوم أحد، قال النبي ﷺ: والله لئن أظفرني الله بهم لأمثلن بسبعين منهم، فنزلت الآية فكفر النبي ﷺ عن يمينه وترك ما أراد من المثلة ولا خلاف أن المثلة حرام، وقد وردت الأحاديث بذلك ويقتضي ذلك أنها مدنية (٢) ، ويحتمل أن تكون الآية عامة، ويكون ذكرهم لحمزة على وجه المثال، وتكون على هذا مكية كسائر السورة (٣)

وأيضاً عند تفسير قوله تعالى من سورة المطففين" وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ، الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ، وَإِذا كالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ، أَلا يَظُنُّ أُولئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ، لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ، يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعالَمِينَ" (٤) ، قال: مكية ، وسبب نزول السورة أنه كان بالمدينة رجل يقال له أبو جهينة له مكيالان يأخذ بالأوفى ويعطى بالأنقص، فالسورة

---

(١) النحل ١٢٦

(٢) أخرج الواحدي ع عن ابن عباس قال: لما انصرف المشركون عن قتلى أحد انصرف رسول الله ﷺ – فرأى منظرا ساءه ، ورأى حمزة قد شق بطنه واصطلم أنفه وجدعت أذناه، فقال: "لولا أن يحزن النساء أو يكون سنة بعدي لتركته حتى يبعثه الله تعالى من بطون السباع والطير، لأقتلن مكانه سبعين رجلا منهم"، ثم دعا ببردة فغطى بها وجهه، فخرجت رجلاه، فجعل على رجليه شيئا من الإذخر، ثم قدمه وكبر عليه عشرا، ثم جعل يجاء بالرجل فيوضع وحمزة مكانه حتى صلى عليه سبعين صلاة، وكان القتلى سبعين فلما دفنوا وفرغ منهم نزلت هذه الآية: {ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة} إلى قوله: {واصبر وما صبرك إلا بالله} فصبر ولم يمثل بأحد. أسباب النزول ٢٨٣

(٣) التسهيل ٤٣٩/١

(٤) المطففين ١-٦

على هذا مدنية (١) وقيل مكية لذكر أساطير الأولين وقيل: نزل بعضها بمكة. ونزل أمر التطفيف بالمدينة إذ كانوا أشد الناس فسادا في هذا المعنى فأصلحهم الله بهذه السورة (٢) .

(١) قال القرطبي : سورة المطففين مكية في قول ابن مسعود والضحاك ومقاتل. ومدنية في قول الحسن وعكرمة. وهي ست وثلاثون آية قال مقاتل: وهي أول سورة نزلت بالمدينة. وقال ابن عباس وقتادة: مدنية إلا ثمان آيات من قوله: إن الذين أجرموا إلى آخرها، مكي. وقال الكلبي وجابر بن زيد: نزلت بين مكة والمدينة. تفسير القرطبي ٢٥٠/١٩وقال ابن الجوزي وسورة المطففين مكية وقد استثنى العلماء ست آيات من أولها قال ابن عباس: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة كانوا من أخبث الناس كيلاً، فأنزل الله تعالى: وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ فأحسنوا الكيل بعد ذلك. وقال السّدّيّ: قدم رسول الله ﷺ المدينة، وبها رجل يقال له: أبو جهينة، ومعه صاعان، يكيل بأحدهما، ويكتال بالآخر، زاد المسير ٤١٣/٤

(٢) التسهيل ٤٦٠/٢

المبحث الثامن
الناسخ والمنسوخ

معرفة هذا الباب أكيدة ، وفائدته عظيمة، لا يستغنى عن معرفته العلماء ، ولا ينكره إلا الجهلاء، لما يترتب عليه من النوازل في الأحكام ، ومعرفة الحلال من الحرام عن أبي عبد الرحمن السّلمي، أنّ عليّاً بن أبي طالبﷺ مرّ بقاصّ يقص فقال: هل علمت الناسخ والمنسوخ؟ قال: لا، قال: هلكت وأهلكت (١)

قال ابن جزى رحمه الله : النسخ في اللغة: هو الإزالة والنقل. ومعناه في الشريعة: رفع الحكم الشرعي بعد ما نزل، ووقع في القرآن على ثلاثة أوجه:

الأوّل : نسخ اللفظ والمعنى كقوله: (لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم) (٢)

الثاني : نسخ اللفظ دون المعنى كقوله: (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالًا من الله والله عزيز حكيم) .

الثالث : نسخ المعنى دون اللفظ وهو كثير وقع منه في القرآن على ما عدّ بعض العلماء مائتا موضع وثنتا عشرة مواضع منسوخة، إلّا أنهم عدوا التخصيص والتقييد نسخا، والاستثناء نسخا، وبين هذه الأشياء

---

(١) الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز وما فيه من الفرائض والسنن، لأبى عُبيد القاسم بن سلاّم ،صـ٤، تحقيق: محمد بن صالح المديفر، مكتبه الرشد، الرياض، الثانية، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م

(٢) أخرجه البخاري ،كتاب الحدود، باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت،(٦٤٤٢)، الحجه للقراء السبعة ، أبو على الفارسي ١٨٠/٢،تحقيق: بدر الدين قهوجي – بشير جويجابي، دققه: عبد العزيز رباح – أحمد يوسف الدقاقط: دار المأمون للتراث – دمشق / بيروت،: الثانية، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣م

وبين النسخ: فروق معروفة، وسنتكلم على ذلك في مواضعه (١)

النسخ لغة واصطلاحاً :

عرّف ابن جزى النسخ في لغة العرب بأنه يأتي على معنيين:

الأول : النقل : كنقل كتاب من آخر ، ومنه قوله تعالى ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٢) .

الثاني: إزالة الشيء ، وهو على قسمين ،الأول :إبطال الشيء ، وزواله ، وإقامة آخر مقامه، ومنه نسخت الشمس الظل ،إذا أذهبته وحلّت محله، الثاني : إزالة الشيء دون أن يقوم آخر مقامه ،كقولهم نسخت الريح الأثر ، ومنه قوله تعالى﴿ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ﴾ (٣) .

وقد ذكر العلماء بأن النسخ يأتي في كلام العرب على ثلاثة أوجه :

الأول : أن يكون مأخوذاً من قول العرب: نسخت الكتاب، إذا نقلت ما فيه الى كتاب آخر، فهذا لم يغير المنسوخ منه إنما صار نظيراً له، أى نسخة ثانية منه. وهذا النسخ لا يدخل في النسخ الذى هو موضوع بحثنا.

الثاني : أن يكون مأخوذاً من قول العرب: نسخت الشمس الظل، اذا أزالته وحلت محله، وهذا المعنى هو الذى يدخل في موضوع ناسخ القرآن ومنسوخه.

---

(١) التسهيل ٢١/١

(٢) سورة الجاثية آية ٢٩

(٣) سورة الحج ،آية ٥٢

الثالث: أن يكون ماخوذاً من قول العرب: نسخت الريح الآثار، إذا أزالتها فلم يبق منها عوض ولا حلت الريح محل الاثار (١) .

قال ابن فارس: والنسخ: أن تزيل أمراَ كان من قبل يعمل به ثم تنسخه بحادث غيره، كالآية تنزل بأمر ثم تنسخ بأخرى، يقال: انتسخت الشمس الظل، والشيب الشباب، وتناسخ الورثة: أن يموت ورثة بعد ورثةٍ وأصل الميراث قائم لم يقسم، وكذلك تناسخ الأزمنة والقرون، قال أبو حاتم: النسخ أن تحول ما في الخلية من العسل والنحل في أخري، ومنه نسخ الكتاب (٢) . هذا هو معنى السنخ في اللغة.

النسخ في الاصطلاح : عرّف ابن جزى النسخ في الشرع بقوله: رفع الحكم الشرعي بعد ما نزل، فتعريف ابن جزى للنسخ يقوم على أساس رفع الشارع الحكم المتعلق بأفعال المكلفين بعد ثبوته.

ويزيد الأمر وضوحاً عند تفسيره لقوله تعالى ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٣) فيقول: ما نَنْسَخْ نزل حكمه ولفظه أو أحدهما، وقرئ بضم النون (٤) ،أي

---

(١) انظر مقاييس اللغة، ٤٢٤/٥، مادة نسخ، المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، ٨٠١/١، مادة نسخ، أساس البلاغة، لأبى القاسم، الزمخشري جار الله،٢٦٦/٢، مادة نسخ ،ط/ دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨م، لسان العرب، جمال الدين ابن منظور،٦١/٣، مادة نسخ

(٢) مجمل اللغة لابن فارس،،جـ١،صـ٨٦٧، باب النون والشين وما يثلثهما.

(٣) البقرة آية ١٠٦

(٤) قَرَأَ ابْن عَامر {مَا ننسخ من آيَة} بِضَم النُّون وَكسر السِّين بِمَعْنى مَا ننسخك يَا مُحَمَّد ثمَّ حذف الْمَفْعُول من النَّسخ وَمَعْنَاهُ مَا آمُرك بنسخها أَي بِتَرْكِهَا تَقول نسخت الْكتاب وأنسخت غَيْرِي أَي حَملته على النَّسخ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ مَا ننسخ بِفَتْح النُّون وَالسِّين من نسخ إِذا غير الحكم وَبدل يُقَول نسخ الله الْكتاب ينسخه نسخا وَهُوَ أَن يرفع حكم آيَة بِحكم آخري قَالَ ابْن عَبَّاس {مَا ننسخ من آيَة} أَي مَا نبدل من حكم آيَة بِحكم آخر، قَرَأَ ابْن كثير وَأَبُو عَمْرو / أَو ننسأها / أَي نؤخر حكمهَا وحجتهما أَن ذَلِك من التَّأْخِير فتأويله مَا ننسخ من آيَة =

نأمر بنسخه ،أَوْ نُنْسِها من النسيان، وهو ضدّ الذكر: أي ينساها النبي ﷺ بإذن الله كقوله ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسى إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ﴾ (١) أو بمعنى الترك: أي نتركها غير منزلة: أي غير منسوخة، وقرئ بالهمز (٢) بمعنى التأخير: أن نؤخر إنزالها أو نسخها بِخَيْرٍ في خفة العمل، أو في الثواب قَدِيرٌ استدلال على جواز النسخ لأنه من المقدورات، خلافا لليهود لعنهم الله فإنهم أحالوه على الله. وهو جائز عقلا، وواقع شرعاً فكما نسخت شريعتهم ما قبلها، نسخها ما بعدها (٣)

وقد ذكر العلماء للنسخ عدة تعاريف منها ما ذكرة الغزالي في المستصفى بقوله: الخطاب الدال على ارتفاع الحكم الثابت بالخطاب المتقدم على وجه لولاه لكان ثابتا به مع تراخيه عنه (٤)

وعرّفه الفخر الرازي بقوله: طريق شرعي يدل على أن مثل الحكم الذي كان ثابتاً بطريق شرعي لا يوجد بعد ذلك مع تراخيه عنه على وجه لولاه لكان ثابتاً (٥) ويرى ابن حزم أن النسخ من أنواع البيان ولذا عرّفه

=فنبدل حكمهَا أَو نؤخر تَبْدِيل حكمهَا فَلَا نبطله نأت بِخَير مِنْهَا وَيكون الْمَعْنى مَا نرفع من آيَة أَو نؤخرها فَلَا نرفعه، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ {أَو ننسها} بِضَم النُّون وحجتهم فِي ذَلِك قِرَاءَة أبي وَسعد بن أبي وَقاص وَقَرَأَ أبي بن كَعْب {أَو ننسها} مَعْنَاهُ ننسك نَحن يَا مُحَمَّد، حجة القراءات، ابن زنجلة، صـ٩٩،تحقيق الكتاب ومعلق حواشيه: سعيد الأفغاني : دار الرسالة

(١) الأعلى ٦-٧

(٢) اختلفوا في ضمّ النون الأولى وترك الهمزة ،وفتح النون مع الهمز في قوله: ننسأها فقرأ ابن كثير وأبو عمرو ننسأها: بفتح النون الأولى مع الهمز، وقرأ الباقون: نُنْسِها بضم النون الأولى، وترك الهمز، قال أبو علي: أما قراءة ابن كثير وأبي عمرو: ننسأها بفتح النون وهمز لام الفعل. ففسّر على التأخير، أي: نؤخرها. الحجه للقراء السبعة ١٨٦/٢

(٣) التسهيل ٩٣/١

(٤) المستصفى، لأبى الغزالي، ٨٦/١،تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، ط/ دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤١٣هـ –

(٥) المحصول، فخر الدين الرازي، ٢٨٥/٣ ،تحقيق: الدكتور طه جابر فياض العلواني، مؤسسة الرسالة، الثالثة، ١٤١٨هـ ١٩٩٧ م

بقوله: أنه بيان انتهاء زمان الأمر الأول فيما لا يتكرر وأما ما علق بوقت ما فإذا خرج ذلك الوقت أو أدى ذلك الفعل سقط الأمر به فليس هذا نسخاً، قال ابن حزم: والنسخ على ما فسرناه قبل نوع من أنواع تأخير البيان (١) .

ما يدخله النسخ:

يرى ابن جزى أن النسخ متعلق بالأحكام ، ولا يدخل الأخبار لاستحالة الكذب على الله تعالى، فقال: وأما النسخ فهو يتعلق بالأحكام لأنها محل النسخ إذ لا تنسخ الأخبار (٢)

وما ذهب إليه ابن جزى هو قول جمهور العلماء من أن النسخ مختص بالأوامر والنواهي .

وقد نص الإمام الطبري على منع النسخ في الأخبار، فقال عند تفسير قوله تعالى ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ﴾ (٣) : يعني جل ثناؤه بقوله:﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ﴾: ما ننقل من حكم آية، إلى غيره فنبدله ونغيره، وذلك أن يحول الحلال حراماً، والحرام حلالاً، والمباح محظوراً، والمحظور مباحاً، ولا يكون ذلك إلا في الأمر والنهي، والحظر والإطلاق، والمنع والإباحة، فأما الأخبار، فلا يكون فيها ناسخ ولا منسوخ (٤) .

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام، لابن حزم الظاهري٥٩/٤،تحقيق: الشيخ أحمد محمد شاكر، ط/ دار الآفاق الجديدة، بيروت، وعلى هذا التعريف كثير من الأحناف ، انظر شرح الأسنوي على شرح البدخشي على منهاج الوصول إلى علم الأصول، للبيضاوي ١٦٤/٢ ، وانظر شرح المنار وحواشيه من علم الأصول لابن ملك، والمتن – المنار– للنسفي صـ٧٠٨، وأصول الفقه للسرخسى٥٤/٢

(٢) التسهيل١٧/١

(٣) البقرة ١٠٦

(٤) جامع البيان ٤٧٢/٢

وهذا ما قرره ابن عطية ، وناقش شبه المعترضين فقال : والنسخ لا يجوز في الإخبار، وإنما هو مختص بالأوامر والنواهي، وردّ بعض المعترضين الأمر خبراً بأن قال: أليس معناه: "واجب عليكم أن تفعلوا كذا" ؟ فهذا خبر، والجواب أن يقال: إن في ضمن المعنى إلا أن أنسخه عنكم وأرفعه، فكما تضمن لفظ الأمر ذلك الإخبار كذلك تضمن هذا الاستثناء (١) .

قال الإمام القرطبي : اختلف علماؤنا في الأخبار هل يدخلها النسخ؟، فالجمهور على أن النسخ إنما هو مختص بالأوامر والنواهي، والخبر لا يدخله النسخ لاستحالة الكذب على الله تعالى (٢) .

أنواع النسخ : والمراد أنواع النسخ من حيث رفع الحكم أو التلاوة أو رفعهما معاً و يرى ابن جزى أن النسخ يقع في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه:

الأوّل: نسخ اللفظ والمعنى، وهو المعروف بنسخ الحكم والتلاوة معاً، وذلك بأن يبطل العمل بالحكم الثابت بالنص، إلى جانب حذف النص من القرآن، وعدم إعطائه حكم التلاوة من حيث صحة الصلاة به والتعبد بتلاوته، وبالتالي عدم إثباته في المصحف حين جمع القرآن ،وقد أجمع القائلون بالنسخ عليه (٣)

ومن الأدلة عليه ، ما رواه مسلم عن عائشة رضى الله عنها : كَانَ فِيمَا أُنْزِلَ مِنَ الْقُرْآنِ: عَشْرُ رَضَعَاتٍ مَعْلُومَاتٍ يُحَرِّمْنَ، ثُمَّ نُسِخْنَ، بِخَمْسٍ

---

(١) المحرر الوجيز ١٩١/١

(٢) تفسير القرطبى ٦٥/٢

(٣) الاتقان في علوم القرآن ٢٢/٢، والإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ، لمكي ابن أبى طالب،صـ٥٩–٦٠، ومناهل العرفان للزرقانى ٢٢٤/٢

مَعْلُومَاتٍ، فَتُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، وَهُنَّ فِيمَا يُقْرَأُ مِنَ الْقُرْآنِ " (١)

ومنها ما رواه البخاري قال قتادة: وحدثنا أنس: أنهم قرءوا بهم قرآنا: ألا بلغوا عنا قومنا، بأنا قد لقينا ربنا، فرضي عنا وأرضانا، ثم رفع ذلك بعد (٢)

ومنها ما رواه مسلم ، قَالَ: بَعَثَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ إِلَى قُرَّاءِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ ثَلَاثُمِائَةِ رَجُلٍ قَدْ قَرَءُوا الْقُرْآنَ، فَقَالَ: أَنْتُمْ خِيَارُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَقُرَّاؤُهُمْ، فَاتْلُوهُ، وَلَا يَطُولَنَّ عَلَيْكُمُ الْأَمَدُ فَتَقْسُوَ قُلُوبُكُمْ، كَمَا قَسَتْ قُلُوبُ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَإِنَّا كُنَّا نَقْرَأُ سُورَةً، كُنَّا نُشَبِّهُهَا فِي الطُّولِ وَالشِّدَّةِ بِبَرَاءَةَ، فَأُنْسِيتُهَا، غَيْرَ أَنِّي قَدْ حَفِظْتُ مِنْهَا: لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ، لَابْتَغَى وَادِيًا ثَالِثًا، وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ، وَكُنَّا نَقْرَأُ سُورَةً، كُنَّا نُشَبِّهُهَا بِإِحْدَى الْمُسَبِّحَاتِ، فَأُنْسِيتُهَا، غَيْرَ أَنِّي حَفِظْتُ مِنْهَا: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ، فَتُكْتَبُ شَهَادَةً فِي أَعْنَاقِكُمْ، فَتُسْأَلُونَ عَنْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ " (٣)

ومنها ما روى عن سهل بن حنيف أن رجلاً كانت معه سورة فقام من الليل يقرؤها، فلم يقدر عليها قال: فأصبحوا فأتوا رسول الله ﷺ، فاجتمعوا عنده، فقال بعضهم: يا رسول الله؛ قمت البارحة لأقرأ سورة كذا وكذا فلم أقدر عليها، وقال الآخر: ما جئت يا رسول الله إلا لذلك، وقال

---

(١) صحيح مسلم ،كتاب الرضاع ،باب التحريم بخمس رضعات (١٤٥٢)، (وهن فيما يقرأ) معناه أن النسخ بخمس رضعات تأخر إنزاله جداً حتى إنه ﷺ توفي وبعض الناس يقرأ خمس رضعات ويجعلها قرآنا متلوا لكونه لم يبلغه النسخ لقرب عهده فلما بلغهم النسخ بعد ذلك رجعوا عن ذلك وأجمعوا على أن هذا لا يتلى، هامش صحيح مسلم جـ٢،صـ١٠٧٥

(٢) صحيح البخاري ،كتاب الجهاد ، باب العون والمدد،(٣٠٦٤)، رواه الطبري في تفسيره ، ٤٧٩/٢، وأحمد في مسنده،٤٧٤/٣

(٣) صحيح مسلم ،كتاب الزكاة ،باب لو أن لابن آدم واديين لابتغى ثالثاً(١٠٥٠)

الآخر: وأنا رسول الله. فقال رسول اللهﷺ: «إنها نسخت البارحة (١)

ومما تجدر الإشارة إليه ،أن هذا النوع قد يشتمل على بعض الآيات التي لا تتضمن أحكاماً–كما سبق من حديث أبى موسى الأشعري ، وإنما تشتمل على بعض الأخبار عن الله تعالى لا تدخل في دائرة مفهوم الأصوليين للنسخ ،وهو رفع الحكم ، كما أن الآية قد تشتمل على الإنشاء الذى يقع فيه النسخ، والخبر الذى لا يقع فيه النسخ، وهذا النوع من النسخ لا يقع إلا في حياة النبي ﷺ للاستثناء المذكور في قوله تعالى ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا﴾ فأما بعد وفاته ﷺ فلا يجوز النسخ في هذا النوع ،كما لا ينسخ غيره من الأنواع وذلك لسببين :

الأول : قوله تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (٢)

الثاني : أن الوحى قد انقطع بعد وفاة النبي ﷺ فلا يتصور وقوع النسخ مطلقاً، وهذا ما أجمع عليه المسلمون .

الثاني : نسخ اللفظ دون المعنى، وهو المعروف بنسخ اللفظ مع بقاء الحكم، أي أن الحكم الثابت بالنص يبقى العمل به ثابتاً ومستمراً، وإنما يجرّد النص عما يثبت للقرآن المتلو من أحكام، كالتعبّد بتلاوته وصحة الصلاة به وغير ذلك، ولا يثبت في المصحف. ، واستدل ابن جزى على ذلك بما روى عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يَطُولَ بِالنَّاسِ زَمَانٌ حَتَّى يَقُولَ قَائِلٌ: مَا أَجِدُ الرَّجْمَ فِي كِتَابِ اللَّهِ، فَيَضِلُّوا بِتَرْكِ فَرِيضَةٍ مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ، أَلَا وَإِنَّ الرَّجْمَ حَقٌّ، إِذَا أُحْصِنَ الرَّجُلُ وَقَامَتِ الْبَيِّنَةُ، أَوْ كَانَ حَمْلٌ أَوِ اعْتِرَافٌ، وَقَدْ قَرَأْتُهَا الشَّيْخُ وَالشَّيْخَةُ

(١) ناسخ القرآن ومنسوخه، أبو الفرج ابن الجوزى،صـ٢٨، تحقيق: أبو عبد الله العاملي السّلفي الداني بن منير آل زهوي، بيروت، الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م

(٢) الحجر آية ٩

إِذَا زَنَيَا فَارْجُمُوهُمَا الْبَتَّةَ «رَجَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَرَجَمْنَا بَعْدَهُ» (١) والمراد بالشيخ والشيخة الثّيّب من الرجال والنساء، وهذا الحكم، وهو رجم الثّيّب من الرجال والنساء إذا زنى ثابت ومحكم ومعمول به. علما بأن هذه الآية لم يبق لها وجود بين دفتي المصحف ولا على ألسنة القراء، ولا تجوز بها الصلاة، ولا يتعبّد بتلاوتها.

ومن الأمثلة ما أخرجه ابن الجوزي عن ابن جريج قال: حدّثني ابن أبي حميدة قال: أخبرتني حميدة، قال: أوصت لنا عائشة رضي الله عنها بمتاعها فكان في مصحفها: «إن الله وملائكته يصلّون على النّبي، والذين يصلون الصّفوف الأولى» (٢). وهذا النوع من النسخ يعمل به إذا تلقته الأمة بالقبول .

---

(١) سنن ابن ماجه، كتاب الحدود، باب الرجم،(٢٥٥٣) خرجه مالك في «الموطأ» (٢/ ٢٦٨ – ٤١ – كتاب الحدود. عن يحيى بن سعيد به. وإسناده صحيح كما قال ابن عبد البر في «التمهيد» (٢٣/ ٩٣).وقد صحّ سماع سعيد بن المسيب من عمر رضي الله عنه على الصحيح.

(٢) ناسخ القرآن ومنسوخه، لابن الجوزى٣٢/١، والحديث أخرجه أبو داود في «المصاحف» (٨٥) وأبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص ٣٢٤). من طريق :حجاج به. وإسناده ضعيف؛ ابن أبي حميد؛ هو: عبد الملك بن عبد الرحمن بن خالد بن أسيد، ترجمه البخاري في «التاريخ الكبير» (٥/ ٣٥٥/ ١٦٨٣) وابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٥/ ٤٢١/ ١٣٦٩) وابن حبان في «الثقات» (٧/ ١٠٦) وقالوا: يروي عن أمه عن عائشة. وقال العقيلي في «الضعفاء» (٣/ ٢٧): «حديثه غير محفوظ». وأمه لم أقف لها على ترجمة فيما بين يديّ من مصادر. فالخبر لا يصح. قال الحافظ ابن حجر عنها أنها مقبولة من الخامسة. انظر: تقريب التهذيب ٢٩٥ و ٤٦٧، لكن جملة «إن الله وملائكته يصلون على النبيّ ... » صحّت عن عائشة مرفوعا. أخرجه أحمد (٦/ ٦٧، ٨٩، ١٦٠) وابن ماجة (٩٩٥) وابن خزيمة في «صحيحه» (١٥٥٠) والحاكم (١/ ٢١٤) وابن حبان (٥/ رقم: ٢١٦٣، ٢١٦٤) والبيهقي في «السنن» (١/ ١٠١) و(٣/ ١٠٣) وغيرهم. من طرق؛ عن عروة بن الزبير، عن عائشة مرفوعاً، وصححه الحاكم والذهبي، وكذا الألباني في «الصحيحة» (٢٥٣٢).

الثالث: نسخ المعنى دون اللفظ ،والمراد نسخ الحكم فقط وبقاء التلاوة، أي إنه يبطل العمل بالحكم، الثابت بالنص، مع بقاء النص مما يتلى من القرآن ويتعبّد بتلاوته، ويثبت بين دفتي المصحف، هذا النوع هو الذي وقع الاهتمام به، وألّفت المؤلفات فيه، وانصرف إليه العلماء ومثال هذا النوع: قوله تعالى: (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْواجاً وَصِيَّةً لِأَزْواجِهِمْ مَتاعاً إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْراجٍ) (١)

قال ابن جزى : هذه الآية منسوخة ومعناها: أن الرجل إذا مات كان لزوجته أن تقيم في منزله سنة وينفق عليها من ماله، وذلك وصية لها ثم نسخ إقامتها سنة بالأربعة الأشهر والعشر (٢)

فإن هذه الآية مثبتة في المصحف، وتلاوتها متواترة على أنها قرآن يتعبد بتلاوتها وتصحّ بها الصلاة، مع أن الحكم الثابت بها، وهو وجوب التربّص حولاً كاملاً لمن توفي عنها زوجها، منسوخ بقوله تعالى:(وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْواجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً) (٣)

فقد أوجبت على المتوفى عنها زوجها أن تعتدّ أربعة أشهر وعشرة أيام، وقد ثبت أنها متأخرة بالنزول عن الأولى، فدلّ ذلك على أن حكم الأولى منسوخ، وإن بقيت تلاوتها، قال ابن كثير : قال الأكثرون: هذه الآية منسوخة بالتي قبلها، وهي قوله (يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً) (٤)

---

(١) البقرة آية ٢٤٠

(٢) التسهيل ١٢٨/١

(٣) البقرة ٢٣٤،

(٤) تفسير ابن كثير ٤٩٩/١، وإلى هذا ذهب جمهور المفسرين ، انظر تفسي القرطبي ٢٣٦/٣، زاد المسير ٢١٨/١.تفسير الشوكاني ٢٩٧/١

ومن الأمثلة أيضاً قوله تعالى ﴿إذا ناجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْواكُمْ صَدَقَةً ﴾ (١) قال ابن جزى: قال ابن عباس: سببها أن قوماً من شبان المسلمين كثرت مناجاتهم للنبيﷺ في غير حاجة، لتظهر منزلتهم، وكان النبي صلى ﷺ سمحاً لا يرد أحداً، فنزلت الآية مشددة في أمر المناجاة، وقيل: سببها أن الأغنياء غلبوا الفقراء على مناجاة النبي ﷺ، وهذه الآية منسوخة باتفاق نسخها قوله بعدها﴿أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْواكُمْ صَدَقاتٍ﴾ الآية: فأباح الله لهم المناجاة دون تقديم صدقة، بعد أن كان أوجب تقديم الصدقة قبل مناجاته عليه السلام واختلف هل كان هذا النسخ بعد أن عمل بالآية أم لا؟ فقال قوم: لم يعمل بها أحد وقال قوم: عمل بها عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه روي أنه كان له دينار فصرفه بعشرة دراهم ،وناجاه عشر مرات، تصدق في كل مرة منها بدرهم، وقيل: تصدق في كل مرة بدينار (٢) ، ثم أنزل الله الرخصة لمن كان قادراً على الصدقة، وأما من لم يجد فالرخصة لم تزل ثابتة له بقوله: ﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿وَتابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ التوبة هنا يراد بها عفو الله عنهم في تركهم للصدقة التي أمروا بها، أو تخفيفها بعد وجوبها (٣)

عن عكرِمة والحسن البصري قالا قال في المجادلة: ﴿إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ، فنسختها الآية التي بعدها، فقال: ﴿أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (٤)

---

(١) المجادلة ١٢

(٢) أخرجه الطبري ٢٣/٢٥٠،الدر المنثور ٨/٨٣

(٣) التسهيل ٢/٢٥٥

(٤) جامع البيان ٢٣/٢٥٠

قال الإمام البيضاوي (١) : واختلف في أنه للندب أو للوجوب لكنه منسوخ بقوله : ﴿ أَأَشْفَقْتُمْ ﴾ وهو وإن اتصل به تلاوة لم يتصل به نزولاً (٢) . وإلى هذا ذهب جمهور المفسرين (٣)

الفرق بين النسخ والتخصيص والاستثناء :

كان الصحابة والتابعون وتابعيهم يستعملون النسخ بإزاء المعنى اللغوي الذى هو إزالة شيء بشيء، لا بإزاء مصطلح الأصوليين ، فيطلقون النسخ على تقييد المطلق ، وعلى تخصيص العام ، وعلى بيان المبهم والمجمل ، كما يطلقونه على رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر عنه، فلما جاء الشافعي حرر معنى النسخ وميزه عن تقييد المطلق ، وتخصيص العام واعتبرها من أنواع البيان، ومضى الأصوليون والمؤلفون في الناسخ والمنسوخ على نهج الشافعي ، فعنى معظمهم ببيان الفروق بين كل من النسخ ، والتخصيص ، والتقييد (٤) .

قال ابن جزى : على ما عدّ بعض العلماء مائتا موضع وثنتا عشرة

---

(١) أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد بن علي البيضاوي الشيرازي الفارسي، ناصر الدين، قاض، فقيه، وأصولي شافعي ومفسّر مشهور، طبقات الشافعية الكبرى لابن السبكي ٥٩/٥

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي ١٩٥/٥، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(٣) انظر النكت والعيون٤٩٣/٥، وانظر تفسير النسفي ٤٥٠/٣، تفسير الرازي ٤٩٦/٢٩ تفسير القرطبي ٣٠٣/١٧، التحرير والتنوير ٤٦/٢٨، أخرج الطبري عن قتادة (أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ) : فريضتان واجبتان لا رجعة لأحد فيهما، فنسخت هذه الآية ما كان قبلها من أمر الصدقة في النجوى، تفسير الطبرى،٢٥١/٢٣

(٤) النسخ في القرآن الكريم دراسة تشريعية تاريخية نقدية ،د/ مصطفى زيد،صـ١١٠،ط/دار الوفاء، الثالثة ،١٤٠٨هـ،١٩٧٨م،و انظر الناسخ والمنسوخ بين الإثبات والنفي ،عبد المتعال محمد الجبرى،صـ٧٥،وانظر الآيات المنسوخة في القرآن ،د/عبدالله بن الشيخ محمد الأمين الشنقيطى،صـ١٠،ط/ مكتبة ابن تيمية

مواضع منسوخة، إلّا أنهم عدوا التخصيص والتقييد نسخاً، والاستثناء نسخاً وبين هذه الأشياء وبين النسخ: فروق معروفة، وهذه كلها تأتي في كتاب الله تعالى لإزالة حكم متقدم.

أولاً الفرق بين النسخ والتخصيص :

تعريف التخصيص : التخصيص في اللغة: تفرد بعض الشيء بما لا يشاركه فيه الجملة ، وذلك خلاف العموم (١)

وفى الاصطلاح : للعلماء في تعريفه ألفاظ متقاربة (٢)

فعرفه ابن الحاجب (٣) بقوله : قصر العام على بعض أفراده ، أي بيان أن العام أريد به ابتداءً بعض أفراده. وعرفه بعض الحنفية بقوله: قصر اللفظ مطلقاً على بعض مسماه .

وعرفه البيضاوي بقوله : إخراج بعض ما يتناوله اللفظ (٤) .

وإذ تأملنا هذه التعريفات وجدناها تبين أن التخصيص إخراج بعض من كل، أو من بعض .

فالنسخ شرعاً : إزالة حكم المنسوخ كله ببدل آخر أو بغير بدل في وقت معين فهو لبيان أزمنة العمل بالفرض الأول وانتهاء مدة العمل به وابتداء العمل بالثاني فكان انتهاءه عند الله معلوماً وفي أوهامنا كان

---

(١) انظر لسان العرب ، ٢٤/٧، ماد خصص، المفردات للراغب ،١/، ٢٨٤مادة خص

(٢) الكوكب المنير ،٣٦٧/٣، أصول السرخسي،١٢٨/١، دار المعرفة – بيروت

(٣) الشيخ الإمام العلامة المقرئ الأصولي الفقيه النحوي جمال الأئمة والملة والدين أبو عمرو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس الكردي الدويني الأصل الإسنائي المولد المالكي، صاحب التصانيف، ولد سنة ٥٧٠،توفى سنة ٦٤٦،سير أعلام النبلا، ٢٦٤/٢٣

(٤) نهاية السول شرح منهاج الوصول، عبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي ١٩١/١،دار الكتب العلمية –بيروت–لبنان، الأولى ١٤٢٠هـ– ١٩٩٩م، والمعتمد في أصول الفقه، محمد بن علي الطيب أبو الحسين البَصْري المعتزلي ،٢٥٠/١، تحقيق: خليل الميس، دار الكتب العلمية – بيروت، الأولى، ١٤٠٣هـ، والبناني على جمع الجوامع ،٢/٢

استمراره ودوامه وبالناسخ علمنا انتهاؤه فكان في حقنا تبديلاً وتغييراً

والتخصيص : هو إزالة الحكم كأن يأتي لفظ ظاهره العموم لما وقع تحته ثم يأتي نص آخر أو دليل أو قرينة أو إجماع يدل على أن ذلك اللفظ الذي هو ظاهره العموم المراد به الخصوص فهو بيان اللفظ العام بأمر خاص وذلك مثل قوله تعالى (وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ) (١)

قال ابن جزى : (وَلَا تَنْكِحُوا) أي لا تتزوجوا، والنكاح مشترك بين الوطء والعقد، المشركات عباد الأوثان من العرب، فلا تتناول اليهود ولا النصارى المباح نكاحهن في المائدة، فلا تعارض بين الموضعين، ولا نسخ، خلافاً لمن قال: آية المائدة نسخت هذه، ولمن قال: هذه نسخت آية المائدة فمنع نكاح الكتابيات (٢) ، فقوله تعالى (وَلَا تَنْكِحُوا) يعم هذا اللفظ بتحريم نكاح كل مشركة من كتابية وغيرها ، ثم خص ذلك بقوله في المائدة (وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ) (٣) ، فأحلّ نكاح الكتابية ،فخرج الكتابيات من عموم آية البقرة ، وبقيت الآية مخصوصة في تحريم نكاح كل مشركةٍ غير كتابيةٍ ، فبيَّن بالنخصيص الأعيان المحرمات ، ولا يكون هذا ناسخاً ، لأن حكم النسخ إزالة الحكم الأول بكليته ، ولأن النسخ إنما هو لبيان الزمان الذى انتهى إليه العمل بالفرض المنسوخ وليس ذلك في هذا ، وقد روى عن ابن عباس أنه قال : آية المائدة ناسخة لآية البقرة (٤).

وهذا إنما يجوز على أن تكون آية البقرة يُراد بها الكتابيات خاصة حُرِّمن إلى وقت ، ثم نُسخت بآية المائدة في وقت آخر ، فبيّن الأزمان

---

(١) البقرة ٢٢١

(٢) التسهيل ١/١٢٠

(٣) المائدة آية ٥

(٤) انظر تفسير البغوي ١/٢٥٥

بالنسخ ، وذهب الحكم الأول بكليته ، والاستثناء والتخصيص يُزيلان بعض الحكم الأول ، والنسخ يُزيل الحكم كله ، ويكون تحريم نكاح المشركات من غير أهل الكتاب بالسّنّة ، فكونٍ ليكون تحريم نكاح المشركات من غير أهل الكتاب بنص القرآن (١) ، وبهذا قال جمهور المفسرين (٢) فتلخص أن التخصيص لبيان الأعيان والنسخ لبيان الأزمان .

وقد ذكر ابن قدامة عدة فروق بين النسخ والتخصيص فقال :فإن قيل فما الفرق بين النسخ والتخصيص؟ قلنا: هما مشتركان من حيث: إن كل واحد يوجب اختصاص بعض متناول اللفظ. مفترقان من حيث: إن التخصيص: بيان أن المخصوص غير مراد باللفظ.

والنسخ يخرج ما أريد باللفظ الدلالة عليه كقوله: "صم أبدًا" يجوز أن ينسخ ما أريد باللفظ في بعض الأزمنة كذلك افترقا في وجوه ستة :

أحدها: أن النسخ يشترط تراخيه، والتخصيص يجوز اقترانه والثاني: أن النسخ يدخل في الأمر بمأمور واحد، بخلاف التخصيص والثالث: أن النسخ لا يكون إلا بخطاب، والتخصيص يجوز بأدلة العقل والقرائن والرابع: أن النسخ لا يدخل في الأخبار، والتخصيص بخلافه، والخامس: أن النسخ لا يبقى معه دلالة اللفظ على ما تحته، والتخصيص لا ينتفي معه ذلك.

---

(١) الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخة ومعرفة أصوله واختلاف الناس فيه ، مكى ابن أبى طالب صـ٨٩

(٢) تفسير ابن كثير ٤٢/٣،والقرطبى ٧٩/٦

والسادس: أن النسخ في المقطوع به لا يجوز إلا بمثله، والتخصيص فيه جائز بالقياس وخبر الواحد وسائر الأدلة (١)

ثانياً: الفرق بين النسخ والاستثناء:

قال ابن قدامة :الاستثناء: قول ذو صيغة متصل يدل على أن المذكور معه غير مراد بالقول الأول، وصيغته: "إلا" و"غير" و"سوى" و"عدا" و"ليس" و" لا يكون" و"حاشا" و"خلا". وأمُّ الباب "إلا" (٢)

وعرّفه الآمدي بقوله: والمختار في ذلك أن يقال: الاستثناء عبارة عن لفظ متصل بجملة لا يستقل بنفسه دال بحرف "إلا" أو أخواتها على أن مدلوله غير مراد مما اتصل به، ليس بشرط ولا صفة ولا غاية (٣)

فالاستثناء :هو تخصيص بعض الشيء من جملته ،فالاستثناء يكون بحرف متوسط ك "إلا" ونحوها كما أن فيه إخراجاً لبعض حكم المستثنى منه

والاستثناء هو ما كان بحرف الاستثناء الدال عليه خلافاً للنسخ

---

(١) روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، ابن قدامة،٢٢٧/١، مؤسسة الريّان، الثانية ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م

(٢) روضة الناظر وجنة المناظر،٨٢/٢

(٣) الإحكام في أصول الأحكام:٢٨٨/٢،.،فقولنا: (لفظ) احتراز عن الدلالات العقلية والحسية الموجبة للتخصيص.، وقولنا: (متصل بجملة) احتراز عن الدلائل المنفصلة، وقولنا: (ولا يستقل بنفسه) احتراز عن مثل قولنا: قام القوم وزيد لم يقم، وقولنا: (دال) احتراز عن الصيغ المهملة، وقولنا: (على أن مدلوله غير مراد مما اتصل به) احتراز عن الأسماء المؤكدة والنعتية، كقول القائل: جاءني القوم العلماء كلهم، وقولنا: (بحرف (إلا) أو أخواتها) احتراز عن قولنا: قام القوم دون زيد، وفيه احتراز عن أكثر الإلزامات السابق ذكرها، وقولنا: (ليس بشرط) احتراز عن قول القائل لعبده: من دخل داري فأكرمه إن كان مسلماً، وقولنا: (ليس بصفة) احتراز من قول القائل: جاءني بنو تميم الطوال، وقولنا: (ليس بغاية) احتراز عن قول القائل لعبده: (أكرم بني تميم أبداً إلى أن يدخلوا الدار) وهذا الحد مطرد منعكس لا غبار عليه، الإحكام في أصول الأحكام:٢٨٨/٢

والتخصيص والفرق بينه وبينهما أن النسخ لا يكون إلا منفصلاً عن المنسوخ والتخصيص يكون متصلاً ومنفصلاً والاستثناء لا يكون إلا متصلاً بالأول (١)

قال ابن جزى عند تفسير قوله تعالى ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغاوُونَ﴾ (٢) .. ﴿إلا الذين آمنوا﴾ الآية: استثناء من الشعراء يعني بهم شعراء المسلمين كحسان بن ثابت وغيره ممن اتصف بهذه الأوصاف (٣)

قال ابن الجوزي : عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغاوُونَ﴾ فنسخ من ذلك واستثنى، فقال:﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغاوُونَ﴾ قلت: وقد بينا أن الاستثناء ليس بنسخ، ولا يعول على هذا، وإنما هذه الألفاظ من تغيير الرواة وإلا فعن ابن عباس رضي الله عنهما "وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغاوُونَ " ثم استثنى المؤمنين فقال:﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ﴾،فهذا هو اللفظ الصحيح، عن ابن عباس رضي الله عنهما وإن هذا هو استثناء لا نسخ وإنما الرواة تنقل، بما تظنه المعنى فيخطئون (٤) . فهذا لا يُعدُّ نسخاً ، لأن المستثنى مرتبط بالمستثنى منه ، بيّن حرف الاستثناء أنه من بعض الأعيان الذين عمهم اللفظ الأول (٥)

وهذا بخلاف الناسخ فإنه منفصل عن المنسوخ رافع لحكمه ،وهو بغير حرف، ومعنى ذلك أن الآية تخصيص للعموم في كلمة (الشعراء) ولكنه أطلق عليه لفظ النسخ ، إذ لم يعتبر فيه الاصطلاح الخاص.

---

(١) قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن،: مرعي بن يوسف بن أبى بكر بن أحمد الكرمي المقدسي الحنبلي ، ٤١/١، تحقيق: سامي عطا حسن، دار القرآن الكريم – الكويت

(٢) الشعراء٢٢٤٠– ٢٢٧

(٣) التسهيل ٩٧/٢

(٤) ناسخ القرآن ومنسوخه لابن الجوزي ١٧٩/١

(٥) الموافقات ٧٤/٣–٧٥

ثالثاً: الفرق بين النسخ والتقييد (١) :

المقيد لغة: هو ما يقابل المطلق في اللغة فالقيد هو الربط حسيًّا كان أو معنويًّا تقول قيدت الدابة إذا ربطتها بحبل ونحوه، وهذا قيد حسي (٢)

وفى الاصطلاح : قال الإمام الشوكانى : هو ما دل على الماهية بقيد من قيودها، أو ما كان له دلالة على شيء من القيود (٣) .

---

(١) المطلق : قال الشوكانى: "ما دلَّ على الماهية بلا قيد من حيث هي هي، من غير أن تكون له دلالة على شيء من قيوده". إرشاد الفحول صـ١٦٤وقال الآمدي في تعريف المطلق: "هو عبارة عن النكرة في سياق الإثبات. انظر الإحكام في أصول الأحكام،٢/٣ المطلق الدال على الماهية بلا قيد وهو مع المقيد كالعام مع الخاص قال العلماء: متى وجد دليل على تقييد المطلق صير إليه وإلا فلا بل يبقى المطلق على إطلاقه والمقيد على تقييده لأن الله تعالى خاطبنا بلغة العرب، والضابط أن الله إذا حكم في شيء بصفة أو شرط ثم ورد حكم آخر مطلقا نظر فإن لم يكن له أصل يرد إليه إلا ذلك الحكم المقيد وجب تقييده به وإن كان له أصل غيره لم يكن رده إلى أحدهما بأولى من الآخر فالأول مثل اشتراط العدالة في الشهود على الرجعة والفرق والوصية في قوله: { وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ } وقوله: { ا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ } وقد أطلق الشهادة في البيوع وغيرها في قوله: { وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ } { فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ }والعدالة شرط في الجميع ومثل تقييده ميراث الزوجين بقوله: { مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ } وإطلاقه الميراث فيما أطلق فيه وكذلك ما أطلق من المواريث كلها بعد الوصية والدين ، انظر مختصر ابن الحاجب والعضد عليه :١٥٥/٢،الاتقان جـ٣،صـ١٠١

(٢) لسان العرب ٣٧٣/٣ مادة سقود

(٣) إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني ٦/٢ ، تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية ، دمشق ،كفر بطنا الشيخ خليل الميس والدكتور ولي الدين صالح فرفور ، ط/ دار الكتاب العربي ، الأولى ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م

قال ابن قدامة: والمقيد: هو المتناول لمعيّن، أو غير معين موصوف بأمر زائد على الحقيقة (١) . ومن أمثلة ذلك، تقيد الرقبة في قوله تعالى: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ} (٢) فاشترط في الرقبة أن تكون مؤمنة وهذا قيد لها، ولو لم يشترط لكانت الرقبة مطلقة.

ومن الفروق بين النسخ والتقييد :

١ – التعارض بين المطلق والمقيد يمكن التخلص منه بحمل المطلق على المقيد، أما النسخ فلا يمكن إلا بإسقاط أحد الدليلين.

٢ – الأخبار تقبل التقييد ، أما النسخ فلا يكون في الأخبار الحقيقية على القول الراجح .

٣ – التقييد قد يكون في غير الأحكام الشرعية ، أما النسخ فلا يكون إلا في الأحكام الشرعية.

٤ – قد يكون النص المقيد نزل قبل النص المطلق ، بخلاف الناسخ فلابد من تأخره.

٥ – النص المقيد يقرر المعنى الذى في المطلق ،لكنه يقلل من شيوعه بما طرأ عليه من صفة ، أما النسخ فإنه يقرر به حكم مغاير للحكم السابق (٣)

---

(١) روضة الناظر،١٠٢/٢، وعرّفه الآمدى بقوله: وأما المقيد فإنه يطلق باعتبارين. الأول: ما كان من الألفاظ الدالة على مدلول معين، كزيد وعمرو، وهذا الرجل ونحوه. الثاني: ما كان من الألفاظ دالا على وصف مدلوله المطلق بصفة زائدة عليه كقولك: " دينار مصري، ودرهم مكي ".وهذا النوع من المقيد، وإن كان مطلقا في جنسه من حيث هو دينار مصري ودرهم مكي، غير أنه مقيد بالنسبة إلى مطلق الدينار والدرهم، فهو مطلق من وجه، ومقيد من وجه. الإحكام في أصول الأحكام للآمدى:٤/٣

(٢) النساء آية ٩٢

(٣) الآيات المنسوخة في القرآن الكريم صـ ٣٥

المبحـــث التاســـع
الوقـف والابتــداء

وهذا الباب من الأمور التي لم يُسبق إليها ابن جزى فهو يُعتبر أول من تكلم عن الوقف والابتداء في مقدمة تفسيره، وقد أولاه اهتماماً خاصاً وهذا ما سيظهر جلياً من خلال هذا المبحث .

علم الوقف: هو العلم الذى جاء من أجل إزالة الالتباس بين العبارات بعضها ببعض ،ويمنع التداخل بينها بحيث نعرف متى تنتهى تلك العبارة ومتى تبدأ الأخرى، فمهمة هذا العلم هو تنظيم الكلام بين الناس، وكان لخطورة عدم تعلم هذا العلم عند تعلم القرآن الكريم ألا يجيز الشيخ تلميذه إلا بعد أن يتقن علم الوقف والابتداء .

قال ابن الأنباري: من تمام معرفة القرآن معرفة الوقف والابتداء فيه (١).

قال ابن جزى رحمه الله : الباب التاسع في الوقف، وهو أربعة أنوع: وقف تام، وحسن، وكاف، وقبيح، وذلك بالنظر إلى الإعراب والمعنى، فإن كان الكلام مفتقراً إلى ما بعده في إعرابه أو معناه، وما بعده مفتقراً إليه كذلك لم يجز إليه الفصل بين كل معمول وعامله، وبين كل ذي خبر وخبره، وبين كل ذي جواب وجوابه، وبين كل ذي موصول وصلته، وإن كان الكلام الأوّل مستقلا يفهم دون الثاني إلا أن الثاني غير مستقل إلا بما قبله، فالوقف على الأوّل كاف، وذلك في التوابع والفضلات: كالحال، والتمييز، والاستثناء وشبه ذلك، إلا أنّ وصل المستثنى المتصل آكد من المنقطع، ووصل التوابع والحال إذا كانت أسماء مع ذات آكد من وصلها إذا كانت جملة، وإن كان الكلام مستقلاً والثاني كذلك، فإن كانا في قصة

(١) الاتقان ١/ ٨٣

واحدة فالوقف على الأوّل حسن، وإن كانا في قصتين مختلفتين فالوقف تامّ. وقد يختلف الوقف باختلاف الإعراب أو المعنى، وكذلك اختلف الناس في كثير من الوقف. من أقوالهم فيها: راجح، ومرجوح، وباطل، وقد يقف لبيان المراد وإن لم يتم الكلام (١) .

قسم ابن جزى الوقف إلى أربعة أنواع، وقف تام، وحسن، وكاف، وقبيح، وللحديث عن الوقف والابتداء يكون من خلال الآتي

أولاً : أهمية علم الوقف والابتداء :

إن القارئ للقرآن الكريم لا بد أن يقف لانقطاع نفسه، وحيث وقف مختارًا فعليه أن يختار الوقف الذي لا يخل بالمعنى .. ووقفه إما وقف اضطرار أو وقف اختيار.

فوقف الاضطرار لا عتب على القارئ فيه، لكن عليه أن يستأنف ويحسن الابتداء ويتخير حُسن الوقف، فبذلك تظهر المعاني ويتبين إعجاز القرآن

قال السيوطى : وهو فن جليل وبه يعرف كيف أداء القرآن ويترتب على ذلك فوائد كثيرة واستنباطات غزيرة وبه تتبين معاني الآيات ويؤمن الاحتراز عن الوقوع في المشكلات (٢)

قال ابن الجزري : لما لم يمكن القارئ أن يقرأ السورة أو القصة في نفس واحد، ولم يجز التنفس بين كلمتين حالة الوصل، بل ذلك كالتنفس في أثناء الكلمة وجب حينئذ اختيار وقف للتنفس والاستراحة وتعين ارتضاء ابتداء بعد التنفس والاستراحة وتحتم أن لا يكون ذلك مما يخل بالمعنى ولا يخل بالفهم، إذ بذلك يظهر الإعجاز ويحصل القصد (٣) .

---

(١) التسهيل لابن جزى ٢٤/١

(٢) الاتقان ٣٤٧/١

(٣) النشر ٢٢٥/١

ولقد دلت الأدلة على أهمية مراعاة الوقف والابتداء؛ وثبت واشتهر اعتناء السلف بذلك. قال تعالى:﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ (١)

فهذا أمر من الله تعالى بترتيل القرآن، وندب منه سبحانه للعباد إلى ترتيل كلامه المنزل؛ ومراعاة الوقوف داخله في ذلك إن شاء الله تعالى، قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ بينه تبيينًا وقال الحسن: اقرأه قراءة بيّنة. وقال مجاهد: بعضه على إثر بعض على تؤدة وقال أيضًا: (ترسَّل فيه ترسُّلا) (٢) .

قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى: (اقرأه قراءة على تمهل، فإنه يكون عونًا على فهم القرآن، وتدبر (٣)

قال ابن النحاس: من التبيين تفصيل الحروف والوقف على ما تم معناه منها (٤) وقد حكى ابن النحاس وأبو عمرو الداني وغيرهما، إجماع العلماء على أهمية مراعاة الوقف والابتداء (٥) ، واستدلوا على ذلك بقول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: لقد عشنا برهة من دهرنا، وإن أحدنا ليؤتى الإيمان قبل القرآن، وتنزل السورة على محمد ﷺ.، فنتعلم حلالها، وحرامها، وما ينبغي أن يوقف (٦) عنده منها، كما تتعلمون أنتم اليوم القرآن، ولقد رأيت اليوم رجالاً يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان، فيقرأ ما

---

(١) المزمل ٤

(٢) رواه الطبري جامع البيان (١٢/ ١٢٧/١) وابن النحاس القطع (١/ ٧٤) وينظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٦/ ٢٧٧). مصنف عبد الرزاق ٢/ ٤٩٠ ومصنف ابن أبي شيبة١٠/ ٥٢٥، جامع البيان ١٢/ ١٢٧/١، والتمهيد في معرفة التجويد لأبي العلاء الهمذاني: (١٤١) والدر المنثور: ٦/ ٢٧٧

(٣) تفسير ابن كثير ٤/ ٣٦٣

(٤) القطع لابن النحاس ١/ ٧٤

(٥) القطع (١/ ٨٧) والمكتفي في الوقف، أبو عمرو الداني، تحقيق: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، ط/ دار عمار، الأولى ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م، والنشر (١/ ٢٢٥)

(٦) في رواية الطبراني والبيهقي (يقف) مجمع الزوائد (١/ ١٧٠) والسنن الكبرى (٣/ ١٢٠)

بين فاتحته إلى خاتمته ما يدري ما آمره ولا زاجره، ولا ما ينبغي أن يوقف عنده منه، وينثره نثر الدقل (١) ففي قول ابن عمر دليل على أن تعليم ذلك توقيف من رسول الله ﷺوأنه إجماع من الصحابةﷺ ، واشتهر اعتناء السلف رحمهم الله تعالى، بهذا العلم حتى عد ابن الجزري ذلك متواتر عنهم (٢)

وقد حض العلماء على تعلم الوقف والابتداء والعمل به، وبينوا عظيم فضيلته، وذلك مذكور في مقدمات كثير من كتب الوقف والابتداء، وفي كثير من كتب فن التجويد ومضمن في كتب علوم القرآن، فمما قالوه قول ابن الأنباري رحمه الله تعالى: (من تمام معرفة القرآن ومعانيه، وغريبه معرفة الوقف والابتداء فيه، فينبغي للقارئ أن يعرف الوقف التام، والوقف الكافي الذي ليس بتام، والوقف القبيح الذي ليس بتام ولا كاف (٣) .

وقول ابن النحاس: قد صار في معرفة الوقف والاستئناف التفريق بين المعاني، فينبغي لمن قرأ القرآن أن يتفهم ما يقرأه، ويشغل قلبه به ،ويتفقد القطع والاستئناف، ويحرص على أن يُفهِم المستمعين في الصلاة وغيرها، وأن يكون وقفه عند كلام مستغن أو شبيه، وأن يكون ابتداؤه

---

(١) بفتح الدال المهملة بعدها قاف مفتوحة وهو رديء التمر ويابسه وما ليس له اسم خاص وقيل: هو أردأ التمر (غريب الحديث لإبراهيم الحربي (٢/ ٨٨٩) والنهاية لابن الأثير (٢/ ١٧٢).والحديث أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (١/ ٣٥) وفي طبعة عبد السلام علوش برقم (١٠٨) (١/ ١٩٦). السنن الكبرى للبيهقي (٣/ ١٢٠) وينظر: الإتقان للسيوطي (١/ ١١٠) قال الهيثمي بعد أن عزاه للطبراني في الأوسط: (رجاله رجال الصحيح) أ. هـ: مجمع الزوائد (١/ ١٧٠)

(٢) النشر ١/ ٢٢٥

(٣) الإيضاح في الوقف والابتداء ١/ ١٠٨

حسنًا [١] .

وقد حض العلماء على تعلم الوقف والابتداء والعمل به، وبينوا عظيم فضيلته، وذلك مذكور في مقدمات كثير من كتب الوقف والابتداء، وفي كثير من كتب فن التجويد ومضمن في كتب علوم القرآن .

ثانياً: تعريف الوقف [٢] والابتداء

الوقف في اللغة : هو الحبس والكف ووقف الشيء حبسه، قال أوقفت الدابة : أي حبستها [٣] ، قال الجوهري [٤] : أوقَفْتُ عن الأمر الذى كنت فيه أي أَقْلعْتُ ، قال الطرماح [٥] :

قلَّ في شطِ نهْرَوانَ اغتماضِي .:. وَدَعاني هَوَى العيونِ المِراضِ
جامحاً في غَوايَتِي، ثُم أوقفْتُ .:. رِضاً بالتُّقَى، وذو البِرِّ رَاضِي

---

(١) القطع والاستئناف ص ٩٧ .

(٢) الوقف والقطع والسكت عبارات يطلقها المتقدمون غالبا مرادا بها الوقف والمتأخرون فرقوا فقالوا: القطع: عبارة عن قطع القراءة رأسا فهو كالانتهاء فالقارئ به كالمعرض عن القراءة والمنتقل إلى حالة أخرى غيرها وهو الذي يستعاذ بعده للقراءة المستأنفة ولا يكون إلا على رأس آية لأن رؤوس الآي في نفسها مقاطع أخرج سعيد بن منصور في سننه حدثنا أبو الأحوص عن أبي سنان عن ابن أبي الهذيل أنه قال كانوا يكرهون أن يقرؤوا بعض الآية ويدعوا بعضها. إسناده صحيح. وعبد الله بن أبي الهذيل تابعي كبير وقوله: "كانوا " يدل على أن الصحابة كانوا يكرهون ذلك. والوقف عبارة عن قطع الصوت عن الكلمة زمنا يتنفس فيه عادة بنية استئناف القراءة لا بنية الإعراض ويكون في رؤوس الآي وأوساطها ولا يأتي في وسط الكلمة ولا فيما اتصل رسما، والسكت: عبارة عن قطع = الصوت زمنا هو دون زمن الوقف عادة من غير تنفس واختلاف ألفاظ الأئمة في التأدية عنه مما يدل على طوله وقصره ،انظر النشر ص ٢٤٠، انظر الاتقان للسيوطي ،٢٩٩/١

(٣) التعريفات، الجرجاني، ٢٥٣/١،تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الأولى ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م

(٤) إسماعيل بن حماد الجوهري ، من أئمة اللغة ،ألف "الصحاح " توفى سنة ٣٩٣هـ ،انظر معجم الأدباء لياقوت الحموي ٢٦٩/١

(٥) الطرماح بن حكيم ،شاعر فحل ،ولد ونشأ فى الشام ، توفى نحو ١٢٥، ،انظر الشعر والشعراء لابن قتيبة، صـ٢٢٨

والوقف في القراءة: قطع الكلمة عما بعدها [١] .

فعلى هذا فالوقف مأخوذ من الكف عن الفعل والقول، وقد وردت مادة وقف في القرآن والسنة، أما القرآن ففي قوله تعالى:" وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُلُونَ "[٢] أما من السنة فما رواه الترمذي عن رسول الله ﷺ في قراءة القرآن: "ولا يمر بآية عذاب إلا وقف يتعوذ" [٣] .

وفى الاصطلاح : قال ابن الجزري: عبارة عن قطع الصوت على الكلمة زمنا يتنفس فيه عادة بنية استئناف القراءة إما بما يلي الحرف الموقوف عليه، أو بما قبله، لا بنية الإعراض ولا يأتي في وسط كلمة، ولا فيما اتصل رسماً، ولا بد من التنفس معه [٤]

والابتداء لغة : الباء، والدال، والهمزة، من افتتاح الشيء، يقال: بدأت بالأمر وابتدأت ، من الابتداء، وهو ضد الوقف ، بَدأْتُ الشيء ، فعلْتُهُ ابْتِداءً ، والبدْءُ فعل أول الشيء [٥] .

وفى الاصطلاح : هو فن جليل يُعرف به كيفية أداء القراءة بالوقوف على المواضع التي نص عليها القُرّاء لإتمام المعنى، والابتداء بمواضع محددة لا تختل فيها المعاني [٦] وعلى هذا فالابتداء: الشروع

---

(١) التعريفات ، ٢٥٣/١، وانظر لسان العرب ، مادة وقف،٣٦٠/٩، مختار الصحاح ٣٤٤/١، مادة وقف، مجمل اللغة ،٩٣٤/١، مادة وقف، أساس البلاغة ٣٥٠/٢، مادة وقف

(٢) الصافات: ٢٤

(٣) أخرجه الترمذي ، كتاب الصلاة، باب ما جاء في التسبيح في الركوع والسجود من طريق حذيفة،(٢٦١) ورواه النسائي (٢/ ٥١٨ – ٥١٩) كتاب الصلاة (٧٨)(٧١٢) مسألة القارئ إذا مر بآية رحمه فذكره من طريق الترمذي بسنده.

(٤) النشر،٢٤٠/١، وانظر الاتقان للسيوطى،٢٩٩/١

(٥) معجم مقاييس اللغة،٢١٢/١،مادة بدأ

(٦) البرهان للزركشي ،٣٤٢/١

في القراءة بعد وقف أو قطع (١)

والناس مختلفون في تعيين مواضع الوقف ، فمنهم من جعله على انتهاء النفس، ومنهم من جعله على رؤوس الآيات، والصواب أنها تتعلق بالمعاني ، لأنها أصل ، والأنفاس تابعة لها ،فقد يأتي وقف وسط الآية ، والأغلب مجيئها في أواخرها، وليس المراد أن كل موضع يجب الوقوف عنده ، بل المراد أنه يصلح عنده ذلك، فالقارئ كالمسافر، والمقاطع كالمنازل التي ينزلها المسافر، وهى مختلفة بالتام والحسن كاختلاف المنازل في الخصب ووجود الماء.

أقسام الوقف : قسم ابن جزى الوقف إلى أربعة أقسام وقف تام، وحسن، وكاف، وقبيح، والضابط في التفريق بين هذه الأنواع الأربع هو النظر إلى العبارة التي قبل موضع الوقف والعبارة التي بعده فيبحثون عن

---

(١) وهو أيضا ثلاثة أنواع: بدء تام: تعريفه: هو الابتداء بكلام تام في نفسه، وليس له بما قبله تعلق لفظي، ولا معنوي وعلى ذلك فكل أول سورة من سور القرآن العظيم بدء تام وأول القصص القرآني وكذلك أول كل مقطع لا تعلق بينه وبين ما سبقه لفظا ولا معنى.

أمثلته: أَتى أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ ... [النحل: ١] أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْراهِيمَ فِي رَبِّهِ [البقرة: ٢٥٨] يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ... [الأنفال: ٢٠] .

ثانياً: البدء الحسن: تعريفه: هو البدء بكلام يتعلق بما قبله من حيث المعنى والإعراب معا، ولا يصح ذلك إلا على رءوس الآي فقط شرط أن يكون بدءا إضافيا بعد وقف. فلا يصح البدء به بدءا حقيقيا، أي بعد قطع رغم كونه رأس آية. أمثلة: للبدء الحسن الذي سوغه كونه رأس آية: مثل قوله تعالى: إِلى فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِ ..... بعد قوله تعالى ثُمَّ أَرْسَلْنا مُوسى وَأَخاهُ هارُونَ بِآياتِنا وَسُلْطانٍ مُبِينٍ [المؤمنون: ٤٥، ثالثاً : البدء القبيح وهو غير جائز: تعريفه: هو البدء بكلمة قرآنية بينها وبين ما قبلها تعلق لفظي ومعنوي فيغير رءوس الآي – فيكون قبيحا وعلى القارئ أن يتجنبه وذلك نحو أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ من سورة المسد. كما يكون البدء أشد قبحا إذا ابتدأ بكلمة توهم معنى غير المراد: مثال ذلك: اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً من قوله وَقالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً ويَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ من قوله تعالى وَقالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ وإِنَّ اللَّهَ ثالِثُ ثَلاثَةٍ من قوله تعالى لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللَّهَ ثالِثُ ثَلاثَةٍ، النشر صـ٢٣٠،الميزان في أحكام تجويد القرآن،صـ٢١٧، فريال زكريا العبد ،ط/ دار الإيمان – القاهرة

ثلاثة روابط وبحسب وجود شيء منها أو وجودها كلها يكون تحديد نوع الوقف وحكمه وهى:

١ – الروابط اللفظية.

٢ – المعنى الخاص بكل عبارة.

٣ – السياق العام " أي الموضوع" فإذا لم يوجد أي رابط لفظي بين العبارتين، وكان المعنى الخاص بكل عبارة كاملا بنفسه، ولا يحتاج إلى العبارة الأخرى ليكمل ويصير معنى مفيدا، وكانت العبارة الثانية بداية موضوع وسياق جديد، فهذا هو التام، أما إن كان السياق لا يزال واحداً فهذا الكافي، وإن وجد بين العبارتين رابط لفظي ورابط في المعنى والسياق العام ،إلا أن العبارة الأولى بنفسها تشكّل معنى مفيداً، فهذا هو الحسن فإن كان كل من العبارتين محتاجاً إلى الآخر بحيث لا يكون بنفسه معنى مفيداً إلا بالعبارة الأخرى فالوقف حينئذ بينهما قبيح (١) .

الأول: الوقف التام :و هو الوقف على كلام تام في ذاته غير متعلق بما بعده تعلقاً معنوياً أو لفظياً (أي لا من جهة المعنى ولا من جهة الإعراب) ويكون في نهاية السور، وأواخر الآيات، وفي انقضاء القصص، كما يكون عند انقضاء الكلام عن موضوع بعينه والانتقال إلى غيره (٢) .

حكمه: يوقف عليه ويبتدأ بما بعده. فالوقف التام هو الذى يفصل بين عبارتين لا علاقة لأحدهما بالأخرى لا في اللفظ ولا في المعنى لأن العبارة الأولى تامة وتستغنى بنفسها عن العبارة الثانية في تمام معناها

---

(١) التأثير النحوي لظاهرة الوقف في النص القرآني ص ٩، د / هالة عثمان عبد الواحد رسالة ماجستير، كلية الدراسات العربية– جامعة المنيا ١٩٩٣ م.

(٢) النشر ٢٣٦

ومثالها قوله تعالى: "أُولَئِكَ عَلى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" (١) فالوقف على (مفلحون) وقف تام لأنه نهاية الكلام عن المؤمنين وما بعد الوقف كلاما مستأنفاً يتكلم عن الكفار وحالهم مع الرسول والرسالة.

فنلاحظ هنا عدم وجود الرابط اللفظي أو المعنى بين العبارتين، وهذا النوع من الوقف يحسن الوقوف عليه والابتداء بما بعده، ويكون في نهاية السور، وأواخر الآيات، وفي انقضاء القصص، كما يكون عند انقضاء الكلام عن موضوع بعينه والانتقال إلى غيره (٢) .

قال أبو عمرو الداني: وهو الذي يحسن القطع عليه والابتداء بما بعده، لأنه لا يتعلق بشيء مما بعده، وذلك عند تمام القصص وانقضائهن، وأكثر ما يكون موجوداً في الفواصل ورؤوس الآي (٣)

الثاني: الكافي (٤) :هو الذى يفصل بين عبارتين لا تعلق بينهما

---

(١) البقرة: آية ٥

(٢) منار الهدى في بيان الوقف والابتدا: أحمد بن عبد الكريم الأشموني المصري الشافعي، جـ١،صـ٣٤، تحقيق: عبد الرحيم الطرهوني، ط/ دار الحديث – القاهرة، مصر: ٢٠٠٨

(٣) المكتفى في الوقف والابتدا، لأبى عمرو الداني ٨/١،النشر في القراءات العشر ٢٣٦/١،نظام الأداء فى الوقف والابتداء ص ٣٠

(٤) يغلب أن يكون بعده:(السين) أو (سوف): كما في: ﴿وَيا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلى مَكانَتِكُمْ إِنِّي عامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذابٌ يُخْزِيهِ﴾ [هود: ٩٣] كما في .. وَادْخُلُوا الْبابَ سُجَّداً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ [الأعراف: ١٦١]. (بل): كما في أَفَعَيِينا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ [ق: ١٥] استفهام: كما في قوله تعالى: ما نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِها نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْها أَوْ مِثْلِها أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [البقرة: ١٠٦]أو قوله كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا* أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّياطِينَ عَلَى الْكافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا [مريم: ٨٢، ٨٣] مبتدأ: كما في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُونَ، أُولئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدى﴾ [البقرة: ١٦]. مفعول به بفعل محذوف. أو خبر لمبتدإ محذوف هُدىً لِلْمُتَّقِينَ لله الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ [البقرة: ٢] وذلك إذا اعتبرنا (الذين) مفعول به لفعل محذوف تقديره (أعني) أو اعتبرناها خبرا لمبتدإ محذوف تقديره (هم).أن يكون بعده نفي: كقوله تعالى ﴿وَما عَلَّمْناهُ الشِّعْرَ وَما يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ [يس: ٦٩] الميزان في أحكام تجويد القرآن، صـ٢٠٥

في اللفظ فكل منهما جملة مفيدة في لفظها، وإن كان هناك تعلق بالمعنى العام وسياق الكلام.

قال أبو عمرو الداني: واعلم أن الوقف الكافي هو الذي يحسن الوقف عليه أيضاً والابتداء بما بعده، غير أن الذي بعده متعلق به من جهة المعنى دون اللفظ (١) .

حكمه: يحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده كالوقف التام غير أن الوقف على التام يكون أكثر حسناً .

تسميته: سمي كافياً للاكتفاء به، واستغنائه عما بعده لعدم تعلقه به لفظاً وهو أكثر الوقوف وروداً في القرآن الكريم .

ومن الأمثلة على ذلك :قوله تعالى ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوها وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِها أَذِلَّةً وَكَذلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ (٢) فالوقف على «أذلة» كاف، والكلام قبل الوقف مفيد تام في ذاته وليس له تعلق بما بعده من ناحية الإعراب، وكذلك الكلام بعد الوقف تام في ذاته ولكنه يمضي في سياق الموضوع الذي بدأ قبل الوقف، فالكلام الذي انتهى عند موضع الوقف هو كلام "بلقيس" وقد تم عند الوقف، والكلام بعد الوقف هو كلام من الله تعالى، ولكن الترابط المعنوي بين كل من العبارتين يأتي من أن كلام الله تعالى ﴿وَكَذلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ تصديق لقول بلقيس في الملوك وهذا الترابط في سياق الموضوع يجعل الوقف على "أذلة" وقفاً " كافياً " (٣) .

الثالث: الحسن: هو الوقف علي كلام تام في ذاته، إلا أن بينه وبين ما بعده تعلق معنوي ولفظي ،فالوقف الحسن :هو الذى يفصل بين

---

(١) المكتفى في الوقف والابتدا ، ص ١٠ .

(٢) النمل :آية ٣٤

(٣) المكتفى في الوقف والابتدا صـ١٠، النشر في القراءات العشر ٢٣٦/١، الإتقان في علوم القرآن ٢٨٧/١، منار الهدى في بيان الوقف والابتدا٣٦/١

عبارتين تتصل كل منهما في اللفظ وفى سياق الموضوع ،غير أن الجملة الأولى مفيدة بنفسها، أما الثانية فهي غير مفيدة بنفسها، ولا يتم معناها إلا بالربط بالجملة الأولى لوجود الرابط اللفظي .

قال أبو عمرو الداني: واعلم أن الوقف الحسن هو الذي يحسن الوقف عليه، ولا يحسن الابتداء بما بعده لتعلقه به من جهة اللفظ والمعنى جميعاً (١)

حكمه: يحسن الوقف عليه، و مثاله قوله تعالى ﴿اللَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ ..... ﴾ (٢) فإذا وقفنا على قوله "إلا هو" فالكلام جملة مفيدة، تفيد وحدانية الله سبحانه وتعالى، ولكنه متعلق بما بعده لفظاً ومعنى، لأن (الْحَيُّ) و(الْقَيُّومُ) و﴿لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ﴾ و﴿لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ﴾ كلها صفات الموصوف بها هو الله ﷻ ولو وقفنا لفصلنا الصفات عن موصفها. ومثال قوله تعالى:﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ﴾ (٣) فالوقف على "الحمد لله "حسن" لأنها جملة مفيدة بذاتها ،أما الابتداء "برب العالمين" لا يحسن لوجود الرابط اللفظي لأن كلمة (رب) صفة والموصوف هو (الله) فلا يمكن الفصل بين الصفة والموصوف فيجب على القارئ إن فصل وأراد الابتداء بالثانية عليه إعادة الجملة الأولى، فهذا النوع من الوقف يحسن الوقوف عليه ولا يحسن الابتداء بما بعده (٤) .

الرابع: القبيح: هو الوقف على كلام لا يؤدي معنى صحيحاً لشدة

---

(١) المكتفى في الوقف والابتدا صـ١١

(٢) البقرة: ٢٥٥

(٣) الفاتحة آية ٢

(٤) منار الهدى في بيان الوقف والابتدا،٣٧/١، النشر في القراءات العشر ٢٣٦/١، الإتقان في علوم القرآن ،٢٨٧/١

تعلقه بما بعده لفظاً ومعنى ، إلا أن الوقف عليه يعطي معنى ناقصاً، أو خاطئاً، أو فاسداً غير مقبول، أو هو الذى يفصل بين عبارتين اشتد تعلقهما فى اللفظ والمعنى بحيث أن كل جملة منهما لا تستطيع أن تستغنى عن الأخرى وتكون جملة مفيدة.

قال أبو عمرو الداني : واعلم أن الوقف القبيح هو الذي لا يعرف المراد منه، وذلك نحو الوقف على قوله: (بسم) و(ملك) و(رب) و(رسل) وشبهه والابتداء بقوله (الله) و(يوم الدين) و(العالمين) و(السماوات) و(الله) لأنه إذا وقف على ذلك لم يعلم إلى أي شيء أضيف، وهذا يسمى وقف الضرورة، لتمكن انقطاع النفس عنده، والجلة من القراء وأهل الأداء ينهون عن الوقف على هذا الضرب، وينكرونه، ويستحبون لمن انقطع نفسه عليه أن يرجع إلى ما قبله حتى يصله بما بعده، فإن لم يفعل فلا حرج عليه(١) .

حكمه: لا يتعمد الوقف عليه، فإن وقف القارئ مضطراً أعاد، وربما رجع كلمة أو كلمتين حتى يبين المعنى المقصود .

تسميته: يسمى قبيحاً لفساد أو قبح المعنى الذي ينتج عنه، ومثاله:﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي﴾ (٢) ﴿لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ" ﴾ (٣) فالوقف على هذه الجمل، والبدء بما بعدها يعد من القبح في الوقف، ولا يجوز لأنه يغير المعنى المقصود تماما، وكذا وصل ما يجب الوقف عليه قبيحاً، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّما يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾ (٤) فلا نستطيع الوصل بل يجب الوقف على (يسمعون) لأنه في حالة

---

(١) المكتفى في الوقف والابتدا،صـ١٣

(٢) البقرة آية٢٦

(٣) النساء آية ٤٣

(٤) سورة الأنعام آية ٣٦

الوصل اشرك الموتى مع الذين يسمعون فى صفة الاستجابة (١) .

وختم ابن جزى الكلام على الوقف والابتداء بالإشارة إلى أن الوقف بمراعاة الإعراب والمعنى جائز استقر عليه العمل وأخذ به القراء، وإن كان الأوائل يراعون الوقوف على رؤوس الآيات ، حيث قال :هذا الذي ذكرنا من رعي الإعراب والمعنى في المواقف: استقرّ عليه العمل، وأخذ به شيوخ المقرئين، وكان الأوائل يراعون رؤوس الآيات، فيقفون عندها لأنها في القرآن كالفقر في النثر والقوافي في الشعر، ويؤكد ذلك ما أخرجه الترمذي عن أمّ سلمة رضي الله عنها أنّ رسول الله ﷺ كان يقطع قراءته يقول: الحمد لله رب العالمين ثم يقف، الرحمن الرحيم ثم يقف (٢) .

هذا وقد تكلم علماء الوقف والابتداء على جميع الآيات والجمل القرآنية، وبينوا ما يصلح الوقف عليه، وما لا يصلح، ونهوا عن الوقف على وقوف بعينها، ووضعوا لذلك قواعد، كقولهم لا يوقف على المبتدأ دون خبره، ولا على الشرط دون جزائه إلى غير ذلك مما ذكروه ومثلوا له واختلفوا في بعضه ،وذكروا الوقف التام، وما دونه، وبينوا الوقوف، وحرروا الكلام على المعاني مستمدين من النقول في التفسير والحديث والأثر ومعتمدين على العربية، فكما بنى المفسرون كلامهم على ذلك بنى علماء الوقف والابتداء وأفادوا من التفاسير وأضافوا فوائد كثيرة.

ولأهمية الوقف والابتداء عند ابن جزى فقد أولاه عناية خاصة ، فنراه يعرض الأقوال ويرجح بينها في كثير من الأحيان ، فمثلاً عند تفسير

---

(١) منار الهدى في بيان الوقف والابتدا،٣٨/١، النشر في القراءات العشر ٢٣٦/١، الإتقان في علوم القرآن ، ٢٨٧/١

(٢) أخرجه أحمد ٣٠٢/٦ ،وأبو داوود، رقم ٤٠٠١، والحاكم ،٢٣٢/١ ،وقال صحيح على شرط الشيخين

قوله تعالى ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ (١) قال: وخبر" ذلك": "لا ريب فيه"، وقيل: خبره الكتاب فعلى هذا «ذلك الكتاب» جملة مستقلة فيوقف عليه لا رَيْبَ فِيهِ أي: لا شك أنه من عند الله في نفس الأمر في اعتقاد أهل الحق، ولم يعتبر أهل الباطل، وخبر "لا ريب": "فيه"، فيوقف عليه، وقيل: خبرها محذوف فيوقف على «لا ريب» والأول أرجح لتعيّنه في قوله: "لا ريب" في مواضع أخر، فإن قيل: فهلا قدم قوله "فيه" على "الريب" كقوله:﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ ﴾ (٢) ؟ فالجواب: أنه إنما قصد نفي الريب عنه، ولو قدم فيه: لكان إشارة إلى أن ثمّ كتاب آخر فيه ريب، كما أن﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ إشارة إلى أن خمر الدنيا فيها غول، وهذا المعنى يبعد قصده فلا يقدم الخبر (٣) .

وأيضاً عند تفسير قوله تعالى ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ (٤) قال: والعامل في "أربعين" : "محرمة "على الأصح، فيجب وصله معه وقيل: العامل فيه يتيهون فعلى هذا يجوز الوقف على قوله محرمة عليهم، وهذا ضعيف لأنه لا حامل على تقديم المعمول هنا مع أن القول الأوّل أكمل معنى لأنه بيان لمدّة التحريم (٥) .

وعند تفسير قوله تعالى ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ (٦) نراه يستنكر على من يقف على قوله" عَرْشٌ" فيقول: ووقف بعضهم على عرش، ثم ابتدأ عظيم وجدتها على تقدير: عظيم أن وجدتها وقومها يسجدون للشمس من

---

(١) البقرة آية٢

(٢) سورة الصافات ،آية٤٧

(٣) التسهيل ٦٨/١

(٤) سورة المائدة ، آية ٢٦

(٥) التسهيل ٢٨٨/١

(٦) سورة النمل ،آية ٢٣

دون الله، وهذا خطأ، وإنما حمله عليه الفرار من وصف عرشها بالعظمة (١) .

وعند تفسير قوله تعالى ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً ﴾ (٢) والعامل في "أربعين": "محرمة "على الأصح، فيجب وصله معه وقيل: العامل فيه "يتيهون" فعلى هذا يجوز الوقف على قوله " مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ "، وهذا ضعيف لأنه لا حامل على تقديم المعمول هنا مع أن القول الأوّل أكمل معنى لأنه بيان لمدّة التحريم (٣) .

(١) التسهيل ١٠٠/٢

(٢) سورة المائدة ،آية ٢٦

(٣) التسهيل،٢٢٨/١

المبحث العاشر
القراءات القرآنية

حفل تفسير ابن جزى بثروة وفيرة من القراءات ، ومما هو جدير بالذكر أن ابن جزى حين يورد القراءات يذكرها دون تعين اسم القارئ ،ولكن ينسبها إلى الجمهور، أو غير ذلك، وهذا ما اشترطه على نفسه في مقدمة تفسيره، حيث قال : وأيضا فإنا لما عزمنا في هذا الكتاب على الاختصار حذفنا منه ما لا تدعو إليه الضرورة (١) .

قال ابن جزى: ثم إنّ القراءات على قسمين: مشهورة. وشاذة. فالمشهورة: هي القراءات السبع وما جرى مجراها: كقراءة يعقوب (٢)، وابن محيصن (٣). والشاذة ما سوى ذلك. وإنما بنينا هذا الكتاب على قراءة نافع (٤) لوجهين: أحدهما أنها القراءة المستعملة في بلادنا بالأندلس

---

(١) التسهيل ١٠/١

(٢) هو يعقوب بن إسحق بن زيد أبو محمد الحضرمي، مولاهم البصري أحد القراء العشرة، إمام أهل البصرة ومقرئها، قال أبو حاتم السجستاني: هو أعلم من رأيت بالحروف والاختلاف في القرآن وعلله ومذهبه، ومذاهب النحو، كذلك كان والده وجده، مات سنة خمسين ومائتين وله ثمان وثمانون سنة "طبقات القراء ٢٨٦٢/٢

(٣) ابن محيصن: محمد بن عبد الرحمن بن محيصن السهمي مولاهم المكي، مقرئ أهل مكة مع ابن كثير، ثقة، وقال ابن مجاهد: كان لابن محيصن اختيار في القراءة على مذهب العربية فخرج به عن إجماع أهل بلده، فرغب الناس عن قراءته وأجمعوا على قراءة ابن كثير لأتباعه، قال أبو القاسم الهذلي: مات سنة ثلاث وعشرين ومائة بمكة، اية النهاية في طبقات القراء: شمس الدين أبو الخير ابن الجزرى،١٦٧/٢ط: مكتبة ابن تيمية: عام، ١٣٥١هـ ،قال ابن مجاهد: كان ابن محيصن عالما بالعربية وكان له اختيار لم يتبع فيه أصحابه وأخذ عن مجاهد أيضا ويروى عن مجاهد أنه كان يقول ابن محيصن يبني ويرصص في العربية يمدحه بذلك، وكان قرأ على درباس مولى ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وقرأ درباس على ابن عباس وقرأ ابن عباس على أبي بن كعب. السبعة في القراءات: ابن مجاهد،٦٥/١،تحقيق: شوقي ضيف، ط: دار المعارف – مصر: الثانية، ١٤٠٠هـ

(٤) نافع: نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم أبو رويم ويقال: أبو نعيم، أحد القراء =

وسائر بلاد المغرب، والأخرى اقتداء بالمدينة شرفها الله لأنها قراءة أهل المدينة، وقال مالك بن أنس: قراءة نافع سنة (١) . وذكرنا من سائر القراءة ما فيها فائدة في المعنى والإعراب وغير ذلك، دون ما لا فائدة فيه زائدة، واستغنينا عن استيفاء القراءات لكونها مذكورة في الكتب المؤلفة فيها، وقد ألفنا فيها كتباً نفع الله بها، وأيضاً فإنا لما عزمنا في هذا الكتاب على الاختصار حذفنا منه ما لا تدعو إليه الضرورة وقد ذكرنا في هذه المقدّمات باباً في قواعد أصول القراءات (٢) .

ثم عقد ابن جزى باباً خاصاً في جوامع القراءة فقال :

الباب الثامن : في جوامع القراءة، وهو على نوعين: مشهورة، وشاذة. فالمشهورة القراءات السبع ، وهو حرف نافع المدني، وابن كثير المكي (٣) ، وأبو عمرو بن العلاء البصري (٤) ،

=السبعة والأعلام ثقة صالح، أصله من أصبهان، أخذ القراءة عرضاً عن جماعة من تابعي، وانتهت إليه رياسة القراءة بالمدينة وصار الناس إليها، مات سنة تسع وستين ومائة، غاية النهاية في طبقات القراء،٢/٣٣٤

(١) جامع البيان في القراءات السبع: أبو عمرو الداني،١/١٥٥ط: جامعة الشارقة – الإمارات، الأولى، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م غاية النهاية في طبقات القراء،٢/٣٣٤

(٢) التسهيل ١/١٦

(٣) ابن كثير المكي: مولى عمرو بن علقمة الكناني ويقال له الداري وكان مقدما في عصره، قرأ على مجاهد بن جبر وقرأ مجاهد على ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وقرأ ابن عباس على أبي بن كعب رضي الله تعالى عنهولم يخالف ابن كثير مجاهدا في شيء من قراءته، السبعة في القراءات،١/٦٤

(٤) أبو عمرو بن العلاء: ابن عمار بن العريان بن عبد الله بن الحصين بن الحارث بن جلهمة بن خزاعي بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم وقيل ابن جلهمة بن حجر بن خزاعي، كان مقدماً في عصره عالماً بالقراءة ووجوهها قدوة في العلم باللغة إمام الناس في العربية وكان مع علمه باللغة وفقهه بالعربية متمسكا بالآثار لا يكاد يخالف في اختياره ما جاء عن الأئمة قبله متواضعاً في علمه قرأ على أهل الحجاز وسلك في القراءة طريقهم ولم تزل العلماء في زمانه تعرف له تقدمه وتقر له بفضله وتأتم في القراءة بمذاهبه، السبعة في القراءات،١/٨١

وابن عامر الشامي [١] ، وعاصم [٢] ، وحمزة [٣] ، والكسائي [٤] الكوفيين . ويجري مجراهم في الصحة والشهرة : يعقوب الحضرمي، وابن محيصن، ويزيد بن القعقاع [٥] ، والشاذة ما سوى ذلك، وإنما سميت شاذة لعدم استقامتها في النقل، وقد تكون فصيحة اللفظ، أو قوية المعنى. ولا يجوز أن يقرأ بحرف إلّا بثلاث شروط: موافقته لمصحف عثمان بن عفان ﷺ، وموافقته لكلام العرب ولو على بعض الوجوه أو في بعض اللغات، ونقله نقلا متواترا أو مستفيضا [٦] .

---

(١) ابن عامر: عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة بن عامر عبد الله بن عمران اليحصبي بضم الصاد وكسرها، إمام أهل الشام في القراءة والذي انتهت إليه مشيخة الإقراء به ، ثبت سماعه من جماعة من الصحابة منهم معاوية بن أبي سفيان والنعمان بن بشير وواثلة بن الأسقع وفضالة بن عبيد، توفي بدمشق يوم عاشوراء سنة ثمان عشرة ومائة، غاية النهاية في طبقات القراء،١/٤٢٥،السبعة في القراءات، ١/٨٥

(٢) عاصم: عاصم بن بهدلة أبي النجود بفتح النون وضم الجيم وقد غلط من ضم النون أبو بكر الأسدي مولاهم الكوفي الحناط بالمهملة والنون شيخ الإقراء بالكوفة وأحد القراء السبعة، الإمام الذي انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة بعد أبي عبد الرحمن السلمي في موضعه جمع بين الفصاحة والإتقان والتحرير والتجويد وكان أحسن الناس صوتًا بالقرآن، توفي آخر سنة سبع وعشرين ومائة، غاية النهاية في طبقات القراء،١/٣٤٨

(٣) حمزة: حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الإمام الحبر أبو عمارة الكوفي التيمي مولاهم وقيل من صميمهم الزيات أحد القراء السبعة، ولد سنة ثمانين وأدرك الصحابة بالسن فيحتمل أن يكون رأى بعضهم، توفي سنة ست وخمسين ومائة، غاية النهاية في طبقات القراء،١/٢٦٣، السبعة في القراءات،١/٧١

(٤) الكسائى: علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز الأسدي ،، أبو الحسن الكسائي الإمام الذي انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة بعد حمزة الزيات، توفي سنة تسع وثمانين ومائة، غاية النهاية في طبقات القراء،جـ١،صـ٥٣٩،السبعة في القراءات،١/٧٨

(٥) يزيد بن القعقاع: يزيد بن القعقاع الإمام أبو جعفر المخزومي المدني القارئ، أحد القرّاء العشرة تابعي مشهور كبير القدر ، كان إمام أهل المدينة في القراءة فسمي القارئ بذلك، وكان ثقة قليل الحديث، ، مات سنة سبع وعشرين ومائة، غاية النهاية في طبقات القراء،٢/٣٨٤،سير أعلام النبلاء،٥/٥٨٧

(٦) التسهيل ١/٢٣

قسم ابن جزى القراءة إلى متواترة، وشاذة ،وبين أنه اختار قراءة نافع لأنها القراءة المستعملة في بلاد المغرب، ثم ذكر شروط القراءة الصحيحة، ويلاحظ أنه استبدل خلف ابن هشام ، بابن محيصن مع أن العلماء عدّو قراءة ابن محيصن من القراءات الشاذة .

أولاً : تعريف القراءة لغة واصطلاحاً:

القراءة لغة :القراءات جمع قراءة ، وهى مصدر قرأ، يقال : قرأ فلان ، يقرأ قراءة، وهى بمعنى الجمع والضم، قال ابن منظور: قَرَأه، ويقرَؤُهُ، ويَقْرُؤُهُ، قَرْءا ، وقراءة ، وقرآناً فهو مقروء ، ومعنى القرآن ، معنى الجمع ، وسمى قرآناً لأنه يجمع السور فيضمها، وقوله تعالى (فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ) (١) أي قراءته، وقرأت الشيء قرآناً جمعته وضممته بعضه إلى بعض (٢)

القراءة اصطلاحاً: عرفها ابن الجزري بقوله: القراءات علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة، والمقرئ العالم بها وراها مشافهة، فلو حفظ "التيسير" مثلا ليس له أن يقرئ بما فيه إن لم يشافهه من شوفه به مسلسلا لأن في القراءات أشياء لا تحكم إلا بالسماع والمشافهة (٣) .

ويلاحظ في تعريف ابن الجزري رحمه الله للقراءات ،أنه أكّد على قضية مهمة يجب التنبيه عليها ، ألا وهى : اعتماد القراءات القرآنية على السماع ،والمشافهة والتلقي عمن تلقاها وسمعها ، وأخذ بها مشافهة عن شيوخه ، مسلسلاً إلى النبي ﷺ وهذا أحد الفروق الدقيقة بين القراءة

---

(١) القيامة آية ١٨

(٢) لسان العرب مادة قرأ، ٥٦/١٢

(٣) منجد المقرئين ومرشد الطالبين: ابن الجزري،صـ١٨ط: دار الكتب العلمية: الأولى ١٤٢٠هـ –١٩٩٩م

والحديث .

ثانياً: القراءة الصحيحة: وهي القراءة التي تصح بها القراءة في المصحف ويقرأ بها القرآن في الصلاة، وقد أجمع العلماء على صحة القراءات السبع التي اختارها ابن مجاهد وتواترها، لتوفر شروط الصحة فيها، تلك الشروط التي كان علماء القراءة يستندون إليها في تمييز القراءات منذ بدء عصر التأليف في هذا العلم.

ثالثاً: شروط القراءة الصحيحة: ذكر ابن جزى شروط القراءة الصحيحة وهى التي تتوافر بها عدة شروط ،فقال: ولا يجوز أن يقرأ بحرف إلّا بثلاث شروط: موافقته لمصحف عثمان بن عفانﷺ ، وموافقته لكلام العرب ولو على بعض الوجوه أو في بعض اللغات، ونقله نقلاً متواتراً أو مستفيضاً (١) ، وما ذكره ابن جزى هو ما عليه أئمة القراءات.

وقد احتاط أئمة القراءة غاية الاحتياط لصون القراءات ، فوضعوا ضوابط ومقاييس لتمييز القراءة المتواترة من المشهورة والضعيفة ، فاشترطوا في القراءة الصحيحة المقبولة أن تتوافر فيها الشروط الآتية: قال ابن الجزري :

فَكُلُّ مَا وَافَقَ وَجْهَ نَحْوِ .:. وَكَانَ للرَّسْمِ احْتِمَالاً يَحْوِي
وَصَحَّ إِسْناداً هُوَ الْقُرآنُ .:. فَهَذِهِ الثَّلاثَةُ الأَرْكَانُ
وحَيثُماَ يَخْتَلُّ رُكْنٌ أَثْبِتِ .:. شُذُوذَهُ لَوْ أَنَّهُ فِي السَّبعَةِ
فكُنْ عَلى نَهْجِ سَبِيلِ السَّلفِ .:. في مُجْمَعٍ عَلَيْهِ أوْ مُخْتَلَفِ (٢)

١ – صحة السند واستفاضته ، وذلك بتواترها عن النبيﷺ، وقد اختُلف في مستوى صحة السند المُشترطة ، فاشترط بعضهم التواتر ، واكتفى آخرون بالاستفاضة ، وهو رأي جمهور القراء وهو قول الأصوليين

(١) التسهيل ٢٣/١

(٢) مَتْنُ «طَيِّبَةِ النَّشْرِ» فِي الْقِرَاءَاتِ الْعَشْرِ ،صـ٣٢

والفقهاء.

قال ابن الجزري : ونعني بالتواتر ما وراه جماعة كذا إلى منتهاه يفيد العلم من غير تعيين عدد؛ هذا هو الصحيح (١)

٢ – موافقة أحد المصاحف التي أرسلها عثمان بن عفان رضي ﷺ للأمصار، ولو احتمالاً ، وهذا الشرط مُجمع عليه (٢) ، والمراد بالرسم العثماني: هو كيفية كتابة الحروف والكلمات القرآنية بما يوافق ما استقر عليه أمر القرآن في العرضة الأخيرة.

وموافقة الرسم قد تكون تحقيقاً أو تقديراً، كما في قوله تعالى: ﴿مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ (٣) فقراءة حذف الألف "ملك" لنافع، وابن كثير، وأبي عمرو، وابن عامر وحمزة ، وأبي جعفر، هذه القراءة تحتمل اللفظ تحقيقاً، وقراءة "مالِكِ" لعاصم، والكسائي، ويعقوب، وخلف، في اختياره تحتمل إثبات الألف تقديراً (٤)

وقد تكون القراءة ثابتة في المصاحف العثمانية دون بعض ومثال ذلك الآية من سور التوبة: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهاجِرِينَ وَالْأَنْصارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهارُ ﴾ (٥)

قرأ ابن كثير المكي جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ بزيادة (من) وهي ثابتة في المصحف المكي دون غيره من المصاحف (٦) ، وإلى قراءة الإمام ابن كثير أشار الشاطبي بقوله:

---

(١) منجد المقرئين ومرشد الطالبين،صـ١٨

(٢) النشر ٩/١

(٣) سورة الفاتحة آية ٤

(٤) الحجة في القراءات،صـ٧٧

(٥) سورة التوبة ، آية ١٠٠

(٦) الحجة في القراءات، صـ٣٢٢، منجد المقرئين ومرشد الطالبين،صـ١٨

وَمِنْ تَحْتِهَا المَكِّيْ ... يَجُرُّ وَزَادَ مِنْ صَلاَتَكَ وَجِّدْ وَافْتَحِ التَّا شَذًّا عَلَا (١)

٣ – موافقة وجه صحيح في اللغة العربية: أي موافقة القراءة للقواعد والآراء النحوية المستقاة من النطق العربي الفصيح ،والمقصود به أن تكون القراءة موافقة لوجه من وجوه اللغة والنحو، سواء أكان أفصح أم فصيحاً مجمعاً عليه أم مختلفاً فيه ما دامت القراءة صحيحة الإسناد موافقة لأحد المصاحف العثمانية (٢) .

مثل قوله تعالى:﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِماتٍ﴾ (٣) في قراءة ابن كثير بنصب آدم ورفع "كَلِماتٍ" جعل الْفِعْل للكلمات لِأَنَّهَا تلقت آدم عليه السلام وحجته أَن الْعَرَب تَقول تلقيت زيداً وتلقاني زيد وَالْمعْنَى وَاحِد لِأَن من لَقيته فقد لقيك وَمَا نالك فقد نلته وقرأ الباقون﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِماتٍ ﴾آدم رفع بفعله لأنه تلقى من ربه الكلمات أي أخذها منه وحفظها وفهمها والعرب تقول تلقيت هذا من فلان المعنى إن فهمي قبلها منه وحجتهم ما روي في التفسير في تأويل قوله ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِماتٍ ﴾أي قبلها فإذا كان آدم القابل فالكلمات مقبولة (٤)

قال أبو عمرو الداني :وأئمة القراءة لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشي في اللغة ، والأقيس في العربية ، بل على الأثبت في الأثر ، والأصح في النقل ، وإذا ثبتت الرواية لم يردّها قياس عربية ولا

---

(١) حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات، الشاطبي،صـ٥٨،تحقيق: محمد تميم الزعبي، مكتبة دار الهدى للدراسات القرآنية، الرابعة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م

(٢) نفحات من علوم القرآن، محمد أحمد محمد معبد، صـ٥٨،ط/ دار السلام، القاهرة، الثانية، ١٤٢٦هـ –٢٠٠٥ م، دراسات في علوم القرآن، محمد بكر إسماعيل، صـ٩٤

(٣) سورة البقرة آية ٣٧

(٤) حجة القراءات ،صـ٩٤

فشو لغة ، لأن القراءة سنّة متّبعة يلزم قبولها والمصير إليها (١)

قال ابن الجزري : كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً وصح سندها، فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ووجب على الناس قبولها، سواء كانت عن الأئمة السبعة، أم عن العشرة، أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين (٢) .

رابعاً: القراءة الشاذة :

الشاذ لغة: المنفرد، وهو ما ندر عن الجمهور (٣)

وأما القراءة الشاذة اصطلاحاً :، فهي ما اختل فيها ركن من أركان القراءة الثلاثة المتقدمة: التواتر، وموافقة الرسم العثماني، وموافقة وجه من وجوه اللغة العربية . قال ابن الجزري : والقسم الثاني من القراءة الصحيحة ما وافق العربية وصح سنده، وخالف الرسم كما ورد في صحيح من زيادة ونقص وإبدال كلمة بأخرى، ونحو ذلك مما جاء عن أبي الدرداء وعمر وابن مسعود وغيرهم، فهذه القراءة تسمى اليوم شاذة؛ لكونها شذت عن رسم المصحف المجمع عليه، وإن كان إسنادها صحيحاً (٤)

غير أن جمهور القراء يعتبرون الشاذ ما كان غير متواتر، فالآحاد عندهم في حكم الشاذ ، وهي القراءة التي اختل فيها ركنها الركين وهو التواتر ، وهذا الركن يعد الركن الأهم ، والمعول عليه في اعتبار إثبات

---

(١) جامع البيان في القراءات السبع المشهورة لأبى عمرو للداني صـ ٣٩٦، ط / دار الكتب العلمية، النشر ،١٠/١-١١، الإبانة عن معاني القراءات: لأبى محمد مكي بن أبي طالب،٣٢/١،تحقيق:د/ عبد الفتاح إسماعيل شلبيط: دار نهضة مصر للطبع والنشر، منجد المقرئين ومرشد الطالبين،١٨/١

(٢) النشر في القراءات العشر ٩/١

(٣) مختار الصحاح ١٦٣/١ مادة ش ذ ذ

(٤) منجد المقرئين ومرشد الطالبين، صـ١٩

قرآنية الرواية ، فمتى فقدت الرواية أحد هذه الشروط ، تكون شاذة ويحكم بعدم قرآنيتها ، ولا تعتبر قرآنا (١) .

حكم القراءات الشاذة :

القراءات الشاذة لا تعتبر قرآناً، ولا يجوز اعتقاد قرآنيتها، ولذلك لا تجوز قراءتها في الصلاة وفي خارجها، ولكن يجوز تعلمها وتعليمها وتدوينها في الكتب، وبيان وجهها من حيث اللغة والإعراب (٢) .

قال ابن الجزري:«... ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة، سواء كانت عن السبعة أم عمن هو أكبر منهم، هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف(٣)

والشاذ عند مكى :هو ما نقله غير ثقة أو نقله ثقة ولا وجه له في العربية ،فهذا لا يُقبل وإن وافق خط المصحف (٤)

أنواع القراءات الشاذة:

النوع الأول: ما ورد آحاداً وصح سنده، ولكنه خالف رسم المصحف أو خالف قواعد العربية أو لم يشتهر الاشتهار الذي اشترطه مكي، وابن الجزري رحمهما الله تعالى،

---

(١) مقدمات في علم القراءات، محمد أحمد مفلح القضاة، أحمد خالد شكرى، محمد خالد منصور (معاصر)،صـ٧٢، دار عمار – عمان الأردن، الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م

(٢) المرشد الوجيز، لأبى شامة، صـ ١٨١، القراءات الشاذة وتوجيهها في لغة العرب، عبدالفتاح القاضي، صـ١٠

(٣) النشر في القراءات العشر ٩/١

(٤) الابانة عن وجوه القراءات صـ٥٢

ومثال هذا النوع: مثل ما روى أن النبي ﷺ قرأ:﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ » (١) ، (٢)

النوع الثاني: ما لم يصح إسناده، ومن ذلك قراءة "ملك يوم الدين" بصيغة الماضي، ونصب "يوم"، و"إياك يعبد" ببنائه للمفعول.

النوع الثالث: وهو الموضوع المختلق (٣)

النوع الرابع: القراءات التفسيرية، وهي التي سيقت على سبيل التفسير، مثل قراءة سعد بن أبي وقاص "وله أخ أو أخت من أم" (٤) ، وكقراءة ابن عباس: «ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم في مواسم الحج» (٥) ، وغيرها (٦) وقد كانوا يدخلون هذا النوع في التفسير؛ لأنهم محققون لما تلقوه عن النبي ﷺ، وهم الذين حضروا التنزيل وهم أولى

---

(١) سورة الرحمن ،آية ٧٦

(٢) أخرجه الطبري ٨٦/٢٣،وقال: والقرّاء في جميع الأمصار على قراءة ذلك (عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ) بغير ألف في كلا الحرفين. وذُكر عن النبي ﷺ خبر غير محفوظ، ولا صحيح السند (على رفَارِفَ خُضْرٍ وعَباقِرِيّ) بالألف والإجراء. وذُكر عن زُهير الفرقبي أنه كان يقرأ (على رَفارِفَ خُضْرٍ) ، بالألف وترك الإجراء، (وَعَبَاقِرِيّ حِسانٍ) بالألف أيضا، وبغير إجراء. وأما الرفارف في هذه القراءة، فإنها قد تحتمل وجه الصواب. وأما العباقريّ، فإنه لا وجه له في الصواب عند أهل العربية، لأن ألف الجماع لا يكون بعدها أربعة أحرف، ولا ثلاثة صحاح. وأما القراءة الأولى التي ذُكرت عن النبيﷺ ، فلو كانت صحيحة، لوجب أن تكون الكلمتان غير مجراتين، الإتقان للسيوطي ١٦٨/١، الإبانة عن معاني القراءات مكي بن أبي طالب ٨٩/٨٥، نشر البنود على مراقي السعود العلوي الشنقيطي ٨٣/١،

(٣) الإتقان في علوم القرآن ١٦٨/١، الإبانة عن معاني القراءات مكي بن أبي طالب صـ ٨٥ – ٨٩

(٤) أخرجه الطبرى،٦٢/٨،عن قتادة قوله:"وله أخ أو أخت" فهؤلاء الإخوة من الأم: إن كان واحدًا فله السدس، وإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث، ذكرهم وأنثاهم فيه سواء

(٥) أخرجه الطبرى،١٦٥/٤،عن عكرمة، قال: كانت تقرأ هذه الآية:"ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم في مواسم الحج".

(٦) الإتقان في علوم القرآن ١٦٨/١

الناس بتأويله، فهذه القراءة تسمى اليوم شاذة؛ لكونها شذت عن رسم المصحف المجمع عليه، وإن كان إسنادها صحيحاً فلا تجوز القراءة بها لا في الصلاة، ولا في غيرها.

قراءة يعقوب وابن محيصن :

أما قراءة يعقوب فقد اتفق أهل العلم على القراءة بها، وأما ابن محيصن فكان من أعلم الناس بالعربية، وأقواهم عليها، وقال ابن مجاهد كان لابن محيصن اختيار في القراءة على مذهب العربية، فخرج به عن إجماع أهل بلده فرغب الناس عن قراءته (١) ، قال ابن الجزري : وقد قرأت بها القرآن ولولا ما فيها من مخالفة المصحف لألحقت بالقراءات المشهورة (٢) .

وقد اختلف العلماء في أي القراءات هي الشواذ ،فعدّ بعضهم ما وراء السبع من الشواذ، وعدّ بعضهم ما وراء العشر من الشواذ، وبهذا يكون القسم المتفق على شذوذه ما فوق العشرة، أما الثلاث المكملة للعشر فقد كانت موضع جدل وخلاف بين القراء، فمنهم من قال بتواترها، ومنهم من قال بأنها صحيحة الإسناد فقط.

قال ابن الجزري : وقد نقل البغوي في أول تفسيره الاتفاق على القراءة بقراءة يعقوب وأبي جعفر مع السبع المشهورة، قال: وهذا القول هو الصواب، واعلم أن الخارج عن السبعة المشهورة على قسمين: منه ما يخالف رسم المصحف، فهذا لا شك في أنه لا يجوز قراءته لا في الصلاة

---

(١) الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها يوسف بن علي بن جبارة بن محمد بن عقيل بن سواده أبو القاسم الهُذَلي اليشكري المغربي (المتوفى: ٤٦٥هـ)، صـ٥٥، تحقيق : جمال بن السيد بن رفاعي الشايب ، ط : مؤسسة سما للتوزيع والنشر – الأولى ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م

(٢) منجد المقرئين ومرشد الطالبين،صـ٢٨

ولا في غيرها، ومنه ما لا يخالف رسم المصحف ولم تشتهر القراءة به، وإنما ورد من طريق غريبة لا يعول عليها، وهذا يظهر المنع من القراءة به أيضا، ومنه ما اشتهر عند أئمة هذا الشأن القراءة به قديماً وحديثاً، فهذا لا وجه للمنع منه ومن ذلك قراءة يعقوب وغيره، قال: والبغوي أولى من يعتمد عليه في ذلك ؛ فإنه مقرئ فقيه جامع للعلوم، قال: وهكذا التفصيل في شواذ السبعة، فإن عنهم شيئاً كثيراً شاذاً (١)

يُفهم من كلام ابن الجزري ،أن هناك كثيراً من القراءات الصحيحة تركت، وكان ذلك قبل أن تسبّع السبعة، وأن القراءات الثلاث الزائدة عن الثلاث صحيحة متواترة، ونقل ابن الجزري فتوى لابن السبكي رداً على سؤال وُجه إليه فكانت خلاصة جوابه على مذهب والده الإمام ، أن السبع متواترة ،والثلاث المكملة للعشر مختلف فيها، لكن والده يميل إلى القول بتواترها ،وقد رجح ابن السبكي ذلك ، والثلاث هي قراءة أبى جعفر، ويعقوب، وخلف.

قال ابن الجزري : وسئل ولده العلامة قاضي القضاة أبو نصر عبد الوهاب – رحمه الله – (٢) عن قوله في كتاب جمع الجوامع في الأصول: والسبع متواترة مع قوله والصحيح أن ما وراء العشرة فهو شاذ: إذا كانت العشر متواترة فلم لا قلتم والعشر متواترة بدل قولكم والسبع؟ فأجاب: أما كوننا لم نذكر العشر بدل السبع مع ادعائنا تواترها فلأن

---

(١) النشر ٤٤/١

(٢) عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، أبو نصر: قاضي القضاة، المؤرخ، الباحث، ولد في القاهرة، وانتقل إلى دمشق مع والده، فسكنها وتوفي بها، نسبته إلى سبك (من أعمال المنوفية بمصر) وكان طلق اللسان، قوي الحجة، انتهى إليه قضاء في الشام وعزل، وتعصب عليه شيوخ عصره فاتهموه بالكفر واستحلال شرب الخمر، وأتوا به مقيداً مغلولاً من الشام إلى مصر، ثم أفرج عنه، وعاد إلى دمشق، فتوفي بالطاعون ، توفى سنة ٧٧١هـ،الأعلام للزركلى، ١٨٤/٤

السبع لم يختلف في تواترها، وقد ذكرنا أولا موضع الإجماع، ثم عطفنا عليه موضع الخلاف، على أن القول بأن القراءات الثلاث غير متواترة في غاية السقوط ولا يصح القول به عمن يعتبر قوله في الدين وهي – أعني القراءات الثلاث – قراءة يعقوب وخلف وأبي جعفر بن القعقاع، لا تخالف رسم المصحف (١)

وما ذهب إليه تاج الدين السبكي ، وابن الجزري ، قال به ابن جزى ، والتزم به في تفسيره، وهذا هو مذهب جمهور العلماء.

والملاحظ أن ابن جزى اهتم بذكر القراءات القرآنية في تفسيره ويرجح بينها، فمثلاً عند تفسير قوله تعالى (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) يقول: الفائدة السابعة: "ملك" قراءة الجماعة بغير ألف من الملك، وقرأ عاصم، والكسائي، بالألف والتقدير على هذا: مالك مجيء يوم الدين، أو مالك الأمر يوم الدين، وقراءة الجماعة أرجح من ثلاثة أوجه، الأوّل: أنّ الملك أعظم من المالك إذ قد يوصف كل أحد بالمالك لماله، وأما الملك فهو سيد الناس، والثاني: قوله: وله الملك يوم ينفخ في الصور والثالث: أنها لا تقتضي حذفا، والأخرى تقتضيه لأنّ تقديرها مالك الأمر، أو مالك مجيء يوم الدين، والحذف على خلاف الأصل، وأمّا قراءة الجماعة فإضافة ملك إلى يوم الدين فهي على طريقة الاتساع، وأجري الظرف مجرى المفعول به (٢) .

وتارة يذكر القراءة ويدلل على توجيهها من أقوال الصحابة، فمثلاً عند تفسير قوله تعالى(حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ) (٣) قال: قرئ بالهمز على وزن فعلة أي ذات حمأة وقرئ بالياء

(١) النشر في القراءات العشر ٤٤/١

(٢) التسهيل ٦٥/١

(٣) الكهف ،آية ٨٦

على وزن فاعلة وقد اختلف في ذلك معاوية وابن عباس فقال ابن عباس: حمئة وقال معاوية حامية فبعثا إلى كعب الأحبار ليخبرهما بالأمر فقال: أما العربية فأنتما أعلما بها مني، ولكني أجد في التوراة أنها تغرب في ماء وطين، فوافق ذلك قراءة ابن عباس ومعنى حامية حارة، ويحتمل أن يكون بمعنى حمية ولكن سهلت همزته ويتفق معنى القراءتين. وقد قيل: يمكن أن يكون فيها حمئة ويكون حارة لحرارة الشمس فتكون جامعة للموضعين، ويجتمع معنى القراءتين (١)

والملاحظ أن ابن جزى عند ذكره للقراءات، لا يعزوها إلى أصحابها في الأعم الأغلب، وذلك موافق تماماً للمنهج الذى فرضه على نفسه في مقدمة تفسيره، وهو الاختصار وعدم التكرار ، معتمداً على الكتب التي ألفها في علم القراءات ،حيث قال: وأيضا فإنا لما عزمنا في هذا الكتاب على الاختصار حذفنا منه ما لا تدعو إليه الضرورة وقد ذكرنا في هذه المقدّمات بابا في قواعد أصول القراءات، فمثلاً عند تفسير قوله تعالى (وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ) (٢) قيل: القسطاس الميزان، وقيل: العدل وقرئ بكسر القاف وهي لغة (٣) .

باب في اختلاف القراء: عقد ابن جزى رحمه الله باباً لاختلاف القراء في قراءاتهم ، وهذا الباب ليس له علاقة بعلم التفسير، وإنما هو متعلق بعلم القراءات، وإن كان ذكره لا يخلو من عظيم فائدة، فقال: واعلم أنّ اختلاف القرّاء على نوعين: أصول، وفرش الحروف فأما الفرش: فهو ما لا يرجع إلى أصل مضطرد، ولا قانون كلي، وهو في وجهين: اختلاف على القراءة باختلاف المعنى، وباتفاق المعنى، وأما الأصول فالاختلاف

---

(١) التسهيل ٤٧٣/١

(٢) سورة الإسراء ،آية٣٥

(٣) التسهيل ٤٤٦/١

فيها لا يغير المعنى، وهي ترجع إلى ثمان قواعد: الأولى: الهمزة: وهي في حروف المدّ الثلاث، ويزاد فيها على المدّ الطبيعي بسبب الهمزة والتقاء الساكنين، الثانية وأصله التحقيق ثم قد يحقق على سبعة أوجه: إبدال واو، أو ياء، أو ألف وتسهيل بين الهمزة ،والواو، وبين الهمزة ،والياء، وبين الهمزة ، والألف، وإسقاط، الثالثة: الإدغام، والإظهار، والأصل الإظهار، ثم يحدث الإدغام في المثلين، أو المتقاربين وفي كلمة، وفي كلمتين، وهو نوعان: إدغام كبير انفرد به أبو عمرو: وهو إدغام المتحرّك، وإدغام صغير لجميع القرّاء: وهو إدغام الساكن. الرابعة: الإمالة، وهي أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة. وبالألف نحو الياء، والأصل الفتح، ويوجب الإمالة الكسرة والياء، الخامسة: الترقيق والتفخيم، والحروف على ثلاثة أقسام يفخم في كل حال، وهي حروف الاستعلاء السبعة ومفخم تارة ومرقق أخرى وهي الراء واللام والألف فأما الراء فأصلها التفخيم وترقق للكسر والياء، وأما اللّام فأصلها الترقيق وتفخم لحروف الأطباق وأما الألف فهي تابعة للتفخيم والترقيق لما قبلها، والمرقق على كل حال سائر الحروف، السادسة: الوقف، وهو على ثلاثة أنواع، سكون جائز في الحركات الثلاث وروم في المضموم والمكسور، وإشمام في المضموم خاصة، السابعة: مراعاة الخط في الوقف، الثامنة: إثبات الياءات وحذفها (١) .

(١) التسهيل ٢٣/١

المبحـــث الحـادي عشـــر
إعجـــاز القـــرآن

معجزة النبي ﷺ الكبرى كانت (القرآن الكريم) الذي تحدى به النبي ﷺ العرب جميعا مع فصاحتهم وبلاغتهم ونبوغهم، فإنهم قد عجزوا عن معارضة القرآن الكريم مع طول باعهم في الفصاحة والبلاغة، وقد ثبت أن النبي ﷺ تحدى العرب بالقرآن حينما كذبوه وعارضوه وقالوا إنه من صنع محمد، فطلب منهم– وهم عرب مثله– أن يأتوا بمثل هذا القرآن أو بشيء من مثله فلم يقدروا ولم يستطيعوا.

وقد سجّل القرآن الكريم هذا التحدي على مراحل ثلاث :

١ – تحداهم بالقرآن كله على أن يأتوا بمثله وهم أهل الفصاحة والبلاغة– فقال تعالى:﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ (١) فلم يقدروا فتنزل معهم إلى ما هو دون ذلك.

٢ – تحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله. حيث قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَياتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ، فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّما أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾ (٢) الآية فلم يستطيعوا فتدرج معهم إلى ما هو أقل من ذلك.

٣ – تنزل معهم في التحدي إلى أن يأتوا بسورة واحدة من القرآن– فما استطاعوا حيث قال تعالى:﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِه ﴾ (٣) ومع هذا لم يستطيعوا، ولقد كان سماع القرآن حجة

---

(١) سورة الإسراء، آية ٨٨

(٢) سورة هود، آية ١٣

(٣) سورة يونس، آية ٣٨

ملزمة لهم حيث قال تعالى : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ﴾ (١) سبحان الله الغالب.

والإعجاز هو إثبات العجز، والعجز هو: القصور عن فعل الشيء، وضده القدرة، فإذا ثبت الإعجاز ظهرت قدرة المعجز، والمراد بالإعجاز هنا: إظهار صدق النبيﷺ في دعوى الرسالة، بإظهار عجز العرب عندئذ عن معارضته ﷺ في معجزته الخالدة وهي (القرآن الكريم) وكذلك عجز الأجيال القادمة من بعدهم إلى ما شاء الله تعالى.

وأصل مادة معجزة ، يقول الراغب الأصفهانى: عجز الإنسان مؤخره، وبه شُبه مؤخرة غيره ، والعجز أصله التأخر عن الشيء وحصوله عند عجز الأمر ، أي مؤخره ،كما ذكر في الدبر ، وصار في التعارف اسماً للقصور عن فعل الشيء ، وهو ضد القدرة ، قال أعجزت فلاناً وعجزّته جعلته عاجزاً (٢)

قال ابن جزى رحمه الله: الباب الحادي عشر: في إعجاز القرآن وإقامة الدليل على أنه من عند الله عز وجل ويدل على ذاك عشرة أوجه:

الأوّل : فصاحته التي امتاز بها عن كلام المخلوقين.

الثاني : نظمه العجيب وأسلوبه الغريب من قواطع آياته وفواصل كلماته.

الثالث : عجز المخلوقين في زمان نزوله وبعد ذلك إلى الآن عن الإتيان بمثله.

الرابع : ما أخبر فيه من أخبار الأمم السالفة والقرون الماضية ولم يكن النبي ﷺ تعلم ذلك ولا قرأه في كتاب.

الخامس : ما أخبر فيه من الغيوب المستقبلة فوقعت على حسب ما قال.

السادس: ما فيه من التعريف بالباري ﷻ. وذكر صفاته وأسمائه، وما

---

(١) سورة التوبة ، آية ٦

(٢) المفردات للراغب الإصفهانى صـ٥٤٨

يجوز عليه. وما يستحيل عليه، ودعوة الخلق إلى عبادته وتوحيده، وإقامة البراهين القاطعة، والحجج الواضحة، والردّ على أصناف الكفار، وذلك كله يعلم بالضرورة أنه لا يصل إليه بشر من تلقاء نفسه، بل بوحي من العليم الخبير، ولا يشك عاقل في صدق من عرف الله تلك المعرفة وعظم جلاله ذلك التعظيم ودعا عباد الله إلى صراطه المستقيم.

السابع: ما شرع فيه من الأحكام وبين من الحلال والحرام، وهدى إليه من مصالح الدنيا والآخرة، وأرشد إليه من مكارم الأخلاق، وذلك غاية الحكمة وثمرة العلوم. الثامن: كونه محفوظا عن الزيادة والنقصان، محروسا عن التغيير والتبديل على طول الزمان، بخلاف سائر الكتب.

التاسع : تيسيره للحفظ وذلك معلوم بالمعاينة.

العاشر : كونه لا يمله قارئه ولا سامعه على كثرة الترديد، بخلاف سائر الكلام.

من خلال عرض كلام ابن جزى نرى أنه يقول بتعدد وجوه إعجاز القرآن الكريم ، ويؤكد هذا عند تفسيره لقوله تعالى (قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ) (١) عجز الخلق عن الإتيان بمثله لما تضمنه من العلوم الإلهية، والبراهين الواضحة والمعاني العجيبة التي لم يكن الناس يعلمونها، ولا يصلون إليها، ثم جاءت فيه على الكمال، وقال أكثر الناس: إنهم عجزوا عنه لفصاحته وحسن نظمه، ووجوه إعجازه كثيرة قد ذكرنا في غير هذا منها خمسة عشر وجهاً " ظَهِيراً " أي معينا "وَلَقَدْ صَرَّفْنا لِلنَّاسِ فِي هذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ" أي

(١) الإسراء ٨٧

بينا لهم كل شيء من العلوم النافعة، والبراهين القائمة، والحجج الواضحة، وهذا يدل على إن إعجاز القرآن بما فيه من المعاني والعلوم كما ذكرنا (١) .

ويلاحظ أن ابن الجوزي في تفسيره لم يزد عما ذكره في مقدمته من وجوه اعجاز القرآن ، مع أنه قال هنا (ووجوه إعجازه كثيرة قد ذكرنا في غير هذا منها خمسة عشر وجهاً)

وقد تعددت مناهج العلماء في ذكر وجوه اعجاز القرآن:

ذهب الجاحظ (٢) إلى أن الإعجاز كائن في نظمه وتأليفه (٣) ، وهو يرد في ذلك على شيخه إبراهيم بن سيّار النظّام (٤) ، الذي زعم أن إعجاز القرآن كائن في أن الله تعالى صرف العرب عن معارضته، ولولا ذلك لكان في مقدورهم الإتيان بمثله، وسمّي هذا المذهب بالصّرفة، وهو قول أنكره جمهور علماء الأمة وردوه (٥) .

---

(١) التسهيل جـ١ صـ٤٥٤

(٢) الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب البصري المعتزلي، صاحب التصانيف، أخذ عن النظام ،مات سنة خمسين ومائتين، سير أعلام النبلاء،١١/٥٢١

(٣) اعجاز القرآن للخطابي صـ٢٢، إعجاز القرآن للباقلاني صـ٢٩، البرهان للزركشي ٩٣/٢

(٤) النظام : شيخ المعتزلة ، صاحب التصانيف أبو إسحاق إبراهيم بن سيار مولى آل الحارث بن عباد الضبعي البصري المتكلم . تكلم في القدر، وانفرد بمسائل، وهو شيخ الجاحظ، مات في خلافة المعتصم أو الواثق، سنة بضع وعشرين ومائتين. سير أعلام النبلاء١٠/٥٤٢

(٥) قال الإمام السيوطي : ثم زعم النظام أن إعجازه بالصرفة أي أن الله صرف العرب عن معارضته وسلب عقولهم وكان مقدورا لهم لكن عاقهم أمر خارجي فصار كسائر المعجزات وهذا قول فاسد بدليل: {قل لئن اجتمعت الأنس والجن} الآية فإنه يدل على عجزهم مع بقاء قدرتهم ولو سلبوا القدرة لم يبق لهم فائدة لاجتماعهم لمنزلته منزلة اجتماع الموتى وليس عجز الموتى مما يحتفل بذكره هذا مع أن الإجماع منعقد على إضافة الإعجاز إلى القرآن فكيف يكون معجزا وليس فيه صفة إعجاز بل المعجز هو الله تعالى حيث سلبهم القدرة على الإتيان بمثله، وأيضا فيلزم من القول بالصرفة زوال الإعجاز بزوال زمان التحدي وخلو القرآن من الإعجاز وفي ذلك خرق لإجماع الأمة أن معجزة الرسول العظمى باقية =

ويلخص الخطابي رأيه في إعجاز القرآن بقوله: «واعلم أن القرآن إنما صار معجزاً لأنه جاء بأفصح الألفاظ، في أحسن نظوم التأليف، مضمّنا أصح المعاني (١).

وذهب الرماني (٢) إلى أن وجوه إعجاز القرآن تظهر من سبع جهات:

ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة، والتحدي للكافة، والصّرفة، والبلاغة، والأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلة، ونقض العادة، وقياسه بكل معجزة (٣)

وذهب القاضي عياض (٤) إلى أن وجوه الإعجاز الرئيسية في أربعة هي:

أولها: حسن تأليفه، والتئام كلمه، وفصاحته، وبلاغته الخارقة عادة العرب.

=ولا معجزة له باقية سوى القرآن قال القاضي أبو بكر: ومما يبطل القول بالصرفة أنه لو كانت المعارضة ممكنة وإنما منع منها الصرفة لم يكن الكلام معجزا وإنما يكون بالمنع معجزا فلا يتضمن الكلام فضيلة على غيره في نفسه قال: ليس هذا بأعجب من قول فريق منهم إن الكل قادرون على الإتيان بمثله وإنما تأخروا عنه لعدم العلم بوجه ترتيب لو تعلموه لوصلوا إليه به ولا بأعجب من قول آخرين إن العجز وقع منهم وأما من بعدهم ففي قدرته الإتيان بمثله وكل هذا لا يعتد به.انظر الاتقان٨/٤ ، البرهان للزركشى٩٤/٢ ،الجامع لأحكام القرآن٧٥/١

(١) بيان إعجاز القرآن صـ٢٧

(٢) الرمانى: العلامة أبو الحسن ، علي بن عيسى الرماني النحوي المعتزلي ،صنف في التفسير ، واللغة ، والنحو ، والكلام، مات سنة أربع وثمانين وثلاثمائة عن ثمان وثمانين سنة ، سير أعلام النبلاء ٥٣٤/١٦

(٣) النكت في إعجاز القرآن للرمانى ٧٥، ثلاث رسائل في اعجاز القرآن ، ط/دار المعارف، الثالثة

(٤) الإمام العلامة الحافظ الأوحد ، شيخ الإسلام القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض اليحصبي الأندلسي ، ثم السبتي المالكي. ، توفي في سنة أربع وأربعين وخمسمائة ، سير أعلام النبلاء ٢١٢/٢٠

والثاني: صورة نظمه العجيب، والأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام العرب. وكلا هذين الوجهين يرجع إلى الناحية البيانية في القرآن

والثالث: ما انطوى عليه من الإخبار بالمغيبات، وما لم يكن ولم يقع، فوجد كما ورد، على الوجه الذي أخبر.

والرابع: ما أنبأ من أخبار القرون السالفة والامم البائدة (١)

وقال ابن عطية: الصحيح والذي عليه الجمهور والحذاق في وجه إعجازه أنه بنظمه وصحة معانيه وتوالي فصاحة ألفاظه ووجه إعجازه أن الله أحاط بكل شيء علما وأحاط بالكلام كله علما فإذا ترتبت اللفظة من القرآن علم بإحاطته أي لفظة تصلح أن تلي الأولى ويتبين المعنى بعد المعنى ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره والبشر معهم الجهل والنسيان والذهول ومعلوم بالضرورة أن أحداً من البشر لا يحيط بذلك وبهذا جاء نظم القرآن في الغاية القصوى من الفصاحة وبهذا النطق يبطل قول من قال: إن العرب كان في قدرتها الإتيان بمثله فلما جاءهم النبي ﷺ صرفوا عن ذلك وعجزوا (٢) .

وذهب القرطبى إلى أن وجوه اعجاز القرآن عشرة، منها ما يتعلق بنظمه وتأليفه، ومنها ما يتعلق بمعانيه وأحكامه، مما لا يخرج أكثره عن الوجوه التي ذكرها العلماء قبله (٣) .

وذكر بدر الدين الزركشي اثني عشر وجهاً من وجوه الإعجاز، هي تلخيص لجهود سابقيه، فقال أجمع أهل التحقيق على أن الإعجاز وقع بجميع ما سبق من الأقوال لا بكل واحد على انفراده فإنه جمع ذلك كله

---

(١) الشفا ١/٤٩١، الاتقان للسيوطى ١٦/٤

(٢) المحرر الوجيز ٥٢/١

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٧٣/١

فلا معنى لنسبته إلى واحد منها بمفرده مع اشتماله على الجميع [١]

وجمع جلال الدين السيوطي جهود السابقين له في موضوع الإعجاز في كتابه الكبير (الإتقان في علوم القرآن) [٢] كما أنه ألّف كتاباً في الموضوع سماه (معترك الإقران في إعجاز القرآن) في ثلاثة أجزاء كبيرة، وذكر فيه أن بعض العلماء أنهى وجوه إعجازه إلى ثمانين وجهاً، وبلغ ما ذكره هو خمسة وثلاثين وجهاً، استغرق الوجه الأخير أكثر من ثلثي الكتاب، وهو في (ألفاظ القرآن المشتركة)، وقال في أول كلامه فيه: «وهذا الوجه من أعظم وجوه إعجازه، حيث كانت الكلمة الواحدة تتصرف إلى عشرين وجهاً، وأكثر وأقل، ولا يوجد ذلك في كلام البشر[٣] .

وعلى كلٍ فلم يخرج ابن جزى في كلامه عن اعجاز القرآن عن مذهب الجمهور ويظهر هذا جلياً خلال تفسيره فمثلاً عند تفسير قوله تعالى(وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) [٤] قال: (وَلَنْ تَفْعَلُوا) اعتراض بين الشرط وجوابه فيه مبالغة وبلاغة، وهو إخبار ظهر مصداقه في الوجود إذ لم يقدر أحد أن يأتي بمثل القرآن، مع فصاحة العرب في زمان نزوله، وتصرفهم في الكلام، وحرصهم على التكذيب، وفي الإخبار بذلك معجزة أخرى، وقد اختلف في عجز الخلق عنه على قولين: أحدهما: أنه ليس في قدرتهم الإتيان بمثله وهو الصحيح، والثاني: أنه كان في قدرتهم وصرفوا عنه، والإعجاز حاصل على الوجهين، وقد بيّنا سائر وجوه إعجازه

---

(١) البرهان ١٠٦/٢

(٢) الاتقان ٣/٤–٢٨

(٣) معترك الأقران في إعجاز القرآن،السيوطي،صـ١٢١، ط/ دار الكتب العلمية ،بيروت ، لبنان الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م

(٤) البقرة آية ٢٣

في المقدّمة [١] ، وإليه ذهب جمهور المفسرين

قال ابن عطية: واختلف المتأولون على من يعود الضمير في قوله "مثله": فقال جمهور العلماء: هو عائد على القرآن ثم اختلفوا، فقال الأكثر من مثل نظمه ورصفه وفصاحة معانيه التي يعرفونها ولا يعجزهم إلا التأليف الذي خص به القرآن، وبه وقع الإعجاز على قول حذاق أهل النظر، وقال بعضهم: من مثله في غيوبه وصدقه وقدمه، فالتحدي عند هؤلاء وقع بالقدم، والأول أبين [٢] ، وبه قال ابن كثير [٣] والزمخشرى [٤] ، والقرطبى [٥] ، وابن عاشور [٦]

(١) التسهيل ٧٦/١

(٢) المحرر الوجيز:١٠٦/١

(٣) تفسير ابن كثير:١٠٨/١

(٤) الكشاف: ٩٩/١

(٥) الجامع لأحكام القرآن ٢٣٢/١

(٦) التحرير والتنوير:٣٣٦/١

المبحث الثاني عشر

أسباب الخلاف بين المفسرين والوجوه التي يرجح بها بين أقوالهم

أولاً : أسباب الخلاف بين المفسرين:

إن دراسة اختلاف المفسرين ، ومعرفة أسبابه، وأنواعه وضوابطه من الأمور الضرورية التي لا غني عنها ؛ لمعرفة كيف نتعامل مع كتب التفسير ، سيما ما ورد فيها من أقوال متعددة متنوعة، ومعرفة كيف نميز بين الاختلاف المحمود وبين الاختلاف المذموم ، وكيف نرد على أعداء ديننا الذين جعلوا من الاختلاف ذريعة للطعن في كتاب الله تعالى، بل وجعلوا من الأقوال الشاذة والروايات الواهية ملمزاً ومُدَّخلًا لمطاعنهم وأباطيلهم .

الاختلاف لغة :ضد الاتفاق، والاختلاف والمخالفة: أن يأخذ كل واحد طريقاً غير طريق الآخر في حاله أو قوله، والخلاف أعم من الضد، لأن كل ضدين مختلفان، وليس كل مختلفين ضدين، ولما كان الاختلاف بين الناس في القول قد يقتضي التنازع استعير ذلك للمنازعة والمجادلة (١) ، والاختلاف يستند إلي دليل، أما الخلاف فإنه لا يستند إلي دليل .

وفي الاختلاف يكون الطريق مختلفاً والمقصود واحداً، أما الخلاف فكلاهما مختلف (٢)

وقال بعضهم: الاختلاف يستعمل في قول بُني علي دليل، والخلاف فيما لا دليل عليه (٣)

---

(١) المفردات للراغب الأصفهانى ،٢٩٤/١،مادة خلف، المصباح المنير ١٧٨/١، كتاب الخاء، مادة خلف

(٢) الكليات لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، صـ ٦١

(٣) القاموس المبين في اصطلاحات الأصوليين، للدكتور محمود حامد عثمان صـ ٢٧

والذي أراه أن الاختلاف قد يراد به اختلاف التنوع وقد يراد به اختلاف التضاد وكذلك الخلاف قد يرد لأحد المعنيين .

قال ابن جزى : الباب الخامس: في أسباب الخلاف بين المفسرين. والوجوه التي يرجح بها بين أقوالهم. فأما أسباب الخلاف فهي اثنا عشر: الأول: اختلاف القراءات، الثاني: اختلاف وجوه الإعراب وإن اتفقت القراءات، الثالث: اختلاف اللغويين في معنى الكلمة، الرابع: اشتراك اللفظ بين معنيين فأكثر، الخامس: احتمال العموم والخصوص، السادس: احتمال الإطلاق أو التقييد، السابع: احتمال الحقيقة أو المجاز، الثامن: احتمال الإضمار أو الاستقلال، التاسع: احتمال الكلمة زائدة. العاشر: احتمال حمل الكلام على الترتيب وعلى التقديم والتأخير، الحادي عشر: احتمال أن يكون الحكم منسوخاً أو محكماً، الثاني عشر: اختلاف الرواية في التفسير عن النبيﷺ وعن السلف ﷺ .

ذكر ابن جزى رحمه الله تعالى عدة أسباب لاختلاف المفسرين عند تعرضهم لتفسير كتاب الله تعالى وبيانها على النحو التالى:

١ – اختلاف القراءات ،فاختلاف القراءات المتواترة فيه ثراء للمعنى وتوضيح له وتقرير، وينبغى أن يعلم أنه ليس كل اختلاف بين هذه القراءات يسبب الاختلاف فى أوجه التفسير ،وذلك كاختلاف القراء فى وجوه النطق بالحروف والحركات، كمقادير المد والإمالات، والتخفيف والتسهيل والتحقيق والجهر والهمس، والغنة والإخفاء، ومزية القراءات من هذه الجهة راجعة إلى أنها حفظت على أبناء اللغة العربية ما لم يحفظه غيرها، وهو تحديد كيفيات نطق العرب بالحروف فى مخرجها وصفاتها، وبيان اختلاف العرب فى لهجات النطق، وهذا غرض مهم جداً لكنه لا علاقة له بالتفسير لعدم تأثيره فى اختلاف معانى الآى. فمثلاً عند تفسير

قوله تعالى : (وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ) (١) ، قال ابن جزى : "هَيْتَ لَكَ" (٢) اسم فعل معناه تعال وأقبل، وقرئ بفتح الهاء وكسرها وبفتح التاء وضمها، والمعنى في ذلك كله واحد، وحركة التاء للبناء، وأما من قرأ بالهمز فهو فعل من تهيأت كقولك: جئت (٣) وأيضاً يمكن أن تختلف القراءتان في اللفظ والمعنى مع امتناع جواز اجتماعهما في شئ واحد ، لكن يتفقان من وجه آخر لا يقتضي التضاد، ومن ذلك ما ذكره ابن جزى عند تفسير قوله تعالى (حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ) (٤) ، قال : قرئ بتشديد الذال وتخفيفها ، فأما التشديد (٥) فالضمير في ظنوا وكذبوا للرسل، والظن يحتمل أن يكون

---

(١) يوسف، آية ٢٣

(٢) قرأ نافع وابن ذكوان عن ابن عامر، وأبو جعفر بكسر الهاء وفتح التاء، (هِيتَ) وقرأ ابن كثير بفتح الهاء وضم التاء (هَيْتُ) وقرأ الباقون بفتح الهاء وسكون التاء (هَيتْ) ، وقرأ هشام – كما روي عنه إبراهيم بن عباد – هِئتُ لك بكسر الهاء وضم التاء أي تهيأت لك ، ومدار القراءات حول معنى واحد وهو : هلم وأقبل فلقد تهيأت لك ، انظر اتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ٣٣٠/١

(٣) التسهيل ٣٨٤/١

(٤) يوسف ١١٠

(٥) قَرَأَ أهل الْحجاز وَالْبَصْرَة وَالشَّام {كذبُوا} بِالتَّشْدِيدِ، ومعنى الآية حتى إذا استيأس الرسل من إيمان قومهم وظنوا أي أيقنوا أن قومهم قد كذبوهم جاءهم نصرنا أي جاء الرسل نصرنا وقال قوم ليس الظن بمعنى اليقين بل لفظه معناه قالوا ومعنى الآية حتى إذا استيأس الرسل ممن كذبهم من قومهم أن يصدقوهم وظنت الرسل بأن من قد آمن بهم من قومهم قد كذبوهم جاءهم نصر الله عند ذلك قالت عائشة رضي الله عنها لم يزل البلاء بالرسل حتى خافوا أن يكون من معهم من المؤمنين قد كذبوهم، و قرأ أهل الكوفة {وظنوا أنهم قد كذبوا} بالتخفيف ، وفيها وجهان من التفسير أحدهما حتى إذا استيأس الرسل من إيمان قومهم وظن قومهم أن الرسل قد كذبوا بمعنى أخلفوا ما وعدوه ن النصر جاء الرسل نصرنا فجعل الضمير في قوله {ظنوا} للقوم وجعل الظن موافقا لفظه معناه فإن قيل كيف يجوز أن يحمل الضمير في {ظنوا} على القوم والذي تقدم ذكره الرسل قيل إن ذلك لا يمتنع لأن ذكر الرسل يدل على المرسل إليهم فلهذا جاز أن يحمل الضمير على المرسل إليهم والوجه الآخر حتى إذا

على بابه، أو بمعنى اليقين: أي علم الرسل أن قومهم قد كذبوهم فيئسوا من إيمانهم، وأما التخفيف، فالضميران فيه للقوم المرسل إليهم، أي ظنوا أن الرسل قد كذبوهم فيما ادعوه من الرسالة، أو من النصرة عليهم (١) ، وعلى هذا فلا تعارض بين القراءتين .

٢- اختلاف وجوه الإعراب وإن اتفقت القراءات، ومثل ذلك كثير في تفسير ابن جزى، فمثلاً عند تفسير قوله تعالى (وَإِذا كالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ) (٢) ذكر اختلاف العلماء في الضمير "هم" فقال: معنى يخسرون ينقصون حقوق الناس وهو من الخسارة، يقال: خسر الرجل وأخسره غيره إذا جعله يخسر، وكالوهم معناه: كالوا لهم أو وزنوهم معناه وزنوا لهم، ثم حذف حرف الجرّ فانتصب المفعول لأن هذين الفعلين يتعدى كل واحد منهما تارة بنفسه، وتارة بحرف الجرّ يقال: كلتك وكلت لك ووزنتك، ووزنت لك بمعنى واحد، وحذف المفعول الثاني، وهو المكيل والموزون، والواو التي هي ضمير الفاعل للمطففين والهاء الذي هي ضمير المفعول للناس، فالمعنى إذا كالوا أو وزنوا لهم طعاماً أو غيره مما يكال أو يوزن يخسرونهم حقوقهم، وقيل: إن "هم" في "كالوهم أو وزنوهم" تأكيد للضمير الفاعل ،وروي عن حمزة أنه كان يقف على" كالوا ووزنوا"، ثم يبتدئ "هم" ليبين هذا المعنى وهو ضعيف من وجهين، أحدهما: أنه لم يثبت في المصحف ألف بعد الواو في" كالوا ووزنوا" فدلّ ذلك على أن هم ضمير المفعول، والآخر أن المعنى على هذا أن المطففين إذا تولوا الكيل

استيأس الرسل من إيمان قومهم وظن قومهم أن الرسل قد كذبتهم فيما أخبروهم به من أنهم إن لم يؤمنوا بهم نزل بهم العذاب ثم رد إلى ما لم يسم فاعله فقيل إنهم كناية عن القوم، حجة القراءات، ابن زنجلة صـ٣٦٥

(١) التسهيل ٣٩٨/١

(٢) المطففين آية ٣

أو الوزن نقصوا، وليس ذلك بمقصود لأن الكلام واقع في الفعل لا في المباشر، ألا ترى أنّ "اكتالوا على الناس" معناه: قبضوا منهم وكالوهم أو وزنوهم معناه: دفعوا لهم، فقابل القبض بالدفع، وأما على هذا الوجه الضعيف فهو خروج عن المقصود.

قال ابن عطية (١) : ظاهر الآية أن الكيل والوزن على البائعين وليس ذلك بالجلي، قال: صدر الآية في المشترين، فهم الذين يستوفون أو يشاحّون ويطلبون الزيادة ، وقوله : " وإذا كالوهم أو وزنوهم " في البائعين فهم الذين يخسرون المشتري (٢) .

٣ – اختلاف اللغويين في معنى الكلمة، ومن ذلك ما ذكره ابن جزى عند تفسير قوله تعالى : (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) (٣) قال : فالصراط المستقيم الإسلام، وقيل القرآن، والمعنيان متقاربان، لأنّ القرآن يضمن شرائع الإسلام (٤) ومن ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى (فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ) (٥) ، قال: الْمُخْبِتِينَ الخاشعين وقيل: المتواضعين، وقيل: نزلت في أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعليّ، وكذلك قوله بعد ذلك: وبشر المحسنين واللفظ فيهما أعم من ذلك (٦) .

٤ – اشتراك اللفظ بين معنيين فأكثر، والمراد بالاشتراك في اللفظ ، هو الجمع بين المعاني المختلفة متضادة أو لا ،في لفظة واحدة، ولما استعمل القرآن الكريم ألفاظاً مشتركة ، كانت سبباً لاختلاف العلماء في استنباط الأحكام ، قال ابن جزى عند تفسير قوله تعالى (وَالْمُطَلَّقَاتُ

---

(١) المحرر الوجيز ٤٥٠/٥

(٢) التسهيل ٤٦١/٢

(٣) الفاتحة آية ٦

(٤) التسهيل ٦٦/١

(٥) الحج ،آية ٣٤

(٦) التسهيل ،٤٠/٢

يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ) [١] و"قروء": جمع قرء، وهو مشترك في اللغة بين الطهر والحيض، فحمله مالك، والشافعي، على الطهر، لقول عائشة: الأقراء هي الأطهار [٢] ، وحمله أبو حنيفة على الحيض، لأنه الدليل على براءة الرحم، وذلك مقصود العدّ [٣] .

قال الإمام الشوكاني: : " قال أبو عمرو بن العلاء: من العرب من يسمي الحيض قرءاً ومنهم من يسمي الطهر قرءاً ومنهم من يجمعهما جميعاً فيسمي الحيض مع الطهر قرءاً ، وينبغي أن يعلم أن القرء في الأصل الوقت يقال هبت الرياح لقرئها ولقارئها أي: لوقتها، ومنه قول الشاعر

كرهت العقر عقر بني شليل .:. إذا هبت لقارئها الرياح [٤]

فيقال للحيض قرء ، وللطهر قرء ، لأن كل واحد منهما له وقت معلوم، وقد أطلقته العرب تارة على الأطهار، وتارة على الحيض .. والحاصل أن القرء في لغة العرب : مشترك بين الحيض ، والطهر، ولأجل هذا الاشتراك اختلف أهل العلم في تعيين ما هو المراد بالقرء المذكورة في الآية ،فقال أهل الكوفة: هي الحيض وهو قول عمر، وعلي، وابن مسعود، وأبي موسي، ومجاهد، وقتادة، والضحاك، وعكرمة، والسدي، وأحمد بن حنبل، وقال أهل الحجاز :هي الأطهار وهو قول عائشة ، وابن عمر، وزيد بن ، ثابت ،والزهري ، وأبان بن عثمان ، والشافعي ﷺ ..." [٥]

---

(١) سورة البقرة، آية ٢٢٨

(٢) جامع البيان ٥٠٦/٤

(٣) التسهيل:١٢٢/١

(٤) البيت لمالك بن الحارث الهذلي، انظر، شرح أشعار الهذليين (٢٣٧/١-٢٤١)، حققه عبد الستار فراج، مكتبة دار العروبة

(٥) فتح القدير:الشوكاني،٢٧٠/١، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت: الأولى – ١٤١٤ هـ

٥ – احتمال العموم والخصوص، قد ينشأ عن استعمال العموم في الخصوص خلاف في المراد، وقد يستعمل اللفظ العام في محل الخاص حسب ما تقتضيه الحال، قال ابن جزى عند تفسير قوله تعالى ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾ (١)، لما خرج رسول اللهﷺ إلى حمراء الأسد بعد أحد (٢): بلغ ذلك أبا سفيان فمر عليه ركب من عبد القيس يريدون المدينة بالميرة فجعل لهم حمل بعير من زبيب على أن يثبطوا المسلمين عن إتباع المشركين، فخوفوهم بهم، فقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل فخرجوا، فالناس الأول: ركب عبد القيس، والناس الثاني: مشركو قريش وقيل: نادى أبو سفيان يوم أحد: موعدنا ببدر في القابل، فقال رسول الله ﷺإن شاء الله ،فلما كان العام القابل خرج رسول الله ﷺ إلى بدر للميعاد، فأرسل أبو سفيان نعيم بن مسعود الأشجعي ليثبط المسلمين، فعلى هذا الناس الأول نعيم، وإنما قيل له: الناس وهو واحد: لأنه من جنس الناس: كقولك ركبت الخيل إذا ركبت فرساً (٣) .

قلت : فالمراد "بالذين " في الآية المؤمنون خاصة ، ولم يقل كل الناس هذه المقالة ، وإنما القائل واحد ، وهو نعيم بن مسعود، كما أنه لم يترصد لهم كل البشر، وإنما فعله بعضهم، وهو أبو سفيان وأصحابه وهم المعنيون بلفظة "الناس" الثانية

قلت : والأصل بقاء العام علي عمومه ما لم يرد له مخصصاً.

٦ – احتمال الإطلاق أو التقييد، ومن أسباب الاختلاف أيضاً: الاختلاف في الإطلاق والتقييد ؛ والإطلاق تناول واحد غير معين،

---

(١) سورة آل عمران ، آية ١٧٣

(٢) البداية والنهاية،٤/٨٤

(٣) التسهيل١/١٧٢

والتقييد تناول واحد معين أو موصوف بوصف زائد [١] .

فقد يري بعض المفسرين بقاء المطلق علي إطلاقه، وقد يقول بعضهم بتقييد هذا المطلق بقيد ما، قال ابن جزى عند تفسير قوله تعالى(إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ) [٢] ، "وَالدَّمَ" يريد المسفوح لتقييده بذلك في سورة الأنعام [٣] ، فاتحد الحكم وهو تحريم الدم ،كما اتحد السبب وهو وجود الضرر والأذى ،فيحمل المطلق على المقيد هنا.

ومن ذلك عتق الرقبة في كفارة اليمين وكفارة الظهار فقد وردت مطلقة، فعند تفسير قوله تعالى (فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ) [٤] ، قال ابن جزى: اشترط مالك فيها أن تكون مؤمنة، لتقيدها بذلك في كفارة القتل [٥] ، فحمل هذا المطلق على ذلك المقيد، وأجاز أبو حنيفة هنا عتق الكافرة، لإطلاق اللفظ هنا، واشترط مالك أيضاً أن تكون سليمة من العيوب، وليس في اللفظ ما يدل على ذلك [٦] ، فحمل بعض المفسرين المطلق علي المقيد، وقالوا: لا تجزئ الرقبة الكافرة ، وأبقى بعضهم المطلق على إطلاقه ، والأولى بقاء المطلق علي إطلاقه ما لم برد ما يقيده ، وإذا دار اللفظ

---

(١) روضة الناظر وشرحها ١٩١/٢

(٢) سورة البقرة آية ١٧٣

(٣) التسهيل ١٠٧/١

(٤) المائدة ،آية ٨٩

(٥) والمراد قوله تعالى :"وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلاَّ خَطَئًا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَئًا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَي أَهْلِهِ إِلاَّ أَن يَصَّدَّقُواْ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَي أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةً فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللهِ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا "سورة النساء {٨٩

(٦) التسهيل ٢٤٢/١

بين الإطلاق والتقييد فإنه يحمل علي الإطلاق ؛ لأن الأصل بقاء الشيء على ما كان عليه.

٧- احتمال الحقيقة أو المجاز: ومن ذلك كثير في تفسير ابن جزى، فمثلاً عند تفسير قوله تعالى (فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ) (١) : قال : أن يسقط وإسناده الإرادة إلى الجدار مجاز، ومثل ذلك كثير في كلام العرب (٢) ، وعند تفسير قوله تعالى (وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ) (٣) ، قال: وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ تقديره : واسأل أهل القرية، وكذلك أهل العير: يعنون الرفقة، هذا هو قول الجمهور وقيل: المراد سؤال القرية بنفسها والعير بنفسها، ولا يبعد أن تخبره الجمادات، لأنه نبيّ والأول أظهر وأشهر على أنه مجاز، والقرية هنا هي مصر (٤)

٨- احتمال الإضمار أو الاستقلال، فمثلاً عند تفسير قوله تعالى (يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ) (٥) قال: "يُخادِعُونَ" أي يفعلون فعل المخادع، ويرومون الخدع بإظهار خلاف ما يسرون، وقيل: معناه يخدعون رسول الله ﷺ، والأوّل أظهر" وَما يَخْدَعُونَ إِلَّا أنفسهم "أي وبال فعلهم راجع عليهم، وقرئ: "وما يخدعون" بفتح الياء من غير ألف من خدع وهو أبلغ في المعنى، لأنه يقال خادع إذا رام الخداع، وخدع إذا تم له، فقوله يخادعون" من الخدع وهو الإخفاء والإبهام، وهو أن يوهم صاحبه خلاف ما يريد به من المكروه ، والمخادعة

---

(١) الكهف آية ٧٧

(٢) التسهيل ٤٧١/١

(٣) يوسف ،آية ٨٢

(٤) التسهيل ٣٩٤/١

(٥) البقرة ،آية٩

تقتضى المشاركة من الجانبين ، والله سبحانه منزه عن ذلك ؛ لأنه لا يخدع، وأجيب عن ذلك بأنه من باب الإضمار أى: يخادعون رسول الله، وقيل: هو من الاستقلال وليس الإضمار ، والمعنى: إن صورة صنيعهم – يعنى المنافقين – مع الله تعالى حيث يتظاهرون بالإيمان وهم كافرون، وصورة صنيع الله معهم، حيث أمر بإجراء أحكام المسلمين عليهم وهم في الدرك الأسفل من النار، وصورة صنيع المؤمنين معهم حيث امتثلوا أمر الله تعالى فيهم، فأجروا ذلك عليهم، تشبه صورة المخادعة.

ففي الكلام إما استعارة تبعية أو تمثيلية في الجملة ، أو بأن المفاعلة ليست على بابها ، فإن فاعل قد يأتي بمعنى فعل مثل: عافاني الله ، وقتلهم الله (١)

٩- احتمال الكلمة زائدة، فمثلاً عند تفسير قوله تعالى (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ) (٢) ، قال: فَبِما رَحْمَةٍ ما زائدة للتأكيد (٣) ، قال الإمام الطبري: يعني جل ثناؤه بقوله: "فبما رحمة من الله"، فبرحمة من الله، و"ما" صلة،... والعرب تجعل "ما" صلة في المعرفة والنكرة، كما قال: (فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ) (٤) ، والمعنى: فبنقضهم ميثاقهم. وهذا في المعرفة، وقال في النكرة: (عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ) (٥) ، والمعنى: عن قليل، وربما جعلت اسماً وهي في مذهب صلة، فيرفع ما بعدها أحيانًا على وجه الصلة، ويخفض على إتباع الصلة ما قبلها، فأما إذا كانت الصلة معرفة،

---

(١) أصول التفسير لخالد العك – صـ٦٤

(٢) آل عمران ،آية ١٥٩

(٣) التسهيل ١٦٩/١

(٤) النساء ،آية١٥٥

(٥) المؤمنون ،آية ٤٠

كان الفصيح من الكلام الإتباع، كما قيل: "فبما نقضهم ميثاقهم"، والرفع جائز في العربية (١) وإلى هذا ذهب غير واحد من المفسرين (٢) .

١٠ – احتمال حمل الكلام على الترتيب وعلى التقديم والتأخير، المراد بالتقديم والتأخير : "جعل اللفظ في رتبة قبل رتبته الأصلية أو بعدها لعارض اختصاص أو أهمية أو ضرورة " (٣) وللتقديم والتأخير في القرآن الكريم أسباب عديدة منها إفادة القصر والاختصاص، ومنها الاهتمام بالمقدم والتشويق للمؤخر، ومنها مراعاة الترتيب حسب الأسبقية أو حسب الأفضلية، ومنها عودة الضمير علي مذكور سابق، وغير ذلك يقول ابن جزى عند تفسير قوله تعالى (وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ) (٤) ،" وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً "هو أوّل قصة البقرة فمرتبته التقديم (إن الله يأمركم) قال الزمخشري: إنما أخر لتعدّد توبيخهم لقصتين وهما: ترك المسارعة إلى الأمر، وقتل النفس ولو قدّم لكان قصة واحدة بتوبيخ واحد (٥)

١١ – احتمال أن يكون الحكم منسوخاً أو محكماً، فقد يقول بعض المفسرين بالنسخ لمجرد التعارض، ولو أمعنوا النظر وأعملوا الفكر لما وجدوا تعارضاً بين النصوص يدعو إلى القول بالنسخ ، فإعمال النص خير من إهماله ، ولقد توسع المتقدمون في النسخ حتى أدخلوا فيه ما ليس منه فاعتبروا التخصيص، والبيان والتقييد من قبيل النسخ ، يقول ابن جزى عند تفسير قوله تعالى (وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ) (٦)

---

(١) جامع البيان،٣٤١/٧

(٢) انظر معان القرآن للفراء ٢٤٤/١

(٣) الإكسير في علم التفسير لسليمان الصرصري صـ ١٥٤

(٤) سورة البقرة ،آية٧٢

(٥) التسهيل ٨٧/١، الكشاف ،١٥٤/١

(٦) البقرة ،آية١٨٤

وكان ذلك في بدء الإسلام: فرض عليهم الصوم ، ولم يتعوّدوه فاشتدّ عليهم، فرخص لهم في الإفطار والفدية....وفيه وجهان: أحدهما نحو معنى يطيقونه. والثاني يكلفونه أو يتكلفونه على جهد منهم وعسر، وهم الشيوخ والعجائز، وحكم هؤلاء الإفطار والفدية، وهو على هذا الوجه ثابت غير منسوخ، ويجوز أن يكون هذا معنى يطيقونه، أى يصومونه جهدهم وطاقتهم ومبلغ وسعهم (١)

١٢ – اختلاف الرواية في التفسير عن النبي ﷺ وعن السلف ﷺ، من ذلك أنه قد لا يبلغ الحديث أحد الصحابة ولم يكن قد سمعه من رسول الله ﷺ فيجتهد في المسألة، فيدلي برأي مخالف لما قال به النبي ﷺ لكنه يتراجع عن رأيه حين يصله الحديث، فمثلاً عند تفسير قوله : (وَأُولاتُ الْأَحْمالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ) (٢) ، يقول ابن جزى : اللفظ مطلق في أولات الأحمال، فاشتمل على المطلقات والمتوفى عنهن، وكان ابن مسعود ، وأبىّ وأبو هريرة ،وغيرهم لا يفرقون، وعن على، وابن عباس: عدة الحامل المتوفى عنها أبعد الأجلين ،وعن عبد الله: من شاء لا عنته أنّ سورة النساء القصرى نزلت بعد التي في البقرة ، يعنى: أنّ هذا اللفظ مطلق في الحوامل. وروت أم سلمة أنّ سبيعة الأسلمية (٣) ولدت بعد وفاة زوجها بليال، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال لها: قد حللت فانكحي (٤)

---

(١) التسهيل ٢٢٦/١

(٢) الطلاق آية ٤

(٣) سبيعة بنت الحارث الأسلمية، زوج سعد ابن خولة لها صحبة، الإصابة في تمييز الصحابة،١٧١/٨،تقريب التهذيب،٧٤٨/١

(٤) التسهيل ٥٥٧/٤، والحديث أخرجه البخارى كتاب التفسير، باب {وَأُولاَتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ، وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا} (٤٩٠٩)،ومسلم في باب انقضاء عدة المتوفى عنها زوجها،(١٤٨٥)،والنسائى، كتاب الطلاق ،باب عدة المتوفى عنها زوجها(٣٥١٠)

ثانياً : وجوه الترجيح:

والوجه معروف، والجمع الوجوه. والوجه والجهة بمعنى، والهاء عوض من الواو. ويقال: هذا وجه الرأي، أي هو الرأي نفسه. والاسم الوجهة والوجهة بكسر الواو وضمها. والمواجهة: المقابلة. ويقال: قعدت وجاهك ووجاهك، أي قبالتك. واتجه له رأي، أي سنح (١) .

الترجيح: رجح: الراء والجيم والحاء أصل واحد، يدل على رزانة وزيادة. يقال: رجح الشيء، وهو راجح، إذا رزن، وهو من الرجحان (٢) .

وفى الاصطلاح: عرّفه الزركشي بقوله: تقوية إحدى الإمارتين على الأخرى بما ليس ظاهراً (٣) .

قال ابن جزى رحمه الله: وأما وجوه الترجيح فهي اثنا عشر: الأول: تفسير بعض القرآن ببعض، فإذا دل موضع من القرآن على المراد بموضع آخر حملناه عليه، ورجحنا القول بذلك على غيره من الأقوال. الثاني: حديث النبي ﷺ: فإذا ورد عنه عليه السلام تفسير شيء من القرآن عوّلنا عليه، لا سيما إن ورد في الحديث الصحيح، الثالث: أن يكون القول قول الجمهور وأكثر المفسرين: فإنّ كثرة القائلين بالقول يقتضي ترجيحه، الرابع: أن يكون القول قول من يقتدى به من الصحابة كالخلفاء الأربعة، وعبد الله بن عباس: لقول رسول الله ﷺ:"اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل" (٤) ، الخامس: أن يدل على صحة القول كلام العرب من اللغة

---

(١) منتخب من صحاح الجوهرى،٥٦٥٥/١

(٢) معجم مقاييس اللغة ،٤٨٩/٢

(٣) البحر المحيط في أصول الفقه، الزركشي،جـ٨،صـ١٤٥، ط : دار الكتبي الأولى، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م

(٤) أخرجه البخارى ،كتاب العلم ،باب قول النبي ﷺ: « اللهم علمه الكتاب » (٧٥)، ومسلم في فضائل الصحابة باب فضائل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما رقم (٢٤٧٧)،و أحمد في المسند عن ابن عباس٣٩١/١

والإعراب أو التصريف أو الاشتقاق، السادس: أن يشهد بصحة القول سياق الكلام ويدل عليه ما قبله أو ما بعده. السابع: أن يكون ذلك المعنى المتبادر إلى الذهن فإنّ ذلك دليل على ظهوره ورجحانه، الثامن: تقديم الحقيقة على المجاز، فإنّ الحقيقة أولى أن يحمل عليها اللفظ عند الأصوليين، وقد يترجح المجاز إذا كثر استعماله حتى يكون أغلب استعمالاً من الحقيقة ويسمى مجازاً راجحاً والحقيقة مرجوحة، وقد اختلف العلماء أيهما يقدم: فمذهب أبي حنيفة (١) تقديم الحقيقة لأنها الأصل ومذهب أبي يوسف (٢) تقديم المجاز الراجح لرجحانه، وقد يكون المجاز أفصح وأبرع فيكون أرجح، التاسع: تقديم العمومي على الخصوصي فإنّ العمومي أولى لأنه الأصل إلّا أن يدل دليل على التخصيص، العاشر: تقديم الإطلاق على التقييد، إلّا أن يدل دليل على التقييد. الحادي عشر: تقديم الاستقلال على الإضمار إلّا أن يدل دليل على الإضمار. الثاني عشر: حمل الكلام على ترتيبه إلّا أن يدل دليل على التقديم والتأخير(٣) .

ذكر ابن جزى رحمه الله تعالى عدة وجوه للترجيح بين أقوال المفسرين وهى على الوجه التالي:

١- تفسير بعض القرآن ببعض، فإذا دل موضع من القرآن على المراد بموضع آخر حملناه عليه، ورجحنا القول بذلك على غيره من الأقوال، يُرْجَع إلى القرآن لبيان القرآن؛ لأنه قد يَرِدُ إجمال في آية تبيّنه آية

---

(١) أبو حنيفة: عالم العراق أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطى التيمي ، الكوفي، ولد سنة ثمانين في حياة صغار الصحابة ، ورأى أنس بن مالك لما قدم عليهم الكوفة، توفى سنة خمسين ومائة وله سبعون سنة، سير أعلام النبلاء،٦/٣٩١

(٢) أبو يوسف: يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري الكوفي البغدادي، صاحب الإمام أبي حنيفة، وتلميذه، وأول من نشر مذهبه، ولد بالكوفة ، كان فقيها علامة، من حفاظ الحديث ،وكان واسع العلم بالتفسير، توفى سنة اثنتين وثمانين ومائة سير أعلام النبلاء ،٨/٥٣٦

(٣) التسهيل ،١/١٩

أخرى، وإبهام في آية توضّحه آية أخرى، وهكذا، وقد اعتمد هذا الوجه ابن جزى في تفسيره وقدمه على غيره من الوجوه فمثلاً عند تفسير قوله تعالى:﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (١) قلت: وقد أقام الله في القرآن براهين قاطعة على وحدانيته وذلك في القرآن كثير جداً أوضحها أربعة براهين: الأول قوله ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ ﴾ (٢) لأنه إذا ثبت أن الله تعالى خالق لجميع الموجودات، لم يمكن أن يكون واحد منها شريكاً له، والثاني قوله ﴿لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتا ﴾ (٣) والثالث قوله ﴿قُلْ لَوْ كانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَما يَقُولُونَ إِذاً لَابْتَغَوْا إِلى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾ (٤) والرابع قوله:﴿ وَما كانَ مَعَهُ مِنْ إِلهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلهٍ بِما خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ﴾ (٥) (٦) عند تفسير قوله تعالى : (وَالصَّافَّاتِ صَفًّا) (٧) ،قال: ثم اختلف فيها فقيل: هي الملائكة التي تصف في السماء صفوفاً لعبادة الله، وقيل: هو من يصف من بني آدم في الصلوات والجهاد، والأول أرجح لقوله حكاية عن الملائكة" وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ" (٨) .

وأيضاً عند تفسير قوله تعالى : (فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ) (٩) ، قال: الذي يوعدون يحتمل أن يريد يوم القيامة أو يوم هلاكهم ببدر، والأول أرجح لقوله في المعارج "ذلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كانُوا

---

(١) سورة الإخلاص ،آية ١

(٢) سورة النحل ،آية ١٧

(٣) سورة الأنبياء ،آية ٢٢

(٤) سورة الإسراء، آية ٤٢

(٥) سورة المؤمنون ،آية ٩١

(٦) التسهيل ٥٢٤/٢

(٧) سورة الصافات ،آية ١

(٨) التسهيل ١٨٨/٢، سورة الصافات ١٦٥

(٩) الذاريات ،آية ٦٠

يُوعَدُونَ" (١) يعني يوم القيامة (٢) .

٢- حديث النبي ﷺ فإذا ورد عنه عليه السلام تفسير شيء من القرآن عوّلنا عليه، لا سيما إن ورد في الحديث الصحيح، فالنبي ﷺ أعلم الناس بتفسير وبيان كلام الله تعالى ، فمثلاً عند تفسير قوله تعالى(وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ) (٣) ، قال: أي لحد موقت تنتهي إليه من فلكها، وهي نهاية جريها إلى أن ترجع في المنقلبين الشتاء والصيف، وقيل: مستقرها: وقوفها كل وقت زوال، بدليل وقوف الظل حينئذ، وقيل: مستقرها يوم القيامة حين تكوّر، وفي الحديث: مستقرها تحت العرش تسجد فيه كل ليلة بعد غروبها» ، وهذا أصح الأقوال لوروده عن النبي ﷺ في الحديث المروي في البخاري عن أبي ذر (٤).

وأيضاً عند تفسير قوله تعالى : (لَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ) (٥) ، قال: وقيل : إن مدة التذكير ستون سنة وقيل : أربعون وقيل : البلوغ والأول أرجح لقول رسول الله ﷺ: من عمره الله ستين فقد أعذر إليه في العمر (٦)

---

(١) المعارج ،آية ٤٤

(٢) التسهيل ٣١٠/٢

(٣) ياسين آية ٣٨

(٤) التسهيل ١٨٢/٢، والحديث ، روى البخاري عن أبي ذر رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: لأبي ذر حين غربت الشمس: «أتدري أين تذهب؟»، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: " فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش، فتستأذن فيؤذن لها ويوشك أن تسجد، فلا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها يقال لها: ارجعي من حيث جئت، فتطلع من مغربها، فذلك قوله تعالى: {والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم} [يس: ٣٨]، أخرجه البخاري ،كتاب ،بدء الخلق، باب صفة الشمس والقمر بحسبان،(٣١٩٩)، وأخرجه مسلم في الإيمان باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان رقم ١٥٩

(٥) سورة فاطر ،آية ٣٧

(٦) التسهيل ،١٧٧/٢، والحديث أخرجه البخاري ،كتاب الرقاق، باب من بلغ ستين سنة، فقد أعذر الله إليه في العمر،(٦٤١٩)

٣ – أن يكون القول قول الجمهور، وأكثر المفسرين: فإنّ كثرة القائلين بالقول يقتضي ترجيحه، فمثلاً عند تفسير قوله تعالى : (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ) (١) قال : الحسنى الجنة، والزيادة النظر إلى وجه الله، وقيل: الحسنى جزاء الحسنة بعشر أمثالها والزيادة التضعيف فوق ذلك إلى سبعمائة، والأول أصح لوروده في الحديث (٢) وكثرة القائلين به (٣) .

٤ – أن يكون القول قول من يقتدى به من الصحابة كالخلفاء الأربعة، وعبد الله بن عباس: لقول رسول الله ﷺ"اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل " (٤) ، فمثلاً عند تفسير قوله تعالى (وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ) (٥) قال: فيه ثلاثة أقوال أحدها أن معنى يستجيب يجيب والذين آمنوا مفعول، والفاعل ضمير يعود على الله تعالى أي يجيبهم فيما يطلبون منه. وقال الزمخشري (٦) : أي أصله يستجيب للذين آمنوا فحذف اللام. والثاني أن معناه يجيب والذين آمنوا فاعل أي يستجيب المؤمنون لربهم باتباع دينه والثالث أن معناه يطلب

---

(١) يونس ،آية ٢٦

(٢) عَنْ صُهَيْبٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ وَزَادَ ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ} [يونس: ٢٦]،أخرجه مسلم ،كتاب الإيمان ، بَابُ إِثْبَاتِ رُؤْيَةِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْآخِرَةِ رَبَّهُمْ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ٢٩٦ – (١٨٠)

(٣) التسهيل ٣٥٥/١

(٤) أخرجه مسلم ،كتاب فضائل الصحابة، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، (٢٤٧٧)

(٥) الشورى ،آية ٢٦

(٦) الكشاف ٢٢٣/٤

المؤمنون الإجابة من ربهم واستفعل هذا على بابه من الطلب، والأول أرجح لدلالة قوله: ويزيدهم من فضله ولأنه قول ابن عباس ومعاذ بن جبل (١) . وعند تفسير قوله تعالى : ﴿ إِذا جاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ (٢) يعني بالفتح فتح مكة والطائف وغيرهما من البلاد التي فتحها رسول الله ﷺ، وقال ابن عباس: إن النصر صلح الحديبية والفتح فتح مكة (٣)

٥ – أن يدل على صحة القول كلام العرب من اللغة والإعراب أو التصريف أو الاشتقاق.

قلت : والمراد بذلك المستعمل في كلام العرب ، سواء أكان مطرداً أم غالباً ، فمثلاً عند تفسير قوله تعالى (فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ) (٤) ، قال: لا في هذا الموضع وأمثاله زائدة، وكأنها زيدت لتأكيد القسم، أو لاستفتاح الكلام نحو ألا. وقيل: هي نافية لكلام الكفار كأنه يقول: لا صحة لما يقول الكفار وهذا ضعيف والأول حسن، لأن زيادة لا كثيرة معروفة في كلام العرب (٥) .

وعند تفسير قوله تعالى﴿ وَاللَّيْلِ إِذا سَجى ﴾ (٦) قال : فيه أربعة أقوال: إذا أقبل، وإذا أدبر، وإذا أظلم، وإذا سكن أي استقر واستوى، أو سكن فيه الناس والأصوات ومنه: ليلة ساجية إذا كانت ساكنة الريح، وطرف ساج أو ساكن غير مضطرب النظر. وهذا أقرب في الاشتقاق وهو اختيار ابن عطية (٧)

---

(١) التسهيل ٢٤٩/٢،جامع البيان ٥٣٤/٢١

(٢) سورة النصر آية ١

(٣) التسهيل ٥٢٠/٢

(٤) سورة الواقعة آية ٧٥

(٥) التسهيل ٣٣٩/٢

(٦) سورة الضحى آية ٢

(٧) التسهيل ٤٩٠/٢،المحرر الوجيز ٤٩٣/٥

٦ – أن يشهد بصحة القول سياق الكلام ويدل عليه ما قبله أو ما بعده، فإذا كان أحد الأقوال تؤيده قرينة ، لفظة أو جملة فهو أولى، فمثلاً عند تفسير قوله تعالى (بَلِ الْإِنْسانُ عَلى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ) (١) ، قال: في معناه قولان: أحدهما: أنه شاهد على نفسه بأعماله، إذ تشهد عليه جوارحه يوم القيامة، والآخر: أنه حجة بينة لأن خلقته تدل على خالقه، فوصف بالبصارة مجازا لأن من نظر فيه أبصر الحق، والأول أليق بما قبله وما بعده كأنه قال: ينبؤ الإنسان يومئذ بأعماله بل هو يشهد بأعماله وإن لم ينبأ بها، وكذلك يلتئم مع قوله: وَلَوْ أَلْقى مَعاذِيرَه (٢). وعند تفسير قوله تعالى ﴿ وَإِنَّهُ عَلى ذلِكَ لَشَهِيدٌ ﴾ (٣) قال :الضمير للإنسان أي هو شاهد على نفسه بكنوده، وقيل: هو لله تعالى على معنى التهديد: والأول أرجح لأن الضمير الذي بعده الإنسان باتفاق، فيجري الكلام على نسق واحد (٤)

٧ – أن يكون ذلك المعنى المتبادر إلى الذهن؛ فإن ذلك دليل على ظهوره ورجحانه، فمثلاً عند تفسير قوله تعالى : (وَكانَ أَبُوهُما صالِحاً) (٥) قيل : إنه الأب السابع، وظاهر اللفظ أنه الأقرب (٦) ، وعند تفسير قوله تعالى ﴿ عَلَّمَ الْإِنْسانَ ﴾ (٧) ما لَمْ يَعْلَمْ يحتمل أن يريد بهذا التعليم الكتابة، لأن الإنسان لم يكن يعلمها في أول أمره أو يريد التعليم لكل شيء على الإطلاق، وقيل: إن الإنسان هنا سيدنا محمد ﷺ، والأظهر أنه جنس

(١) سورة القيامة ،آية ١٤
(٢) التسهيل ٤٣٣/٢
(٣) سورة العاديات آية ٧
(٤) التسهيل ٥٠٦/٢
(٥) سورة الكهف ،آية ٨٢
(٦) التسهيل ٤٧٣/١
(٧) سورة العلق ،آية ٥

الإنسان على العموم [١] .

٨ – تقديم الحقيقة على المجاز، فإنّ الحقيقة أولى أن يحمل عليها اللفظ عند الأصوليين، وقد يترجح المجاز إذا كثر استعماله حتى يكون أغلب استعمالاً من الحقيقة، ويسمى مجازاً راجحاً، والحقيقة مرجوحة، وقد اختلف العلماء أيهما يقدم: فمذهب أبي حنيفة تقديم الحقيقة لأنها الأصل، ومذهب أبي يوسف تقديم المجاز الراجح لرجحانه، وقد يكون المجاز أفصح وأبرع فيكون أرجح، فمثلاً عند تفسير قوله تعالى(اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها) [٢] ، قال: أي يحييها بإنزال المطر وإخراج النبات، وقيل: إنه تمثيل للقلوب أي: يحيى الله القلوب بالمواعظ كما يحيى الأرض بالمطر، وفي هذا تأنيس للمؤمنين الذين ندبوا إلى أن تخشع قلوبهم، والأول أظهر وأرجح لأنه الحقيقة [٣] .

وأيضاً عند تفسير قوله تعالى (خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ) [٤] خَتَمَ الآية تعليل لعدم إيمانهم، وهو عبارة عن إضلالهم، فهو مجاز وقيل: حقيقة، وأن القلب كالكف ينقبض مع زيادة الضلال إصبعاً إصبعاً حتى يختم عليه، والأوّل أبرع [٥] .

٩ – تقديم العمومي على الخصوصي فإنّ العمومي أولى لأنه الأصل إلّا أن يدل دليل على التخصيص، فمثلاً عند تفسير قوله تعالى(وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ) [٦] قال: قيل هو عذاب النار، وقيل: أهوال القيامة وقيل: هموم الدنيا

---

(١) التسهيل ٤٩٦/٢

(٢) الحديد ١٧

(٣) التسهيل ٣٤٦/٢

(٤) البقرة ٧

(٥) التسهيل ٧٠/١

(٦) فاطر ٣٤

والصواب العموم في ذلك كله [١] .

وعند تفسير قوله تعالى(وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ) [٢] ، قال: قيل: إنها نزلت في عثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد، وسعيد، وطلحة، والزبير، إذ دعاهم أبو بكر الصديق إلى الإيمان فآمنوا، وقيل: نزلت في أبي ذر وسلمان، وهذا ضعيف، لأن سلمان إنما أسلم بالمدينة والآية مكية والأظهر أنها عامة [٣] .

١٠ – تقديم الإطلاق على التقييد، إلّا أن يدل دليل على التقييد، ومن ذلك عند تفسير قوله تعالى(أَمْ لِلْإِنسَانِ مَا تَمَنَّى) [٤] ،قال: والإنسان هنا جنس بني آدم: أي ليس لأحد ما يتمنى بل الأمر بيد الله، وقيل: إن الإشارة إلى ما طمع فيه الكفار من شفاعة الأصنام، وقيل: إلى قول العاصي بن وائل: لأوتين مالاً وولداً، وقيل: هو تمني بعضهم أن يكون نبياً، والأحسن حمل اللفظ على إطلاقه [٥] .

١١ – تقديم الاستقلال على الإضمار إلّا أن يدل دليل على الإضمار، ومن ذلك عند تفسير قوله تعالى (أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن) [٦] ، قال: فيها وجهان: أحدهما أن يكون الكلام جملة واحدة تقديره: أفمن حق عليه كلمة العذاب أأنت تنقذه، فموضع من في النار موضع المضمر، والهمزة في قوله أفأنت هي الهمزة التي في قوله أفمن، وهي همزة الإنكار كرّرت للتأكد، والثاني أن يكون التقدير أفمن حق

---

(١) التسهيل ١٧٦/٢

(٢) الزمر ١٧

(٣) التسهيل ٢١٩/٢

(٤) النجم ٢٤

(٥) التسهيل ٣١٩/٢

(٦) الزمر ١٩

عليه العذاب تتأسف عليه، فحذف الخبر ثم استأنف قوله أفأنت تنقذ من في النار؟ وعلى هذا يوقف على العذاب، والأول أرجح لعدم الإضمار (١) .

وأيضاً عند تفسير قوله تعالى(قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ) (٢) ، قال: يحتمل وجهين أحدهما: أن يكون "الله" مبتدأ وشهيد خبره. والآخر: أن يكون تمام الجواب عند قوله "قل الله" بمعنى أن الله أكبر شهادة ثم يبتدئ على تقدير هو شهيد بيني وبينكم والأول أرجح؛ لعدم الإضمار، والثاني أرجح؛ لمطابقته للسؤال لأن السؤال بمنزلة من يقول من أكبر الناس فيقال في الجواب فلان وتقديره فلان أكبر) وهذا مثال نادر على التنازع الذي قد يحصل بين وجوه الترجيح (٣) .

١٢- حمل الكلام على ترتيبه إلا أن يدل دليل على التقديم والتأخير، ومن ذلك عند تفسير قوله تعالى(إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) (٤) ، قال: إياك في الموضعين مفعول بالفعل الذي بعده، وإنما قدّم ليفيد الحصر فإنّ تقديم المعمولات يقتضي الحصر (٥) . قال صاحب البحر المحيط: إياك مفعول مقدم، والزمخشري يزعم أنه لا يقدم على العامل إلا للتخصيص، فكأنه قال: ما نعبد إلا إياك، وقد تقدم الرد عليه في تقديره بسم الله أتلوا، وذكرنا نص سيبويه هناك. فالتقديم عندنا إنما هو للاعتناء والاهتمام بالمفعول (٦) .

---

(١) التسهيل ٢١٩/٢

(٢) الأنعام ١٩

(٣) التسهيل ٢٥٦/١

(٤) الفاتحة،آية٥

(٥) التسهيل ٦٥/١

(٦) البحر المحيط ٤٤/١

المبحث الثالث عشر

أنواع التفسير، وطبقات المفسرين

أولاً : التفسير لغة :

مصدر فسّر .. بمعنى الإيضاح والتبيين. قال تعالى : (وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْناكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً) (١) أي بياناً وتفصيلاً، والفسر: البيان وكشف المغطى قال أبو حيان: ويطلق التفسير أيضاً على التعرية للانطلاق، يقال: فسرت الفرس: عرّيته لينطلق، وهو راجع لمعنى الكشف، فكأنه كشف ظهره لهذا الذي يريده منه من الجري (٢) .

وفى الاصطلاح :فقد عُرّف بعدة تعريفات (٣) منها:

عرّفه ابن جزى بقوله: شرح القرآن وبيان معناه، والإفصاح بما يقتضيه بنصه أو إشارته أو فحواه (٤) .

قال أبو حيان: علم يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب، وتتمات ذلك (٥)

ثانياً: التأويل لغة: قال الراغب: التأويل من الأول، أي: الرجوع إلى الأصل، ومنه: المَوْئِلُ للموضع الذي يرجع إليه، وذلك هو ردّ الشيء إلى الغاية المرادة منه، علما كان أو فعلا، ففي العلم نحو:(وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ) (٦) وقوله تعالى : (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ

---

(١) الفرقان ٣٣

(٢) البحر المحيط ٢٦/١

(٣) البرهان للزركشي ٣٣/١،و الإتقان١٧٤/٢،منهج الفرقان، محمد سلامة ٦/٢جـ٢، صـ٦، مقدمة تفسير التحرير والتنوير ١١/١

(٤) التسهيل ١٥/١

(٥) انظر البحر المحيط٢٦/١

(٦) آل عمران ٧

يَأْتِي تَأْوِيلُهُ) (١) أي: بيانه الذي غايته المقصودة منه، وقوله تعالى: (ذلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) (٢) قيل: أحسن معنى وترجمة، وقيل: أحسن ثواباً في الآخرة (٣) .

التأويل اصطلاحاً :

عرفه ابن جزى بقوله: هو حمل الكلام على معنى غير المعنى الذي يقتضيه الظاهر، بموجب اقتضى أن يحمل على ذلك ويخرج على ظاهره (٤)

الفرق بين التفسير والتأويل: ذكر ابن جزى عدة فروق فقال: فإن قيل: ما الفرق بين التفسير والتأويل؟ فالجواب أن في ذلك ثلاثة أقوال: الأوّل أنهما بمعنى واحد. الثاني: أن التفسير للفظ، والتأويل للمعنى. الثالث: وهو الصواب: أن التفسير: هو الشرح، والتأويل: هو حمل الكلام على معنى غير المعنى الذي يقتضيه الظاهر، بموجب اقتضى أن يحمل على ذلك ويخرج على ظاهره (٥)

قال ابن الجوزي: اختلف العلماء: هل التّفسير والتّأويل بمعنى، أم يختلفان؟ فذهب قوم يميلون إلى العربية إلى أنهما بمعنى، وهذا قول جمهور المفسّرين المتقدّمين. وذهب قوم يميلون إلى الفقه إلى اختلافهما، فقالوا: التفسير: إخراج الشيء من مقام الخفاء إلى مقام التّجلّي. والتأويل: نقل الكلام عن وضعه فيما يحتاج في إثباته إلى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ، فهو مأخوذ من قولك: آل الشيء إلى كذا، أي: صار إليه (٦) .

---

(١) الأعراف ٥٣

(٢) النساء ٥٩

(٣) المفردات ،كتاب الألف ،مادة آل،٩٩/١

(٤) التسهيل ١٦/١

(٥) التسهيل ١٦/١

(٦) زاد المسير ١٢/١

ثالثاً : موقف السلف من الكلام في تفسير كتاب الله تعالى :

قال ابن جزى :اعلم أن السلف الصالح انقسموا إلى فرقتين:

فمنهم من فسر القرآن وتكلم في معانيه. وهم الأكثرون. ومنهم من توقف عن الكلام فيه احتياطاً لما ورد من التشديد في ذلك. فقد قالت عائشة رضي الله عنها : ما كان رسول اللهﷺ يفسر من القرآن الآيات إلّا بعد علمه إياهن من جبريل (١) ، وقال ﷺ:"من قال في القرآن برأيه وأصاب فقد أخطأ" (٢) وتأول المفسرون حديث عائشة رضي الله عنها في مغيبات القرآن التي لا تعلم إلّا بتوقيف من الله تعالى (٣) ، وتأول الحديث الآخر بأنه فيمن تكلم في القرآن بغير علم ولا أدوات لا فيمن تكلم فيما تقتضيه أدوات العلوم ونظر في أقوال العلماء المتقدّمين فإنّ هذا لم يقل في القرآن برأيه (٤) ،

ذكر ابن جزى رحمه الله تعالى موقف السلف من تفسير القرآن والكلام في معانيه ، فمنهم من فسّر القرآن وتكلم في معانيه وهم الأكثر ،

---

(١) الحديث أخرجه الطبري في مقدمة تفسيره تحت عنوان ذكر الأخبار التي غلِطَ في تأويلها منكر والقول في تأويل القرآن ،قال ابن كثير : وأما الحديث الذي رواه أبو جعفر بن جرير: حدثنا عباس بن عبد العظيم حدثنا محمد بن خالد بن عثمة حدثنا أبو جعفر بن محمد الزبيري حدثني هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: ما كان النبي ﷺ يفسر شيئا من القرآن إلا آيا تعد «١» ، علمهن إياه جبريل عليه السلام، ثم رواه عن أبي بكر محمد بن يزيد الطرسوسي عن معن بن عيسى عن جعفر بن خالد عن هشام به، فإنه حديث منكر غريب، وجعفر هذا هو ابن محمد بن خالد بن الزبير بن العوام القرشي الزبيري قال البخاري: لا يتابع في حديثه. وقال الحافظ أبو الفتح الأزدي: منكر الحديث، انظر تفسير ابن كثير ،جـ١،صـ١٤، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٦: ٣٠٣

(٢) أخرجه الترمذي ،كتاب التفسير، باب ما جاء في الذى يفسر القرآن برأيه(٢٩٥٢) قال أبو عيسى : هذا حديث غريب

(٣) ذكره الطبري في مقدمة تفسيره، انظر جامع البيان ٨٧/١

(٤) انظر تفسير الطبري ٨٧/١،سنن الترمذي، كتاب التفسير، باب ما جاء في الذى يفسر القرآن برأيه(٢٩٥٠)

ومنهم من توقف .

ويمكن القول: إن السلف – من حيث التصدي للتفسير – فريقان: فريق تكلّم في التفسير واجتهد فيه رأيه (١) ، وفريق تورّع فقلّ أو نَدُرَ عنه القول في التفسير (٢) .

يقول الدكتور محمد حسين الذهبي : اختلف العلماء من قديم الزمان في جواز تفسير القرآن بالرأي، ووقف المفسِّرون بإزاء هذا الموضوع موقفين متعارضين:

فقوم تشدَّدوا في ذلك فلم يجرءوا على تفسير شيء من القرآن، ولم يبيحوه لغيرهم، وقالوا: لا يجوز لأحد تفسير شيء من القرآن وإن كان عالماً أديباً متسعاً في معرفة الأدلة، والفقه، والنحو، والأخبار، والآثار، وإنما له أن ينتهى إلى ما روى النبي ﷺ، وعن الذين شهدوا التنزيل من الصحابة ﷺ، أو عن الذين أخذوا عنهم من التابعين، وقوم كان موقفهم على العكس من ذلك، فلم يروا بأساً من أن يفسِّروا القرآن باجتهادهم، ورأوا أن مَنْ كان ذا أدب وسيع فموسَّع له أن يُفسِّر القرآن برأيه واجتهاده (٣) .

ويرد ابن عطية على المانعين بقوله: ومعنى هذا أن يسأل الرجل عن معنى في كتاب الله فيتسور عليه برأيه، دون نظر فيما قال العلماء، أو اقتضته قوانين العلوم كالنحو، والأصول، وليس يدخل في هذا الحديث أن يفسر اللغويون لغته، والنحاة نحوه، والفقهاء معانيه، ويقول كل واحد باجتهاده المبني على قوانين علم ونظر، فإن القائل على هذه الصفة ليس قائلاً بمجرد رأيه. وكان جلة من السلف كسعيد بن المسيب، وعامر

---

(١) راجع هذه الآثار في تفسير الطبري ٨٠/١

(٢) راجع هذه الآثار في تفسير الطبري ٧٨/١، وانظر مقدمة التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور في الرد على هذه الشبه ٣٠/١

(٣) التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي ١٨٣/١

الشعبي، وغيرهما، يعظمون تفسير القرآن، ويتوقفون عنه تورعاً واحتياطاً لأنفسهم، مع إدراكهم، وتقدمهم، وكان جلة من السلف كثير عددهم يفسرونه وهم أبقوا على المسلمين في ذلك ﷺ (١)

قال القرطبي: قلت: هذا صحيح وهو الذي اختاره غير واحد من العلماء، فإن من قال فيه بما سنح في وهمه وخطر على باله من غير استدلال عليه بالأصول فهو مخطئ، وإن من استنبط معناه بحمله على الأصول المحكمة المتفق على معناها فهو ممدوح.

ويرد القرطبي على المانعين بقوله: وباطل أن يكون المراد به ألا يتكلم أحد في القرآن إلا بما سمعه، فإن الصحابة ﷺ قد قرءوا القرآن واختلفوا في تفسيره على وجوه، وليس كل ما قالوه سمعوه من النبي ﷺ، فإن كان التأويل مسموعاً كالتنزيل فما فائدة تخصيصه بذلك، وهذا بين لا إشكال فيه.

والتفسير المنهى عنه كما قال القرطبي : يحمل على أحد وجهين:

أحدهما :أن يكون له في الشيء رأي، وإليه ميل من طبعه وهواه، فيتأول القرآن على وفق رأيه وهواه، ليحتج على تصحيح غرضه، ولو لم يكن له ذلك الرأي والهوى لكان لا يلوح له من القرآن ذلك المعنى، الوجه

الثاني : أن يتسارع إلى تفسير القرآن بظاهر العربية، من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب القرآن وما فيه من الألفاظ المبهمة والمبدلة، وما فيه من الاختصار والحذف والإضمار والتقديم والتأخير، فمن لم يحكم ظاهر التفسير وبادر إلى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية كثر غلطه، ودخل في زمرة من فسر القرآن بالرأي، والنقل والسماع لابد له منه في ظاهر التفسير أولاً ليتقي به مواضع الغلط، ثم بعد

(١) المحرر الوجيز ١/٤١

ذلك يتسع الفهم والاستنباط، والغرائب التي لا تفهم إلا بالسماع كثيرة، ولا مطمع في الوصل إلى الباطن قبل إحكام الظاهر (١) .

وعلى المتعرض لتفسير كتاب الله تعالى أن يكون ملماً بعدة علوم متبحراً فيها ، وقد ذكر أبو حيان في مقدمة تفسيره ما يحتاج المفسر إلى معرفته من العلوم (٢)

قال ابن كثير : فهذه الآثار الصحيحة وما شاكلها عن أئمة السلف محمولة على تحرجهم عن الكلام في التفسير بما لا علم لهم فيه، فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعاً فلا حرج عليه (٣)

وبهذا يظهر أن ما ورد من نهي السلف عن الرأي فإنه يلحق أهل الأهواء والبدع، وأهل القياس الفاسد، والرأي المذموم .

ثانياً طبقات المفسرين :

قال ابن جزى : واعلم أن المفسرين على طبقات :

فالطبقة الأولى : الصحابة ﷺ:

وأكثرهم كلاماً في التفسير ابن عباس، وكان علي بن أبي طالب ﷺ يثني على تفسير ابن عباس، ويقول: كأنما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق، وقال ابن عباس ما عندي من تفسير القرآن فهو عن عليّ بن أبي طالب (٤) ، ويتلوهما عبد الله بن مسعود، وأبيّ بن كعب، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وكلما جاء من التفسير عن الصحابة فهو حسن .

---

(١) تفسير القرطبى ٣٣/١

(٢) البحر المحيط ١٤/١، الاتقان للسيوطى ٢٠٠/٤

(٣) تفسير ابن كثير ١٤/١

(٤) انظر مقدمة تفسير القرطبى ٣٥/١ ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن ١٤١/١

والطبقة الثانية: التابعون: وأحسنهم كلاماً في التفسير الحسن بن أبي الحسن البصري (١)، وسعيد بن جبير (٢)، ومجاهد مولى ابن عباس، وعلقمة (٣) صاحب عبد الله بن مسعود، ويتلوهم: عكرمة (٤) ، وقتادة (٥)، والسّدي (٦) ، والضحاك بن مزاحم (٧) ، وأبو صالح (٨) ، وأبو العالية (٩)

(١) الحسن بن أبي الحسن يسار البصري أبو سعيد، مولى زيد بن ثابت، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر، مات في رجب سنة عشر ومائة،صبقات المفسرين للسيوطى ٣٥/١

(٢) سعيد بن جبير بن هشام الأسدي الوالبي أبو محمد أو أبو عبد الله الكوفي، قتله الحجاج لعنه الله في شعبان سنة اثنتين وتسعين هو ابن تسع وأربعين سنة،طبقات المفسرين ٣٨/١

(٣) علقمة بن قيس بن عبد الله بن مالك النخعي أبو شبل الكوفي، ولد في حياة النبي ﷺومات سنة إحدى وستين،طبقات المفسرين ٢١/١

(٤) عكرمة مولى ابن عباس أبو عبد الله المدني، مات سنة خمس ومائة، طبقات المفسرين ٤٤/١

(٥) قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي أبو الخطاب البصري الأكمه ،أحد الأعلام، ولد سنة ستين ومات سنة سبع عشرة ومائة، طبقات المفسرين ٥٥/١

(٦) إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة الهاشمي السّدّيّ،مات سنة سبع وعشرين ومائة،طبقات المفسرين للداوودى ١١٠/١

(٧) الضحاك بن مزاحم البلخي: المفسر، قال ابن عدي: إنما عرف بالتفسير، الميزان للذهبي ٣٢٥/٢

(٨) أبو صالح السمان ذكوان الزيات المدني، مولى جويرية بنت الأحمس الغطفاني من أجل الناس وأوثقهم، مات بالمدينة سنة إحدى ومائة، طبقات المفسرين ٤١/١

(٩) أبو العالية رفيع بن مهران الرياحي البصريأدرك وأسلم بعد الوفاة بسنتين، مات في شوال سنة اثنتين وتسعين، طبقات المفسرين للسيوطى ٢٩/١

ثم حمل تفسير القرآن عدول كل خلف، وألف الناس فيه: كالمفضل (١)، وعبد الرزاق (٢) ، وعبد بن حميد (٣) ، والبخاري (٤) ، وعلي بن أبي طلحة، وغيرهم، ثم إن محمدا بن جرير الطبري (٥) جمع أقوال المفسرين وأحسن النظر فيها، وممن صنف في التفسير أشياء: أبو بكر النقّاش (٦) ، والثعلبي (٧) ، والماوردي (٨) ، إلّا أن كلامهم يحتاج

(١) مفضل بن فضالة ابن عبيد ، الإمام العلامة الحجة القدوة ، قاضي مصر أبو معاوية القتباني المصري، توفي سنة إحدى وثمانين ومائة وله أربع وسبعون سنة ، سير أعلام النبلاء ،جـ٨،صـ١٧٨

(٢) عبد الرزاق بن همام ابن نافع ، الحافظ الكبير ، عالم اليمن توفي في شوال ، سنة إحدى عشرة ومائتين ،سير أعلام النبلاء ٥٦٤/٩

(٣) هو: الإمام الحافظ الحجة الجوال أبو محمد عبد بن حميد بن نصر الكسي ويقال له: الكشي- بالفتح والإعجام-.يقال: اسمه: عبد الحميد، ولد: بعد السبعين ومائة، مات سنة تسع وأربعين ومائتين، تهذيب الكمال في أسماء الرجال: جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي ٥٢٤/١٨ ،تحقيق: د. بشار عواد معروف: مؤسسة الرسالة – بيروت

(٤) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة الإمام أبو عبد الله البخاري الجعفي مولاهم ،الحافظ العلم، صاحب «الصحيح» وإمام هذا الشأن ،ولد سنة أربع وتسعين ومائتين ببخارى ، سنة ست وخمسين ومائتين، طبقات المفسرين للداودى ١٠٨/٢

(٥) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الآمليّ الطبريّ أبو جعفر، الإمام، صاحب التصانيف المشهورة، توفى سنة عشر وثلاثمائة، طبقات المفسرين للداودى ١١٧/٢

(٦) العلامة المفسر ، شيخ القراء أبو بكر محمد بن الحسن بن محمد بن زياد ، الموصلي ثم البغدادي النقاش، توفى سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة، سير أعلام النبلاء ٥٧٤/١٥

(٧) الإمام الحافظ العلامة ، شيخ التفسير ، أبو إسحاق ، أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري . كان أحد أوعية العلم، توفي الثعلبي في المحرم سنة سبع وعشرين وأربعمائة، سير أعلام النبلاء ٤٣٦/١٧

(٨) الإمام العلامة ، أقضى القضاة أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري ، الماوردي ، الشافعي ، صاحب التصانيف ، مات في ربيع الأول سنة خمسين وأربعمائة، سير أعلام النبلاء ،جـ١٨،صـ٦٥

إلى تنقيح، وقد استدرك الناس على بعضهم، وصنف أبو محمد بن قتيبة [١] في غريب القرآن ومشكله، وكثير من علومه، وصنف في معاني القرآن جماعة من النحويين: كأبي إسحاق الزجاج [٢] ، وأبي علي الفارسي[٣]، وأبي جعفر النحاس [٤].

وأما أهل المغرب والأندلس فصنف القاضي منذر بن سعيد البلوطي [٥] كتاباً في غريب القرآن وتفسيره، ثم صنف المقرئ أبو محمد مكي بن أبي طالب [٦] كتاب "الهداية

في تفسير القرآن"، وكتاباً في "غريب القرآن"، وكتاباً في "ناسخ القرآن ومنسوخه"، وكتاباً في "إعراب القرآن"، إلى غير ذلك من تآليفه، فإنها نحو ثمانين تأليفاً: أكثرها في علوم القرآن والقراءات والتفسير وغير ذلك، وأما أبو عمرو الداني، فتآليفه تنيف على مائة وعشرين، إلّا أن أكثرها في القرآن، ولم يؤلف في التفسير إلّا قليلاً، وأما أبو العباس المهدي [٧] فمتقن التآليف، حسن الترتيب، جامع لفنون علوم القرآن، ثم جاء

---

(١) العلامة الكبير، ذو الفنون أبو محمد، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، مات سنة ست وسبعين ومائتين ، سير أعلام النبلاء١٣/٢٩٧

(٢) الإمام، نحوي زمانه، أبو إسحاق، إبراهيم بن محمد بن السري الزجاج البغدادي، مات سنة إحدى عشرة وثلاثمائة، سير أعلام النبلاء١٤/٣٨٠

(٣) إمام النحو أبو علي ، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي، مات سنة سبع وسبعين وثلاثمائة، سير أعلام النبلاء١٦/٣٦٠

(٤) أبو جعفر، أحمد بن محمد بن إسماعيل، المصري النحوي، ابن النحّاس العلّامة، إمام العربية، توفّي سنة ٣٣٨ هـ ، سير أعلام النبلاء ١٢/٧١

(٥) منذر بن سعيد بن عبدالله بن عبدالرحمن بن نجيح النفرى، كان متفنناً في ضروب العلم، مات سنة،٣٥٥ هـ، تاريخ قضاة الأندلس ،للنبهانى صـ٣٤

(٦) مكيّ بن أبي طالب حمّوش بن محمد بن مختار أبو محمد القيسي ، كان فقيها مقرئا أديباً، مات سنة سبع وأربعمائة، طبقات المفسرين للداودى٢/٣٣٢

(٧) أحمد بن عمار الإمام أبو العباس المهدوي، نسبة إلى المهدية بالمغرب، أستاذ مشهور، توفي بعد الثلاثين وأربعمائة، وثلاثمائة، طبقات المفسرين للداودى١/٥٧

القاضيان أبو بكر بن العربي، وأبو محمد عبد الحق بن عطية، فأبدع كل واحد وأجمل، واحتفل وأكمل، فأما ابن العربي (١) فصنف كتاب "أنوار الفجر" في غاية الاحتفال والجمع لعلوم القرآن: فلما تلف تلافاه بكتاب «قانون التأويل» إلّا أنه اخترمته المنية قبل تخليصه وتلخيصه، وألف في سائر علوم القرآن تآليف مفيدة وأما ابن عطية فكتابه في التفسير أحسن التآليف وأعدلها، فإنه اطلع على تآليف من كان قبله فهذبها ولخصها، وهو مع ذلك حسن العبارة، مسدّد النظر، محافظ على السنة. ثم ختم علم القرآن بالأندلس وسائر المغرب بشيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير (٢) ، فلقد قطع عمره في خدمة القرآن وآتاه الله بسطة في علمه، وقوّة في فهمه، وله فيه تحقيق، ونظر دقيق، ومما بأيدينا من تأليف أهل المشرق تفسير أبو القاسم "محمود بن عمر" الزمخشري، فمسدّد النظر، بارع في الإعراب ،متقن في علم البيان، إلّا أنه ملأ كتابه من مذهب المعتزلة وشرهم، وحمل آيات القرآن على طريقتهم، فتكدر صفوه، وتمرّر حلوه، فخذ منه ما صفا ودع ما كدر، وأما الغزنوي (٣) فكتابه مختصر، وفيه من التصوف نكت بديعة، وأما ابن الخطيب (٤) فتضمن كتابه ما في

---

(١) محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد الإمام أبو بكر بن العربيّ المعافريّ الأندلسيّ الإشبيلي، الحافظ. ختام علماء الأندلس، وآخر أئمتها وحفاظها، أحد الأعلام، وتوفي في ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة، طبقات المفسرين للداودى٢/١٧٠

(٢) أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر: محدث مؤرخ، من أبناء العرب الداخلين إلى الأندلس. انتهت إليه الرياسه بها في العربية ورواية الحديث والتفسير والأصول، توفى سنة، 708هـ ، الأعلام ٨٦/١ .

(٣) محمد بن طيفور الغزنوي أبو عبد الله السجاوندي، المفسر، المقرئ، النحوي، له تفسير حسن، وكتاب علل القراءات وكتاب الوقف والإبتداء، طبقات المفسرين للسيوطى١٠١/١

(٤) محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي، الإمام العلامة سلطان المتكلمين في زمانه، فخر الدين، أبو عبد الله القرشي البكري التيميّ، من ذرية أبي بكر الصديق رضي الله عنه، الطبرستاني الأصل، ثم الرازي، ابن خطيبها. المفسّر، المتكلم. إمام وقته في العلوم=

كتاب "الزمخشري" وزاد عليه إشباعاً في قواعد علم الكلام، ونمقه بترتيب المسائل ، وتدقيق النظر في بعض المواضع ، وهو على الجملة كتاب كبير الحجم، ربما يحتاج إلى تلخيص، والله ينفع الجميع بخدمة كتابه، ويجزيهم أفضل ثوابه (١) .

ذكر ابن جزى رحمه الله طبقات المفسرين فذكر الطبقة الأولى ،وهى طبقة الصحابة، والطبقة الثانية، طبقة التابعين، ثم بعد ذلك عصر التدوين وانتشار المفسرين في ربوع العالم الإسلامي خاصة في بلاد المغرب العربى.

الطبقة الأولى : طبقة الصحابة :الصحابة عرب خُلّص، وكانوا يجتهدون الرأي في فهم القرآن ،كان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، إذا لم يجدوا التفسير فى كتاب الله، ولم يتيسر لهم أخذه عن رسول الله ﷺ رجعوا فى ذلك إلى اجتهادهم وإعمال رأيهم، وهذا بالنسبة لما يحتاج إلى نظر واجتهاد، أما ما يمكن فهمه بمجرد معرفة اللغة العربية، فكانوا لا يحتاجون فى فهمه إلى إعمال النظر، ضرورة أنهم من خُلَّصِ العرب، يعرفون كلام العرب ومناحيهم فى القول، ويعرفون الألفاظ العربية ومعانيها بالوقوف على ما ورد من ذلك فى الشعر الجاهلي الذى هو ديوان العرب (٢) .

قال الإمام القاسمي : أما مراتب المفسرين: فخيرهم الصحابة ﷺ، لما ثبت من الثناء عليهم في الكتاب والسنة، ولأن القرآن أنزل على لغتهم،

= العقلية، وأحد الأئمة في العلوم الشرعية، صاحب المصنفات المشهورة، والفضائل الغزيرة المذكورة، وأحد المبعوثين على رأس المائة السادسة لتجديد الدين، مات سنة ست وستمائة، طبقات المفسرين للداوودي،٢/٢١٧ ، طبقات الشافعية للسبكي ٨/ ٨١

(١) التسهيل ١/١٩-٢١

(٢) التفسير والمفسرون ١/٩ ، مقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية ،صـ٣٩،ط/: دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان: ١٤٩٠هـ/ ١٩٨٠م

فالغلط أبعد عنهم من غيرهم، ولأنهم سألوا رسول الله ﷺعما أشكل عليهم [١]

الطبقة الثانية :طبقة التابعين: تبدأ المرحلة الثانية للتفسير من عصر التابعين الذين تتلمذوا للصحابة فتلقوا غالب معلوماتهم عنه، وقد اعتمد هؤلاء المفسِّرون فى فهمهم لكتاب الله تعالى على ما جاء في الكتاب نفسه، وعلى ما رووه عن الصحابة عن رسول الله ﷺ، وعلى ما رووه عن الصحابة من تفسيرهم أنفسهم، وعلى ما أخذوه من أهل الكتاب مما جاء في كتبهم، وعلى ما يفتح الله به عليهم من طريق الاجتهاد والنظر في كتاب الله تعالى ،وقد روت لنا كتب التفسير كثيراً من أقوال هؤلاء التابعين في التفسير، قالوها بطريق الرأي والاجتهاد، ولم يصل إلى علمهم شيء فيها عن رسول الله ﷺ، أو عن أحد من الصحابة [٢] .

وتنقسم طبقة التابعين إلى ثلاث طبقات : طبقة أهل مكة : أما طبقة أهل مكة من التابعين فقد كانوا أعلم الناس بالتفسير، طبقة أهل المدينة، طبقة أهل العراق [٣] .

قال ابن تيمية: أعلم الناس بالتفسير أهل مكة لأنهم أصحاب ابن عباس، كمجاهد، وعطاء بن أبي رباح وعكرمة مولى ابن عباس وسعيد بن جبير وطاوس وغيرهم. وكذلك في الكوفة أصحاب ابن مسعود. وعلماء أهل المدينة في التفسير مثل زيد بن أسلم، الذي أخذ عنه ابنه عبد الرحمن بن زيد، ومالك بن أنس [٤] .

---

(١) محاسن التأويل: جمال الدين القاسمي ١٥/١،تحقيق: محمد باسل عيون السود: دار الكتب العلمية – بيروت .

(٢) التفسير والمفسرون ٧٦/١، مقدمة في أصول التفسير ،صـ٤٤

(٣) الاتقان للسيوطي ٢٤٠/٤ ، مناهل العرفان،٢٢/٢

(٤) محاسن التأويل ١٤/١

الطبقة الثالثة: ثم بعد عصر الصحابة والتابعين، خطا التفسير خطوة ثانية، وذلك حيث ابتدأ التدوين لحديث رسول الله ﷺ، فكانت أبوابه متنوعة، وكان التفسير باباً من هذه الأبواب التي اشتمل عليها الحديث، فلم يُفرد له تأليف خاص يُفسِّر القرآن سورة سورة ، وآية آية، من مبدئه إلى منتهاه، بل وُجد من العلماء مَن طوَّف في الأمصار المختلفة ليجمع الحديث، فجمع بجوار ذلك ما رُوِى في الأمصار من تفسير منسوب إلى النبي ﷺ، أو إلى الصحابة، أو إلى التابعين (١).

قال الإمام السيوطي : ثم ألف في التفسير خلائق فاختصروا الأسانيد ونقلوا الأقوال بتراً فدخل من هنا الدخيل والتبس الصحيح بالعليل.... ثم صنف بعد ذلك قوم برعوا في علوم فكان كل منهم يقتصر في تفسيره على الفن الذي يغلب عليه ، فالنحوي تراه ليس له هم إلا الإعراب، وتكثير الأوجه المحتملة فيه، ونقل قواعد النحو، ومسائله ،وفروعه، وخلافياته .. والإخباري ليس له شغل إلا القصص، واستيفاءها والإخبار عمن سلف، سواء كانت صحيحة أو باطلة... والفقيه يكاد يسرد فيه الفقه من باب الطهارة إلى أمهات الأولاد وربما استطرد إلى إقامة أدلة الفروع الفقهية التي لا تعلق لها بالآية والجواب عن أدلة المخالفين (٢) .

(١) التفسير والمفسرون ١٠٤/١

(٢) الاتقان للسيوطى٢٤٢/٤ ،بتصرف

الخاتمـــة

لقد كان الإمام ابن جزى الكلبى بحق متميزاً فيما عرض من مادة علمية في مسائل وقضايا علوم القرآن ، وفيما نقل وجمع من الآراء والأقوال فيها، كيف لا وهو العالم الجهبذ الفذ الذى سطر سفره هذا بعد اطلاع واسع ، حيث الدراسة على أكابر علماء الأندلس .

وقد جرت عادة المفسرين أن يذكروا في مقدمة تفاسيرهم الفنون الهامة التي تتعلق بالتفسير، أو تلك التي تخدم المفسر، وقد تميّز ابن جزى في ذكر الفنون التي لها علاقة بالتفسير، حتى اعتبره البعض ميزة انفرد بها عن غيره، والذي أظهر إلمام المصنف بعلوم القرآن، وقد ظهر ذلك جلياً في طرحه لعدة موضوعات تشترك في الناحية الموضوعية تحت مسمى واحد .

وقد تضمن هذا البحث عدة نتائج من أهمها:

١- اشتملت مقدمة تفسير ابن جزى (التسهيل لعلوم التنزيل) على ثروة وفيرة م علوم القرآن، تضمنت ترجيحه لكثير من الموضوعات المتعلقة بعلوم القرآن مما لا يستغنى عنها عالم أو متعلم، واستطاع أن يقدم من خلالها فوائد جليله، دون أن يتيه القارئ في خضم المناقشات.

٢- تميز ابن جزى بالالتزام بالقواعد التي قررها في مسائل علوم القرآن عملياً أثناء التفسير.

٣- هذه الدراسة أوضحت الراجح في مسائل علوم القرآن لدى الإمام، وأشهر العلماء من المفسرين والمصنفين في علوم القرآن.

٤- اعتنى ابن جزى في مقدمة تفسيره بقضية المكي والمدني، حيث أوضح أن له دوراً رئيساً في تفسير الآيات وفهمها.

٥- اعتنى ابن جزى في مقدمة تفسيره بمباحث النسخ، حيث تطرق إلى كثير من قضاياه، كتعريفه لغة واصطلاحاً، والقول بجوازه، مع توضيح صوره، وأنواعه وغير ذلك مما يتعلق بعلم الناسخ والمنسوخ من قضايا تعرض لها أثناء تفسيره.

٦- اعتنى ابن جزى بإلقاء الضوء على كثير من القواعد الأصولية اللغوية، كالمطلق والمقيد، والعام والخاص، وغير ذلك من قضايا أصولية لغوية تعرض لها في مقدمة تفسيره، وتعرض لها كذلك أثناء تفسيره، وأوضحها هذا البحث.

٧- يرى ابن جزى أن القرآن معجز بفصاحته التي امتاز بها عن كلام المخلوقين، ونظمه العجيب وأسلوبه الغريب ،عجز المخلوقين عن الإتيان بمثله، ما أخبر فيه من أخبار الأمم السالفة ،وما أخبر فيه من الغيوب المستقبلة فوقعت ، وما فيه من التعريف بالباري ﷻ، وذكر صفاته وأسمائه، ما شرع فيه من الأحكام وبين من الحلال والحرام، وكونه محفوظاً عن الزيادة والنقصان، تيسيره للحفظ ،كونه لا يمله قارئه ولا سامعه .

٨- اعتنى بذكر القراءات فبين منزلتها، وأقسامها، وتعريف كل قسم، وبين أنه اعتمد في تفسيره على قراءة نافع لكونها القراءة المستعملة في الأندلس وبلاد المغرب ولكونها قراءة أهل المدينة

٩- خص ابن جزى الكلام على الوقف والابتداء بباب خاص مستقل في مقدمة تفسيره، وبذلك يعتبر أول من تكلم عن هذا الفن في مقدمة التفسير.

بعض المآخذ:

١ – عدم نسبة الأقوال إلى قائليها، وإغفاله للمصادر التي استقى منها مادة مقدمته.

٢ – الاختصار الشديد في بعض المواضيع، وعدم عرض الآراء المخالفة أحياناً، وعدم الرد على بعض الآراء الوجيهة كما في حكم ترتيب الآيات والسور.

٣ – تركه لبعض الموضوعات الهامة، كالأحرف السبعة، ووجود ألفظ غير عربية في القرآن وغيرها، وهى موضوعات غاية الأهمية لطالب علم التفسير.

المصـــــادر

١ – الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة: لسان الدين بن الخطيب، محمد بن عبد الله (المتوفى: ٧٧٦هـ)، لبنان، صـ٤٧،تحقيق: إحسان عباس،: الأولى، ١٩٦٣: دار الثقافة، بيروت

٢ – اتقان البرهان في علوم القرآن د/فضل حسن عباس ،ط، دار الفرقان ، الأولى سنة ١٩٩٧م

٣ – الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم: الهيئة المصرية العامة للكتاب: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م

٤ – الإحاطة في أخبار غرناطة، محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الأصل، الغرناطي الأندلسي، أبو عبد الله، الشهير بلسان الدين ابن الخطيب (المتوفى: ٧٧٦هـ) ،: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٢٤ هـ

٥ – أحكام القرآن للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ) راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان: الثالثة، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م

٦ – الإحكام في أصول الأحكام، لأبى محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)تحقيق: الشيخ أحمد محمد شاكر، ط/ دار الآفاق الجديدة، بيروت،

٧ – إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبى السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ) ،دار إحياء التراث العربي – بيروت

٨ – إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية، دمشق – كفر بطنا الشيخ خليل الميس والدكتور ولي الدين صالح فرفور، ط/ دار الكتاب العربي، الأولى ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م

٩ – أساس البلاغة، لأبى القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) مادة نسخ ،ط/ دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م

١٠– أسباب النزول القرآن: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان: دار الإصلاح – الدمام، الثانية، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م

١١– أسباب النزول والقصص الفرقانية ،محمد أسعد العراقي ، المتوفى سنة ٥٦٧هـ،نسخة بمكتبة الجامعة الإسلامية برقم (١٣٥٥) عن الأصل المحفوظ بمكتبة تشستربيتى بأيرلندا

١٢– أسد الغابة في معرفة الصحابة، لأبى الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ)،تحقيق: علي محمد معوض – عادل أحمد عبد الموجود ، دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤١٥هـ ١٩٩٤

١٣– أصول الفقه للسرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (المتوفى: ٤٨٣هـ) دار المعرفة – بيروت

١٤– الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، ، دار العلم للملايين، الخامسة عشر – أيار / مايو ٢٠٠٢ م

١٥- الانتصار للقرآن ، حمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي (المتوفى: ٤٠٣هـ)،تحقيق: د. محمد عصام القضاة، دار الفتح – عَمَّان، دار ابن حزم – بيروت: الأولى ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

١٦- انظر روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، ،لأبى محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ)، مؤسسة الريّان ، الثانية ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م

١٧- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ) ،تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الأولى – ١٤١٨

١٨- أوصاف الناس في التاريخ والصلات ، للمؤرخ الوزير لسان الدين محمد بن عبدالله السلماني المعروف بابن الخطيب ،تحقيق د/ محمد كمال شبانة، طبع تحت إشراف اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين المملكة المغربية ،ودولة الإمارات العربية المتحدة

١٩- الآيات المنسوخة في القرآن ،د/عبدالله بن الشيخ محمد الأمين الشنقيطي ،ط/ مكتبة ابن تيمية

٢٠- الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخة ومعرفة أصوله واختلاف الناس فيه ، ، لمكي ابن أبى طالب ،تحقيق :د/أحمد حسن فرحات، ط/ دار المنارة جدة، الأولى ١٤٠٦هـ،١٩٨٦م

٢١- البحر المحيط في التفسير، لأبى حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) ،تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠ هـ

٢٢- البرهان فى تناسب سور القرآن : أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (المتوفى: ٧٠٨هـ) تحقيق: محمد شعباني ، ط/: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية . المغرب، سنة: ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م

٢٣- البرهان في علوم القرآن: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم،: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م، ط/: دار إحياء الكتب العربية عيس

٢٤- البيان في عدّ آي القرآن، لأبى عمرو الداني، تحقيق: غانم قدوري الحمد، ر: مركز المخطوطات والتراث - الكويت: الأولى، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م

٢٥- التأثير النحوي لظاهرة الوقف في النص القرآني د/ هالة عثمان عبد الواحد رسالة ماجستير- كلية الدراسات العربية- جامعة المنيا ١٩٩٣ م.

٢٦- تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» حمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) الدار التونسية للنشر - تونس: ١٩٨٤ هـ

٢٧- التسهيل لعلوم التنزيل لأبى القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ)تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، الأولى - ١٤١٦ هـ

٢٨- التعريفات ،علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)،تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م

٢٩- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار): محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م

٣٠- تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الأولى – ١٤١٩ هـ

٣١- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ) ،تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية: الثالثة – ١٤١٩ هـ

٣٢- التفسير والمفسرون، الدكتور محمد السيد حسين الذهبي (المتوفى: ١٣٩٨هـ) مكتبة وهبة، القاهرة

٣٣- جامع البيان في القراءات السبع: عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (المتوفى: ٤٤٤هـ)،ط: جامعة الشارقة – الإمارات، أصل الكتاب رسائل ماجستير من جامعة أم القرى وتم التنسيق بين الرسائل وطباعتها بجامعة الشارقة): الأولى، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م

٣٤- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)،تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط/ مؤسسة الرسالة، الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م

٣٥- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه ،: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ،تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ،الأولى، ١٤٢٢هـ،

٣٦- الجامع لأحكام القرآن، لأبى عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية –القاهرة

٣٧- جمال القراء وكمال الإقراء، علي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني المصري الشافعي، أبو الحسن، علم الدين السخاوي (المتوفى: ٦٤٣هـ)،تحقيق: د/ مروان العطيَّة د/ محسن خرابة،: دار المأمون للتراث ،دمشق، بيروت، الأولى ١٤١٨ هـ

٣٨- جمع القرآن (دراسة تحليلية لمروياته) أكرم عبد خليفة حمد الدليمي، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، الأولى، ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦م

٣٩- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، للثعالبي، دار إحياء التراث العربي – بيروت ،الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ

٤٠- حاشية مقدمة التفسير لابن قاسم عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي القحطاني الحنبلي النجدي (المتوفى: ١٣٩٢هـ الثانية، ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠م

٤١- حجة القراءات، عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة (المتوفى: حوالي ٤٠٣هـ) ،تحقيق الكتاب ومعلق حواشيه: سعيد الأفغاني : دار الرسالة

٤٢- الحجه للقراء السبعة : الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ الأصل، أبو علي (المتوفى: ٣٧٧هـ)،تحقيق: بدر الدين قهوجي – بشير جويجابي ،راجعه ودققه: عبد العزيز رباح – أحمد يوسف الدقاق / ط: دار المأمون للتراث – دمشق / بيروت،: الثانية، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣م

٤٣- حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع، القاسم بن فيره بن خلف بن أحمد الرعيني، أبو محمد الشاطبي (المتوفى: ٥٩٠هـ)،تحقيق: محمد تميم الزعبي، مكتبة دار الهدى ودار الغوثاني للدراسات القرآنية، الرابعة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م

٤٤- دراسات في علوم القرآن فهد الومى ، صـ٨٨،ط/مكتبة الملك فهد الوطنية /١٤٢٦هـ

٤٥- دلائل النبوة، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)تحقيق: د. عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، الأولى – ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م

٤٦- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة،: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ): دار الكتب العلمية – بيروت

الطبعة: الأولى – ١٤٠٥ هـ

٤٧- دولة الإسلام في الأندلس، محمد عبد الله عنان المؤرخ المصري (المتوفى: ١٤٠٦هـ)، ، مكتبة الخانجي، القاهرة ، جـ ١، ٢، ٥/ الرابعة، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م

٤٨- ديوان النابغة الذبياني ، شرح د/ حنا نصر ، ط/دار الكتاب ،١٤١١هـ،١٩٩١م

٤٩- ديوان زهير ابن أبى سلمى، شرح حمدو طماس، ط/ دار المعرفة، بيروت لبنان، الثانية ،١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م

٥٠- رسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاحات الحديثة: شعبان محمد إسماعيل، دار السلام للطباعة والنشر، الثانية.

٥١- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) ،تحقيق: علي عبد الباري عطية،دار الكتب العلمية – بيروت،الأولى، ١٤١٥ هـ

٥٢- السبعة في القراءات: أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي (المتوفى: ٣٢٤هـ)تحقيق: شوقي ضيف، ط: دار المعارف – مصر: الثانية، ١٤٠٠هـ

٥٣- سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر ط: مصطفى البابي الحلبي – مصر: الثانية، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م

٥٤- سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ط/مؤسسة الرسالة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م

٥٥- صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم، محمد فؤاد عبد الباقي): الأولى، ١٤٢٢هـ

٥٦- طبقات الفقهاء الشافعية عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح (المتوفى: ٦٤٣هـ)تحقيق: محيي الدين علي نجيب، دار البشائر الإسلامية – بيروت، الأولى، ١٩٩٢م

٥٧- طبقات المفسرين ،محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي (المتوفى: ٩٤٥هـ): دار الكتب العلمية بيروت،

٥٨- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لأبى محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (المتوفى: ٨٥٥هـ) دار إحياء التراث العربي – بيروت
٥٩- العين ،لأبى عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)،تحقيق د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال
٦٠- فتح القدير: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت: الأولى – ١٤١٤ هـ
٦١- فضائل القرآن : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى، ٧٧٤هـ) مكتبة ابن تيمية : الطبعة الأولى – ١٤١٦ هـ
٦٢- فضائل القرآن لابن كثير، مكتبة ابن تيمية الأولى – ١٤١٦ هـ
٦٣- فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة، لأبى عبد الله محمد بن أيوب بن يحيى بن الضريس بن يسار الضريس البجلي الرازي (المتوفى: ٢٩٤هـ)،،تحقيق: غزوة بدير، دار الفكر، دمشق – سورية الأولى، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٧ م
٦٤- فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة، لأبن الضريس، تحقيق: غزوة بدير: دار الفكر، دمشق – سورية: الأولى، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٧ م
٦٥- الفهرست، لأبى الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي الشيعي المعروف بابن النديم (المتوفى: ٤٣٨هـ)تحقيق: إبراهيم رمضان ،ط: دار المعرفة بيروت – لبنان، الثانية ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ مـ

٦٦- قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن،: مرعي بن يوسف بن أبى بكر بن أحمد الكرمي المقدسي الحنبلي (المتوفى: ١٠٣٣هـ) تحقيق: سامي عطا حسن، دار القرآن الكريم – الكويت

٦٧- الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (المتوفى: ١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة،الثالثة،١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م

٦٨- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل لأبى القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) ط: دار الكتاب العربي – بيروت، الثالثة –١٤٠٧ هـ

٦٩- الكوكب المنير، أصول السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (المتوفى: ٤٨٣هـ)، دار المعرفة – بيروت

٧٠- لباب التأويل في معاني التنزيل ،الخازن (المتوفى: ٧هـ)تحقيق: محمد علي شاهين: دار الكتب العلمية – بيروت الأولى

٧١- لسان العرب محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ) دار صادر – بيروت، الثالثة – ١٤١٤ هـ

٧٢- مباحث في علوم القرآن: مناع بن خليل القطان (المتوفى: ١٤٢٠هـ) ، ط / مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ،الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م

٧٣- مباحث في علوم القرآن، مناع بن خليل القطان (المتوفى: ١٤٢٠هـ) مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الثالثة ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م

٧٤- مجاز القرآن لأبى عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري (المتوفى ٢٠٩هـ) تحقيق : محمد فواد سزگين: مكتبة الخانجي – القاهرة، سنة: ١٣٨١ هـ

٧٥- مجمل اللغة لابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة – بيروت، الثانية – ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م

٧٦- محاسن التأويل: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)،تحقيق: محمد باسل عيون السود: دار الكتب العلمية – بيروت

٧٧- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لأبى محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ) تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت

٧٨- المحرر في علوم القرآن ،مساعد بن ناصر الطيار، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي

٧٩- المحصول، لأبى عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)،تحقيق: الدكتور طه جابر فياض العلواني، مؤسسة الرسالة، الثالثة، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م

٨٠- المحكم في نقط المصاحف، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (المتوفى: ٤٤٤هـ) تحقيق: د/عزة حسن ،ط، دار الفكر، دمشق، الثانية، ١٤٠٧،تاريخ توثيق نص القرآن الكريم

٨١- المدخل لدراسة القرآن الكريم، محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (المتوفى: ١٤٠٣هـ)، مكتبه السنة، القاهرة، الثانية، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م

٨٢- المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، لأبى القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة (المتوفى : ٦٦٥هـ) ،تحقيق : طيار آلتي قولاج ،دار صادر – بيروت، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م

٨٣- المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)،تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت ،: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠م

٨٤- المستصفى، لأبى حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، ،تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي ، ط / دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤١٣هـ

٨٥- مسند الإمام أحمد ،دار إحياء التراث العربي : ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م

٨٦- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)،تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت

٨٧- المصاحف لابن أبى داوود أبو بكر بن أبي داود، عبد الله بن سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (المتوفى: ٣١٦هـ)تحقيق: محمد بن عبده، ط/الفاروق الحديثة – مصر / القاهرة

٨٨- مصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السِّوَر، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ) مكتبة المعارف الرياض، الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٧ م

٨٩- معالم التنزيل في تفسير القرآن ، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ) تحقيق، محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش ،دار طيبة للنشر والتوزيع الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

٩٠- معاني القراءات: لأبى محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ) ،تحقيق: الدكتور/ عبد الفتاح إسماعيل شلبيط: دار نهضة مصر للطبع والنشر

٩١- معاني القرآن وإعرابه إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي ،ط/ عالم الكتب - بيروت ، الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

٩٢- معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران)السيوطي ،ط/دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

٩٣- المعتمد في أصول الفقه، محمد بن علي الطيب أبو الحسين البَصْري المعتزلي (المتوفى: ٤٣٦هـ) ، تحقيق: خليل الميس، دار الكتب العلمية - بيروت، الأولى، ١٤٠٣هـ

٩٤- معجم الأدباء ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ)تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.

٩٥- معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)،تحقق: عبد السلام محمد هارون، ط/ دار الفكر

٩٦- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) دار الكتب العلمية: الأولى ١٤١٧ هـ- ١٩٩٧م

٩٧- مفاتيح الغيب، لأبى عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) دار إحياء التراث العربي – بيروت: الثالثة – ١٤٢٠ هـ

٩٨- مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم ، لطاش كبرى زادة

٩٩- المفردات في غريب القرآن لأبى القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ) تحقيق: صفوان عدنان الداودي،: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت

١٠٠- مقدمة في أصول التفسير،: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، ،ط/: دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان: ١٤٩٠هـ/ ١٩٨٠م

١٠١- المقنع في رسم مصاحف الأمصار عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (المتوفى: ٤٤٤هـ) تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة

١٠٢- المكتفي في الوقف والابتدا، لعثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (المتوفى: ٤٤٤هـ) تحقيق: محيي الدين عبد الرحمن رمضان ، ط/ دار عمار، الأولى ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م

١٠٣- منار الهدى في بيان الوقف والابتدا: أحمد بن عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الأشموني المصري الشافعي (المتوفى: نحو ١١٠٠هـ) تحقيق: عبد الرحيم الطرهوني ، ط/ دار الحديث – القاهرة، مصر: ٢٠٠٨م

١٠٤- مناهل العرفان في علوم القرآن ،محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (المتوفى: ١٣٦٧هـ) ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثالثة

١٠٥- منجد المقرئين ومرشد الطالبين: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣هـ)،ط: دار الكتب العلمية: الأولى ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م

١٠٧- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج لأبى زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ) : دار إحياء التراث العربي – بيروت: الثانية، ١٣٩٢

١٠٨- ناسخ القرآن ومنسوخه، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) تحقيق: أبو عبد الله العاملي السّلفي الداني بن منير آل زهوي، شركه أبناء شريف الأنصاري – بيروت، الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

١٠٩- الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز وما فيه من الفرائض والسنن، لأبى عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: ٢٢٤هـ)، دراسة وتحقيق: محمد بن صالح المديفر (أصل التحقيق رسالة جامعية)، مكتبه الرشد / شركة الرياض – الرياض، الثانية، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م

١١٠- نزول القرآن والعناية به في عهد النبي ﷺ: عبد الودود مقبول حنيف، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة

١١١- النسخ في القرآن الكريم دراسة تشريعية تاريخية نقدية ،د/ مصطفى زيد، ط / دار الوفاء، الثالثة ،١٤٠٨هـ،١٩٧٨م،و انظر الناسخ والمنسوخ بين الإثبات والنفي ، عبد المتعال محمد الجبري

١١٢- النشر في القراءات العشر، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى : ٨٣٣ هـ) تحقيق : علي محمد الضباع (المتوفى ١٣٨٠ هـ)

١١٣- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، لشهاب الدين أحمد بن محمد المغربي التلمساني المقري ،تحقيق : إحسان عباس ، بيروت ، سنة ١٣٨٨هـ

١١٤- نفحات من علوم القرآن، محمد أحمد محمد معبد (المتوفى: ١٤٣٠هـ) ط/ دار السلام – القاهرة، الثانية،: ١٤٢٦ هـ

١١٥- النقط ، أبو عمرو الداني، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي: مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة

١١٦- النكت في إعجاز القرآن للرماني ، ثلاث رسائل في اعجاز القرآن ، ط/دار المعارف، الثالثة

١١٧- النكت والعيون، لأبى الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)،تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان .

١١٨- نهاية السول شرح منهاج الوصول، عبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي الشافعيّ، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٧٧٢هـ) ،دار الكتب العلمية –بيروت–لبنان، الأولى ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م،

١١٩- النهاية في طبقات القراء: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣هـ)،ط/ مكتبة ابن تيمية: عني بنشره لأول مرة عام ١٣٥١هـ ج. برجستراسر

١٢٠- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه: لأبى محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ)،تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

١٢١- الواضح في علوم القرآن، مصطفى ديب البغا، محيى الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب/ دار العلوم الانسانية - دمشق الثانية، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨

١٢٢- الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع ،عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي (المتوفى: ١٤٠٣هـ): مكتبة السوادي للتوزيع: الرابعة، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م

١٢٣- الوجوه والنظائر ،لأبى هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)حققه وعلق عليه: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م

فهـــرس محتـــــويات البحـــــث

المقدمة ١٥
التمهيد..... ٢٠
المبحث الأول : نزول القرآن الكريم ٢٤
المبحث الثاني : أول ما نزل وآخر ما نزل من القرآن الكريم..... ٣٢
المبحث الثالث : جمع القرآن الكريم..... ٤٥
المبحث الرابع : ترتيب الآيات والسور..... ٧٧
المبحث الخامس : نقط المصحف وشكله..... ٩٢
المبحث السادس : أسماء القرآن الكريم ١٠٢
المبحث السابع : المكي والمدني ١٢٠
المبحث الثامن : الناسخ والمنسوخ..... ١٤٣
المبحث التاسع : الوقف والابتداء ١٦٢
المبحث العاشر : القراءات القرآنية ١٧٧
المبحث الحادي عشر : إعجاز القرآن..... ١٩٢
المبحث الثاني عشر : أسباب الخلاف بين المفسرين والوجوه التي يرجح بها بين أقوالهم..... ٢٠٠
المبحث الثالث عشر: أنواع التفسير، وطبقات المفسرين ٢٢٣
الخاتمة..... ٢٣٧
المصادر..... ٢٣٩